

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

السنة الثانية - العدد السادس - ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ - مايو ٢٠٠٦ م

٦

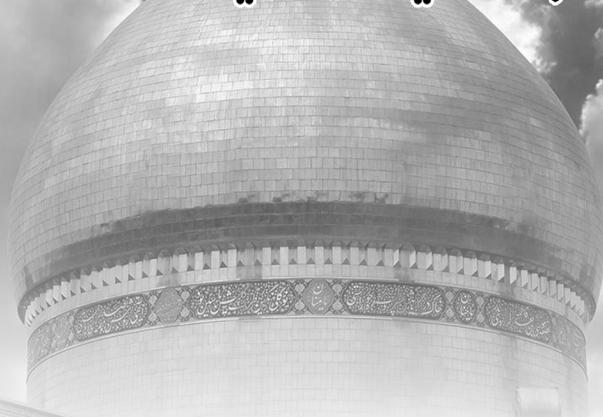
أ ج ر ا ب ت ب ك ن ح د س

- حوار مع سماحة الشيخ علي رحمة
- بحوث موضوعية في العقيدة الإسلامية
- غرائب المرتاضين وكرامات الأولياء
- الحق والباطل
- خواص الحق.. ودورهم المصيري والتاريخي
- التقية
- الإمامة مقامات وأدوار

Resalat Alqalam

رسالة القمر

إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية



- المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاقي
- رئيس التحرير:
علي أحمد الكريابادي
- مدير التحرير:
علي أحمد الجفيري
- هيئة التحرير:
فاضل عبد الجليل الزاكي
جعفر عبد المهدى شهاب
سعيد حسن المادم



كتابات

٦

- ٤ حوار مع سماحة الشيخ علي رحمة
حاوره: علي أحمد الغفيري
- ٢٠ بحوث موضوعية في العقيدة الإسلامية
قصصي الشيخ علي العربي
- ٤٣ غرائب المرتضىين وكرامات الأولياء
غازي عبد الحسن إبراهيم
- ٤٩ الحق والباطل
عيسى جاسم الفصاص
- ٦٠ خواص الحق.. ودورهم المصيري والتاريخي
علي المحاوزي
- ٧٨ هل سعى الأئمة الأطهار لإقامة الحكومة الإسلامية؟
حسن عبد الله أحمد القصاب
- ٩٢ تسخير الإنسان.. من نعم الرحمن
جاسم بدر المطوع
- ١٠٠ المرجعية والقيادة
السيد ياسين السيد قاسم الموسوي
- ١٣٦ التقية
السيد مرتضى السندي
- ١٤٥ الإمامة مقامات وأدوار (القسم الأول)
علي أحمد الكربابادي
- ١٦٢ دراسة أدوار أئمة أهل البيت (سلام الله عليهم)
السيد حسن السيد أحمد الغريفي
- ١٦٩ وانبلاج النور
جعفر عبد المهدي الشهابي
- ١٧٧ تنافر الحروف
حسين فؤاد المرزوق



رسالة القلم

رسالة القلم هي رسالة الأنبياء، فالقلم جنديٌّ من جنودهم عليهما السلام ولهذا كان على هذا الجندي أن يتحمّل المشقة.. مشقة مسؤولية الأنبياء، ألا وهي الهدایة، وأن يكون كما كان الأنبياء طبيباً دواراً بطبيه، وأن لا يشمخ بأنفه عن البسطاء، هذه هي رسالة السماء، وهذه هي رسالة الأنبياء، وهذه هي رسالة القرآن الكريم حيث خاطب الناس على قدر عقولهم، متوسلاً في إيصال الهدایة لهم بالقصة والمثل، بقصة نملة، وبقرة، وناقة.. أفلأ يأخذ القلم درساً من ربّ القلم؟!

فلماذا يا ترى تصرُّ بعض الأقلام على تصوير خودها للناس؟! ولماذا يتصور بعض الكتاب أنَّ من الفنِّ في شيء أن يكتب مقالاً أو كتاباً معقداً، مليئاً بالألفاظ، وبلغة همها وهدفها الأول والأخير هو أن لا يفهم القارئ ما كُتب شيئاً؟!!

أيها الكتاب كُفُوا عن هذا العبث، ولا تُعرّنكم هذه التوهمات، وتعالوا معنا خند أنفسنا لا إيصال هداية السماء إلى كل ذرة من ذرات هذا الوجود.

هذه هي رسالة القلم.. وأمّا رسالة قلمنا هذه فلا تدعُي أنها على مستوى المسؤولية الجسيمة، وإنما ترجو أن تكون سائرةً على هذا الطريق.

رئيس التحرير

لِوَارْ مَعَ السَّمَاءَةِ الشَّيْخِ هَلْيَ رَحْمَة

حاوره: علي أحمد الجفيري

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المكانتين أبي القاسم محمد وآلها الغر الميمانيين، واللعنة الدائمة المؤبد على أعدائهم أعداء الدين إلى قيام يوم الدين، وبعد، فقد اتضح جلياً بما لا يترك مجالاً للتشكك ما يعيشه الوضع الراهن لدين الإسلام الحبيب من محاربة مستميتةٍ ومكرٍ عجيبٍ لإطفاء نور الله تعالى، ويكررون ويكرر الله والله خير الماكرين، وما يكررون إلا بأنفسهم وما يشعرون، سيصيب الذين أجرموا صغاراً عند الله وعذاباً شديداً بما كانوا يكررون، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متّ نوره ولو كره الكافرون، ومن هنا، أدرك ثلثة من العلماء المخلصين الأجلاء ضرورة مواجهة هذا المد العدوانى - الذي يستهدف حق الدين - بما يتناسب وحجمه، وانتهوا إلى نتيجة مفادها ضرورة الانتقال من أسلوب الفردية في العمل - بأن يُلقي كلّ ما عنده لصدّ هذا العدوان - إلى أسلوب توحيد الكلمة ورصّ الصفة بإنتاج مؤسسةٍ ينطلق منها صوتٌ واحدٌ وعملٌ واحدٌ يصبُّ في مصلحة الدين ويوقف مدّ العدوان حتى ينحصر نهائياً، لتكون الغلبة لله ورسوله وللمؤمنين - أيدُهم الله تعالى -. . .

المجلس الإسلامي العلمائي، فكرة قد لبّت طموح الكثيرين، وحققت ما تمنّاه المؤمنون من اجتماع على الحق حتى تكون الصرخة في وجه محارب الدين قويةً، والصرخة قضيةً ساحقةً، وللتعرّف بشكل أكبر على هذا المجلس وأهدافه وفعالياته وطموحاته، استثمرنا وجود من عايش المجلس من قريب - لفترة لا بأس بها - بيننا في أرض قم المقدسة، سماحة الشيخ علي رحمة، الذي عمل في المجلس مع مجموعة من الطلبة

المخلصين تحت الهيئة التنفيذية لمدة تقارب الأربعة أشهر، ويُعدُّ في هذه الفترة عضواً من أعضاء الجمعية العمومية في المجلس، فنقول بعد ترحيبنا بسمامة الشيخ وشكراً لتبليغ الدعوة...

● بدايةً نَوْدُ أن تتحدثوا لنا باختصارٍ عن هذا المجلس المبارك وظروف تأسيسه والغاية من تأسيسه.

■ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وآلـهـ الطـاهـرـينـ،ـ والـلـعـنـ الدـائـمـ عـلـىـ أـعـدـائـهـ أـجـمـعـينـ إـلـىـ قـيـامـ يـوـمـ الدـيـنـ،ـ فـكـرـةـ تـأـسـيـسـ تـجـمـعـ يـضـمـ عـلـمـاءـ وـطـلـابـ الـعـلـمـ الـدـيـنـيـةـ فـكـرـةـ مـحـلـ إـجـمـاعـ،ـ بـلـ هـيـ مـنـ ضـرـورـاتـ الـمـرـحـلـةـ،ـ فـالـمـرـحـلـةـ تـفـرـضـ فـيـ جـمـعـتـ مـجـمـعـ الـبـحـرـينــ،ـ وـهـوـ جـمـعـتـ صـغـيرـ وـفـيـهـ الـكـثـيرـ مـنـ عـلـمـاءـ وـطـلـابـ الـعـلـمـ الـدـيـنـيـةــ،ـ وـجـودـ مـؤـسـسـةـ تـجـمـعـهـمـ لـتـنـسـيقـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ وـالـتـشـاـورـ وـاسـتـفـادـةـ بـعـضـهـمـ مـنـ بـعـضـ فـيـ مـسـأـلـةـ التـبـلـيـغـ وـإـرـشـادـ النـاسـ وـهـدـايـتـهـمـ وـمـاـ شـاكـلـ ذـلـكـ،ـ فـأـصـلـ الـفـكـرـةـ مـحـلـ إـجـمـاعـ وـاتـقـاقـ مـنـ قـبـلـ الـجـمـيعـ.

وكما أشرنا بأن المرحلة تعتبر هذه الخطوة من الضروريات، ولعل هذه الفكرة كانت موجودة في أذهان الكثيرين من زمن قديم إلا أن هناك مجموعة من الموانع أدّت إلى تأخيرها إلى وقت تأسيس المجلس فعلاً، ولعل أهمها العامل الأمني، ولما حصل هنا الانفراج النسيي صارت الظروف مناسبة لطرح هذه الفكرة على الصعيد الخارجي.

وأما الغاية من تأسيس هذا المجلس فهي الغاية من وجود نفس العلماء، فالغاية من وجود العالم هي تبليغ رسالة الله وحفظ الهوية الأصلية للدين في المجتمع ودفع الشبهات والإشكالات التي ترد من هنا وهناك، غاية ما في الأمر أن هذه آلية متطرفة، هذا وجود جمعي للعلماء بدل وجوده الفردي الذي يقصّر في مثل زماننا عن تغطية حاجيات المجتمع الدينية والاجتماعية والفكرية والثقافية والسياسية، بالإضافة إلى أنه بوجوده الفردي قد يعجز عن دفع الإشكالات والشبهات التي تأتي من هنا وهناك.

● وهل تَمَسَّثُمْ سماحة الشيخ الفرق بين الوجود الفردي والوجود الجماعي للعلماء في عملتهم التبلغية؟

■ طبعاً الفرق واضح بشكل نظري، وأيضاً بلحاظ التجارب التي حصلت في غير البحرين - التجارب القديمة التي حصلت في بعض المناطق - الفرق واضح، والرجحان لصالح العمل الجماعي، بالخصوص في زماننا هذا الذي يكون فيه العمل الفردي غير منتج فنحتاج إلى عمل مؤسساتي، وبالنسبة إلى مشروع المجلس الإسلامي العلمائي في البحرين فهو مشروع جديد من نوعه، وهو جديد على الساحة أساساً، وهو في طور التطور إن شاء الله بالتدريج، وسوف تظهر ثمرات الفرق بينه وبين العمل الفردي بشكل واضح إن شاء الله تعالى.

● ما مدى نجاح المجلس في تحقيق أهدافه المرجوة خلال هاتين السنتين؟

■ المجلس الإسلامي الآن يعيش في سنته الثانية، أي صار له تقريراً سنة ونصف، وفي الحقيقة أصل طرح فكرة من خلالها يجتمع العلماء وطلاب العلم واستمرار هذه الفكرة لهذه المدة وتطورها المطرد، كل ذلك يُعدُّ في حد ذاته نجاحاً كبيراً، بالخصوص أن هذا المجلس يضم عدداً كبيراً من الأعضاء يزيدون على المائة والعشرين عضواً، وهم في تزايد أيضاً، ويبقى نجاح المجلس في تحقيق أهدافه التي أسسَ من أجلها يحتاج إلى وقت، والمجلس في بدايته كانت حركته بطئية، وهناك أسباب موضوعية لذلك، ولكنه كان يمشي في الطريق الصحيح - وهو يتتطور يوماً بعد يوم -، نرجو أن يكون في أقرب وقت ممكن في مستوى الطموح لتحقيق أهدافه إن شاء الله تعالى.

● ما هي أصعب العرقيات التي واجهها المجلس في مرحلتي التأسيس والعمل؟

■ أماً بالنسبة لمرحلة التأسيس، أعتقد بأن أكبر إشكالية واجهت المجلس هي صياغة القانون الأساسي للمجلس، أعني الآلية التي من خلالها يُصاغ القانون الأساسي

للمجلس، هنا كانت إشكالية، وكان هنا أمم أصحاب الفكرة وأصحاب المشروع أكثر من خيار، لعل أهم هذه الخيارات هذان الخياران، الخيار الأول هو تشكيل لجنة تأسيسية مُصغرَة من قِبَلِ أصحاب الفكرة، - فكرة تأسيس المجلس -، وطَرْحها لقانون المجلس الأساسي وصياغته صياغة نهائية، ثم دعوة من تنطبق عليه شرائط العضوية من العلماء وطلاب العلم للدخول في المجلس بعد عرض القانون عليهم وموافقتهم عليه، هذا خيار، هناك خيار ثانٌ عبارة عن دعوة كل العلماء في البلد وطلاب العلم لأجل الاشتراك في صياغة القانون الأساسي، ولما كان الخيار الثاني يستلزم طولاً زمنياً كبيراً - ولعل في خِضمِ التجاذبات والاختلافات يغرق المشروع ولا يُكتبُ له أن ينجح - تم ترجيح الخيار الأول، ومراعاة لحق الآخرين في صياغة المواد أو تعديلها أُتيحت هذه الفرصة وفقَ الآلية الموجدة في القانون الأساسي بشرط العمل بالقانون سنة كاملة من حين الشروع في العمل به، وبعد سنة يمكن التبديل والتغيير، وإلا لو تم اختيار الخيار الثاني لما قدرَ أن يرى هذا المشروع النور، ومن هنا رُجحَ الخيار الأول.

هذا على مستوى التأسيس، أما على مستوى العمل فهناك مجموعة من العراقيين اعتقاد بأن أهمها ثلاثة عراقيون، الأول يتمثل في عدم إعطاء كثير من أعضاء المجلس للمجلس ولعمل المجلس ولمهامه ووظائفه الوقت الكافي، وهذا طبيعي باعتبار أن المجلس بدأ وكثير من دخل فيه كان منشغلًا أيضًا في التبليغ وإرشاد الناس لكن بأسلوبه الفردي، فحتى ينتقل بأسلوبه الفردي إلى الأسلوب الجماعي والمؤسسي يحتاج إلى فترة من الزمن، هذه في البداية كانت إشكالية أدت إلى بطء تقدم وتحرك المجلس نحو تحقيق الأهداف، بالإضافة إلى أن بعض أعضاء المجلس كان يميل إلى العزلة واستئصال العمل الجماعي والعمل المؤسساتي، وهذا يحتاج أيضًا إلى فترة حتى يتعود على الأسلوب الثاني، أضعف إلى ذلك أن بعض الأعضاء لم يمارس قبل ذلك أسلوب التبليغ وأسلوب العمل الجماعي، فهذا أيضًا يحتاج إلى فترة حتى يتأهّل من خالماً ليكون في

مستوى العطاء، هذا الإشكال الأول الذي واجه المجلس في عمله، أيضاً يوجد هناك إشكال ثان يتمثل في كون البحرين ساحة ممتلة بالمشاريع التبلديّة والرسالية التي هي بمستوى فردي أو شبيه به، وطبعاً هي لا تلي طموح الساحة لكنها موجودة بسبب الفراغ الذي كان موجوداً بسبب عدم وجود المجلس، لأنّ صار المجلس صار أمامه سيل من المشاريع في المناطق والأحياء والقرى والمدن، فمن الطبيعي أنه يتربّث في اقتحام أي منطقة من المناطق ليطرح فيها مشروعاته لأنّه يحتاج لأن ينسق مع أصحاب هذه المشاريع، وبعضها أيضاً لها القابلية لأن تدمج في المجلس أو أنها تكون تابعة للمجلس، هذه العملية تحتاج إلى فترة من الوقت، أيضاً هذه إشكالية كانت في بداية عمل المجلس.

يوجد أيضاً إشكالية ثالثة تمثل في محدودية الميزانية المالية، مشروع ضخم بهذا الحجم يحتاج إلى ميزانية كافية، والميزانية المالية بحسب حكم طبيعة البلد وضعف الكثير من أهل البلد - الذين يُعدون مورداً أيضاً - أو الحقوق الشرعية التي هي من أهم الموارد، ضعف الأموال التي تستفاد من هذه المصادر عن استيفاء كل ما يطرّحه المجلس من مشاريع يُعد مشكلة عملية للمجلس، فكل أبعاد المجلس لا يمكن أن تغطيها هذه الأموال، نحن نعلم بأن البحرين فيها من الفقراء والحتاجين ما يُصرّف لهم من الحقوق ومن الميزانية التي بيد العلماء الشيء الكثير، فلا يبقى لما يفي بمشاريع المجلس، هذا يؤدّي طبعاً إلى تأخير الكثير من مشاريع المجلس.

● قد يُتّهم المجلس بأنه يُؤطر نفسه ويحصرها في تيارٍ وتوجّهٍ معينٍ، فكيف يردّ المجلس على هذه الدعوى؟

■ هذه الإشكالية قد أُشِعت في مقام الإجابة عليها، فمن البداية كان القائمون على تأسيس المجلس - الرموز العلمائية ساحة العلامة الشيخ عيسى وساحة العلامة السيد عبد الله وغيرهم من كبار أعضاء المجلس - كانوا مهتمين بدفع هذه الإشكالية من بداية تأسيس المجلس، وأن المجلس لا يريد أن يُلغى أحداً، بل يرحب بكل من تنطبق

عليه شرائط العضوية، والأغلب فعلاً تُنطبق عليه شرائط العضوية، وقد دُعِيت التيارات العاملة الفاعلة الموجودة في البلد، دُعِيت دعوة مباشرة، إلا أن بعضها لم يستجب وحْدَه عدم الدخول في المجلس مع دعائهما للتوفيق إلى المجلس في العمل، وأنا فعلاً استمعت إلى بعض الأشخاص المحسوبين على بعض التيارات بأنه يقول أنا مع المجلس قلباً وقالباً إلا أني لا أرى الظروف مناسبة لأن أدخل في المجلس، هو مقتني بالفكرة لكنه لم يدخل لظروف خاصة، بالإضافة إلى أن المجلس لا يدعى بأنه يمثل الجميع، هو يمثل من دخل تحت مظلته، وهو على استعداد تامٌ إلى التعاون والتعامل والتنسيق مع البقية الموجودة على الساحة، وهذا فعلاً ما حصل، فإن المجلس خلال هذه الفترة نسقَ مع الكثير من الجمعيات العاملة في الساحة، لأجل الوصول إلى مستوى من العمل والنتاج المتكامل الذي ينفع الناس ويرشدُهم ويهدِّيهم.

- من هنا ننتقل إلى السؤال السادس، ومن الممكن أنكم قد أشرتم إلى بعض الجزئيات المرتبطة بجواب هذا السؤال، ما مدى تفاعل وتقبُّل فكرة المجلس المبارك من قبلِ كُلِّ من الجهة الرسمية في البلد، وفئة العلماء وطلاب العلوم الدينية وسائل شرائح المجتمع البحرياني؟
 - بالنسبة إلى الجهة الرسمية فقد أعلنت عن موقفها من بداية تأسيس المجلس وذلك من خلال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، حيث أصدر ذاك المجلس الرسمي بياناً أبدى فيه عدم اعترافه بالجليس الإسلامي العلمائي، وطبعاً لما كان هذا البيان ليس في محله، ووجه من قبلِ العلماء ومن قبلِ الرموز، ولعل الجهة الرسمية خففت من حِدَّتها وشِدَّتها تجاه المجلس في الفترة الأخيرة.

- عفواً شيخنا، هل تعني أن الجهة الرسمية تتعامل مع المجلس تعامل اعترافٍ في هذه الفترة؟

- في الحقيقة أن المجلس قد فرض وجوده على الساحة، في البداية أريدَ من هذا البيان

التأثير الإعلامي أكثر من أي جهة أخرى، ولعله لأجل التخويف، إلا أن المجلس بمنكته والتزامه بالأسس السليمة للتعامل مع الآخرين قد فرض وجوده، وفي كثير من الموارد تبيّن بأن الجهة الرسمية صارت تتعامل مع المجلس.

وبالنسبة لشريحة الطلبة فإن العدد الأكبر من طلاب العلوم الحوزويين هم منضمو إلى المجلس وهم أعضاء فيه، أما غير المنضمين فمنهم من لم تُنطبق عليه بعض الشرائط - لكنه مع المجلس - مثل شرط السن، أو شرط التحصيل العلمي الذي يشترط فيه القانون أن يكون العضو قد دخل إلى السطح الثاني، أو غير ذلك من الشرائط التي لم تتحقق في البعض، وبعدهم أساساً ليسوا من طلاب الحوزة بل هم خطباء وهم أيضاً مع المجلس - الكثير منهم مع المجلس -، يوجد بعض الأفراد ينتسبون إلى تيار معين كما أشرت إلا أنهم من البداية لم يجذبوا الدخول إلى المجلس لأنهم يعتبرون أنفسهم تياراً مستقلاً، طبعاً هذا ليس فيه مشكلة إذا تم التنسيق والتعاون معهم، وهناك بعض الأشخاص من طلاب العلوم الدينية أو العلماء بحكم ارتباطاتهم الخاصة لم يتمكنوا من الدخول، ذكر على سبيل المثال ساحة العالمة العلامة السيد جواد الوداعي، فهو لم يدخل المجلس لكنه يُعد أباً روحياً إلى المجلس في الحقيقة، وبارك المجلس وحضر الجلسة التأسيسية للمجلس الأولى والثانية، وأيضاً حضر في جلسات أخرى.

بعض العلماء أيضاً أيدوا المجلس إلا أنهم لم يدخلوا، نعم هناك بعض العلماء عندهم موقف من المجلس بالخصوص تجاه الآلية التي من خلالها صيغ القانون الأساسي، لم يجذبوا الدخول لأنهم لم يُشركوا في صياغة القانون الأساسي، وإن كانت أتيحت لهم الفرصة بعد مضي سنة لأجل الدخول لأن في هذه الفترة بإمكانهم أن ينظروا في أي مادة من المواد، عدا مادتين هي محل اتفاق بأنها لا يمكن أن تُمسَّ، أحدهما أنه لا يأخذ المجلس بما يخالف الشريعة الإسلامية وهذه لا يمكن لأحد أن يناقش فيها ولا يمكن أن تخضع إلى التعديل، فأتى بفتح المجال لدخولهم، والبعض طبعاً رحب بالدخول والبعض قال

أن الوقت ضيق - أي من حين أن دعي إلى حين انعقاد الجلسة العمومية لأجل تغيير بعض المواد - قال أن الوقت ضيق، وإن شاء الله نتمنى في الفترة والجلسات اللاحقة أن يكون هناك توفيق لدخولهم لنكون يداً واحدةً لأجل إثراء الساحة إن شاء الله تعالى.

وأما بالنسبة لسائر شرائح المجتمع فهم مع المجلس كما هم مع العلماء، كما نعلم بأن شعب البحرين شعب يحب العلماء ويحترمهم ويواهيلهم ويسمع كلمتهم وينصاع لأوامرهم، هم بالنسبة للمجلس هكذا أيضاً، ويمكن أن نلمس ذلك بشكل واضح من خلال الاستجابة منقطعة النظير لشراحت شعب البحرين للدعوات التي يطلقها المجلس من أجل بعض المسيرات أو بعض التجمعات أو بعض الفعاليات، ويكون هناك فيها حضور كبير ومتميز جداً، تبقى بعض نشاطات المجلس التفصيلية التي تحتاج إلى متابعة، هذه تحتاج إلى فترة من الزمن حتى تكون هناك آليات واضحة بين المجلس وبين شرائح وأفراد المجتمع البحرياني، إن شاء الله بعد فترة من الزمن سوف يكون هناك حضور قوي جداً لشعب البحرين - الذي يمثل الأرضية للمجلس - مع المجلس وبرامجه إن شاء الله تعالى.

● إذا أردنا شيخنا أن توسيع دائرة الحديث لنخرج عن إطار البيت الشيعي، نقول أن هناك - كما سمعنا - محاولات من قبل المجلس - خاصةً في بداية التأسيس - إلى انضمام علماء من الطائفة السننية، فإلى أين وصل المجلس في هذا المجال؟

■ كانت هي أمنية موجودة وصرح بها مجموعة من الرموز، أنه نتمنى أن يأتي اليوم الذي يكون في البحرين مجلس يضم كلا الطائفتين، طبعاً من الواضح أن هناك صعوبة في تحقيق مثل هذا المجلس، لكن هناك بعض الخطوات الموجودة على الواقع للتنسيق، مثلاً كانت هناك دعوة وجهت من قبل بعض التيارات والجمعيات السننية إلى المجلس لأجل الخروج ببيان مشترك يشجب فيه الإساءة التي وجهت لنبينا

الأعظم عليه السلام، والمجلس استجابةً إلى ذلك، أيضاً المسيرات التي تخرج مثلاً لأهداف مشتركة وغايات مشتركة، أيضاً يدعى لها الآخرون وليس هي مخصوصة لأعضاء المجلس أو التيار الذي ينتهي إلى المجلس، فالدعوة تشمل الجميع.

● بما أنكم ذكرتم في طيّات حديثكم بعض البرامج سماحة الشيخ، نقول ما هي أهم نشاطات المجلس المطروحة؟

■ طبعاً المجلس جاء ليقوم بكل ما يحتاج إليه المجتمع المسلم في البلد من القضايا الدينية ثقافية كانت أو علمية أو فكرية أو أخلاقية أو اجتماعية وغير ذلك، فكل ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع المسلم حمله المجلس على كاهله، وفعلاً أنا صار عندي اطلاع تفصيلي على مجموعة من النشاطات التي قام بها المجلس في الفترة التي كنت فيها في الهيئة التنفيذية قبل شهر رمضان، وقد فتحت مجموعةً من الملفات، عنده الملف الأخلاقي والملف التبليغي والملف التعليمي وأيضاً فتح الآن الملف الاجتماعي وكان هناك الملف النسوي، وكل هذه الملفات لها تَسْعِيبات ومجموعة من البرامج، وهناك خطة مدروسة ومفصلة لكل ملف من هذه الملفات، وقد فُتحت مجموعة من البرامج وطُرحت على الساحة وخلال هذه الفترة اشتغلت بالسفر ولا بد أن المجلس قد طرح مجموعة أخرى جديدة من الملفات وهو في تطوير مستمرٍ، ولعلها تحتاج إلى جلسة خاصة لاستيفائها وبيان تفاصيلها.

● لأي حدٍ وُفق المجلس إلى تجسيد أطروحاته على صعيد الواقع العملي؟ بعبارة أخرى، هل أن جنبة التظير لدى المجلس أوضح من جنبة التفعيل فنقول أن المجلس لا زال في مستوى التظير أو أنه قد فعلَ مجموعةً من هذه الملفات بشكل ملموس؟

■ طبعاً المجلس قد تجاوز مرحلة التظير وبدأ في تفعيل مجموعة من هذه الملفات، على سبيل المثال الملف التعليمي، قام الآن المجلس بكتابة مناهج، وفعلاً سوف تُطرح في

الفترة الصيفية للتعليم الصيفي، وعلى مستوى الملف التبليغي هناك مجموعة من الدورات التعليمية كُتِّبت ودُرِّست في بعض المناطق، هناك الاهتمام بصلة الجماعة، ولوصول صلة الجماعة للمستوى المطلوب هناك ملتقي أئمة الجماعة وقد عُقد مرتين، كانت له الجلسة الافتتاحية وهي الجلسة الأولى التي كانت في شهر رمضان الماضي وُطُرِحَت فيها مجموعة من الفعاليات والتوصيات وكانت جلسةً ناجحةً، هناك دراسة مُعمقةٌ في الملف الأخلاقي للوضع الأخلاقي في البلد، وسعى المجلس لتشكيل لجنة مؤلفة من المجلس نفسه ومن الجمعيات الأخرى، وصارت عدة جلسات وقد قطعوا مجموعة من الخطوات في هذا المجال، الملف النسوي أيضًا قد بدأ القائمون على هذا الملف بإعداد وتأهيل مجموعة من الأخوات للتبلیغ، وهناك شبه المدرسة الخاصة لتأهيلهنَّ إلى التبلیغ والتخصص في هذا المجال، وهكذا مجموعة من الملفات فعلاً فُتحَت وبُدئَ في تفعيلها.

● من ضمن نشاطات المجلس المهمة طرح شعار سنوي يقوم المجلس بتنظيم عِدَّة فعاليات لترويجه بالشكل المطلوب لقطف الشمرة المرجوة، ما هي آلية اختيار هذا الشعار؟

■ طبعاً هذا الشعار هو عبارة عن فعالية من فعاليات المجلس، وهو شعار سنوي يُطرح في بداية كل سنة ليتناول قضية من قضايا الإسلام الكبرى لأجل تركيزها في أذهان المجتمع ومحاولة علاج هذه القضية طوال السنة من خلال المحاضرات والكتابات والندوات من خلال الآليات المتوفرة في هذا المجال، آلية اختيار الشعار هي أنه بعد أن يتم تشخيص قضية إسلامية كبرى هي بحاجة إلى دراسة أو علاج إلى مُدَّةٍ طويلةٍ تَمتدُّ إلى سنة، وتحتاج إلى تركيز في أذهان الناس، بعد تشخيص هذه القضية من خلال المشاورات مع أهل الاختصاص، تقوم الهيئة المركزية بإقرار هذا الشعار، هذه هي الآلية المطروحة.

● اقترنـتـ كلمةـ الشـعـارـ غالـباًـ بـالـجـانـبـ السـلـبـيـ،ـ حيثـ أـنـهـ تـؤـديـ عـادـةـ إـلـىـ اـنـتـقـالـ الـذـهـنـ إـلـىـ مـعـانـيـ الـأـرـتـجـالـ وـالـحـمـاسـ غـيرـ المـدـرـوسـ وـالـأـنـفـعـالـ الـذـيـ لـاـ يـسـتـدـ إـلـىـ الـعـقـلـ،ـ وـحـيـثـ أـنـاـ نـنـزـهـ الـعـلـمـاءـ الـأـجـلـاءـ عـنـ هـذـهـ الـمـعـانـيـ،ـ نـرـيدـ أـنـ نـعـرـفـ طـبـيـعـةـ الشـعـارـ الـمـطـلـوبـ وـالـذـيـ يـعـمـلـ بـهـ الـمـجـلـسـ؟ـ

■ أـنـاـ أـعـتـقـدـ أـنـ هـنـاكـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـخـصـوـصـيـاتـ فـيـ الـقـضـيـةـ الـتـيـ تـجـعـلـ مـحـورـاـ لـلـشـعـارـ،ـ إـذـاـ توـفـرـتـ هـذـهـ الـخـصـوـصـيـاتـ يـتـمـ اـخـتـيـارـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ كـشـعـارـ لـلـعـامـ:

أـوـلـاـ :ـ تـكـونـ قـضـيـةـ إـسـلـامـيـةـ كـبـرىـ مـهـمـةـ.

ثـانـيـاـ :ـ تـهـدـدـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ مـنـ قـبـلـ مـشـكـكـيـنـ.

ثـالـثـاـ :ـ تـحـتـاجـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ لـأـجـلـ عـلاـجـهاـ إـلـىـ فـتـرـةـ زـمـنـيـةـ طـوـيـلـةـ تـمـتدـ إـلـىـ سـنـةـ،ـ فـقـدـ تـكـونـ هـنـاكـ قـضـيـةـ إـسـلـامـيـةـ خـطـيرـةـ وـلـكـنـ عـلاـجـهاـ لـاـ يـسـتـدـعـيـ هـذـهـ الـمـدـةـ.

رـابـعاـ :ـ وـجـودـ تـبـعـاتـ وـآـثـارـ خـطـيرـةـ لـعـدـمـ عـلاـجـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ،ـ إـذـاـ توـفـرـتـ هـذـهـ الـأـمـورـ أـنـصـورـ أـنـهـاـ تـصـلـحـ لـأـنـ تـمـثـلـ الضـابـطـ الـعـامـ لـاـخـتـيـارـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ كـشـعـارـ لـلـعـامـ،ـ وـبـذـلـكـ تـبـعـدـ عـنـ الـأـمـورـ الـتـيـ أـثـرـتـهـاـ فـيـ السـؤـالـ.

وـفـعـلـاـ إـنـ الـقـضـيـةـ الـتـيـ اـخـتـيـارـهـاـ -ـ مـرـجـعـيـةـ الـفـقـيـهـ مـرـجـعـيـةـ الـإـمامـ -ـ،ـ نـلـاحـظـ أـنـهـ تـشـتمـلـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـمـورـ الـتـيـ ذـكـرـنـاهـاـ،ـ فـهـيـ قـضـيـةـ إـسـلـامـيـةـ كـبـرىـ،ـ لـأـنـ وـلـاـيـةـ الـفـقـيـهـ وـمـثـلـيـةـ الـفـقـيـهـ اـمـتـدـادـ طـبـيـعـيـ لـلـإـمـامـةـ،ـ وـأـيـضاـ هـيـ قـضـيـةـ تـهـدـدـ فـيـ مـثـلـ هـذـاـ الـوقـتـ مـعـ أـهـمـيـتـهـاـ لـلـمـجـتمـعـ،ـ تـهـدـدـ مـنـ قـبـلـ مـشـكـكـيـنـ وـمـغـرـضـيـنـ،ـ وـأـيـضاـ تـحـتـاجـ عـلاـجـهاـ إـلـىـ فـتـرـةـ زـمـنـيـةـ طـوـيـلـةـ عـلـىـ مـدارـ السـنـةـ لـتـرـكـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ فـيـ أـذـهـانـ النـاسـ،ـ وـأـيـضاـ تـعـالـجـ مـنـ خـالـلـ الـحـاضـرـاتـ وـالـدـرـوـسـ وـالـمـقـالـاتـ وـمـاـ شـاـكـلـ ذـلـكـ،ـ وـأـيـضاـ لـهـاـ تـبـعـاتـ خـطـيرـةـ إـذـاـ لمـ تـقـعـ فـيـ نـصـابـهـاـ،ـ حـيـثـ أـنـ الـكـثـيرـ مـنـ الـقـضـيـاـ تـعـتـمـدـ عـلـيـهـاـ،ـ وـالـجـمـعـ فـعـلـاـ يـحـتـاجـ لـأـنـ يـكـونـ بـصـلـةـ وـثـيقـةـ مـعـ مـرـاجـعـ الـدـينـ الـعـظـامـ حـتـىـ يـتـخـطـىـ تـبـعـاتـ التـخـلـفـ عـنـ إـيجـادـ هـذـهـ الـصـلـةـ.

● فلنتحدث في إطار الشعريين المطروحين من قبل المجلس بالخصوص، وبما أن الشعار الأول - نحو أسرة حسينية ملتزمة - مُدرج تحت الشعار الثاني - مرجعية الفقيه مرجعية الإمام العلية - كما يظهر، ننصر الحديث على الشعار الثاني، سماحة الشيخ، لماذا هذا الشعار؟

■ نحن نعيش الآن في مرحلة إن صح التعبير هي مرحلة الاستحقاقات، وفي مثل هذه المرحلة إما أن يكون المجتمع قد خرج باستحقاقاته أو أنه قد خرج صفر اليدين، وهنا كل تيار وكل جهة تطرح قيادة لأجل قيادة المجتمع وتحريكه نحوها، طبعاً التيار الديني إن صح التعبير أو الخط المتدلين له قيادته، وهذه القيادة أثبتت نجاحها على مر التاريخ، وفي موقع متعدد قدّمت نماذج من نماذج القيادة الناجحة جداً في موارد عديدة، فالاتفاق المؤمنين الآن فعلاً حول هذه القيادة سوف يحقق لهم استحقاقاتهم الدينية والدنيوية معًا، بأن يكونوا كتلةً متماسكةً وقويةً ومتراقبةً ويُشنون خلف إرشاد الفقيه الذي هو بمثابة ظل الإمام العلية وإرشاده وقيادته.

● نريد أن نفهم بأي معنى تكون قيادة الفقيه قيادة للإمام المعصوم العلية؟

■ المقصود بذلك أن طاعة الفقيه والانقياد خلف الفقيه في الأمور الدينية الإلزامية أمر شرعي إلزامي كما هو حق الإمام صلوات الله وسلامه عليه، طبعاً في موارد الفتوى هذا أمر واضح وفي موارد القضاء وفي موارد شؤون المجتمع المسلم العامة بالقدر الذي تُتاح فيه الفرصة للفقيه بأن يبيت فيها ومحظى للمجتمع أن يتبع الفقيه في ذلك، فيلزم على المجتمع أن يراعي هذه الوظيفة الشرعية حتى تبرأ ذمته من هذا الواجب، وهناك نصوص واضحة استفاد منها الفقهاء هذا المنصب وهذا الموقع للفقيه، مثلاً منها ما هو في مقبولة عمر بن حنظلة، الإمام الصادق العلية في آخر هذه الرواية يقول : (فإذا حكم بحکمنا ولم يقبل منه فعلينا رد ، والراد علينا كالراد على الله وهو بحد الشرك) وفي المكتبة عن الإمام الحجة (وأما الحوادث الواقعه فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم).

● كيف كانت ردّة فعل سائر شرائح المجتمع بشكل مجمل لهذا الشعار عند طرحه؟

■ طبعاً هذا الشعار شعار حيويٌّ وفعالٌ، والمجتمع بشكل عام عنده رؤية إيجابية عن هذا الشعار، وهو يرى بأن عليه مسؤولية تجاه متعلق هذا الشعار، وفعلاً هناك حماس لميس من قبلِ شرائح الشعب البحرياني تجاه التفاعل مع هذا الشعار بحكم أنه يرتبط بوظيفة شرعية توجه إليه حكماً إلزامياً بالقيام بعمل إيجابي تجاه هذا الشعار.

● طبعاً كان هناك معارضون لهذا الشعار، فما هي أبرز المغالطات التي أطلقها هؤلاء؟

■ من أبرز هذه المغالطات مثلاً تدخلُ جهةٍ أجنبيةٍ في أوضاع البلد، وطبعاً هذه إشكاليةٌ ساقطةٌ لأن اعتماد المؤمنين والمسلمين في أمور دينهم على المتخصصين من الفقهاء وذوي الكفاءات أمر غير مخظور حتى في النظم السياسية، فرجوع الجاهل إلى العالم سواءً كان هذا العالم من هذا البلد أم من غير هذا البلد أمر لا مشكلة فيه، فالحدود الجغرافية لا تمنع من رجوع غير المتخصص للمتخصص في هذا المجال، أيضاً من الإشكالات والمغالطات التي تُثار في هذا المجال كون الفقهاء في الحوزة العلمية لا يعرفون ولا يدركون بما يجري في الساحة وفي المجتمع المنفتح العامر بالقضايا السياسية والاجتماعية، وهذه أيضاً مغالطة، حيث أن التجربة أثبتت بأن مراجع الدين العظام ومراجع التقليد الأكفاء عندهم من الدراية والخبرة بالقدر الذي يجعلهم في مصاف المتخصصين في هذا الجانب، أيضاً قد تُثار إشكالية الاستبداد، ومفادها أن المجتمع ملزماً بتاتعة فقيهٍ من غير انتخاب ومن غير اختيار، وهذا لون من ألوان الاستبداد، وهذا أيضاً مرفوضٌ وساقطٌ لأن هذا الأمر مُشرعٌ من قبلٍ من له الحق ذاتاً وأصلاً وهو ربُّ العباد، الله تبارك وتعالى جعل هذا الحق لمن يكون بهذا المستوى من العلم والمعرفة في أمور الدين، كما هو شأن اختيار الله تبارك وتعالى للأئبياء والأئمة، فليس هذا الأمر

من شأن البشر أساساً حتى يُقال بأن هذه الكيفية من الاتباع لون من ألوان الاستبداد، فلا خيار للبشر أساساً في هذا المجال.

● هناك مغالطة قد ترتبط بالإشكالية الأولى التي تفضّلُتم بطرحها، وهي أن الرجوع إلى الفقهاء في النجف الأشرف أو في قم المقدسة يتناهى والوطنية المرتجاة من المواطن البحرياني فما تقولون؟

■ دعنا أولاً نحدد معنى الوطن، فما المقصود من الوطن؟ هل أن المقصود منه هو خصوص التربة والماء؟ هذا هو الوطن؟ إذا كان المقصود من الوطن هذا المعنى فهو لا ينافي الاعتماد على الفقيه الذي لا ينتمي إلى هذا التراب ولا ينتمي إلى هذا الماء باعتبار أنه لا يؤثر أساساً على معنى الوطن الذي فرضناه.

وإذا كان المقصود من الوطن ما هو أوسع دائرةً من هذا الحد - أي ما يرتبط بالمجتمع الإنساني بشكل عام أعم من دائرة التراب والماء - أيضاً اعتماد المجتمع في هذا الوطن على أهل الاختصاص والفن في هذا المجال لا ينافي هذا الوطن المُدعى.

● ما هو تقييمكم لنتائج هذه الحملة الشعرية - وإن كانت لم تأخذ فترة كافية - ؟

■ طبعاً التقييم سوف يكون في نهاية الفترة الزمنية المحددة وهي سنة، وبعد السنة يمكن تقييم هذه الحملة، مضى الآن من الحملة ما يقارب الشهرين ونرى أن هناك تفاؤل جيد، حيث أن المجلس الإسلامي العلمائي بدايةً قد قرر إطلاق فعاليات مع إطلاق الشعار، ففي بداية السنة الهجرية أيام العشرة، صارت هناك مجموعة من الفعاليات لتفعيل هذا الشعار، وصار هناك تجاوب، وكانت هناك جلسات عُقدت في المنامة أيام العشرة لأجل تفعيل هذا الشعار، وكان هناك مجموعة من الإخوة والشباب والمؤمنين يأتون ويستفسرون من الجهة التي حددت للإجابة على أسئلتهم

واستفساراتهم. أيضاً مجموعة من الخطباء - وقد استمعت إلى مجالسهم خلال العشرة-. بشكل عفوي واستجابةً لطلب المجلس صارت تتحدث عن مرجعية الفقهاء ولزوم اعتماد المجتمع بهذه المرجعية كمسؤولية شرعية عليه، كما أن هناك مجموعة وسلسلة من الفعاليات أعلنت المجلس في مطويات وزعها بأنه سوف يقوم بها ويعلن عنها في وقتها، وطلب من شرائح المجتمع أن تكون مستوى المسؤولية في التفاعل مع هذه الفعاليات.

● الشعب البحرياني، ما مدى مستوى معرفته واقتناعه بالثقافة التي يطرحها هذا الشعار؟

■ الشعب البحرياني شعب متدين بشكل عام، وهو شعب يوالي الفقهاء ويحترمهم كثيراً، فمن الطبيعي أن هذا الشعار سوف يأخذ مأخذًا مناسباً في نفوس وأذهان أفراد المجتمع البحرياني، وهذا ما لمسناه الآن بمرور هذه الفترة الزمنية المحددة، والمهم - أنا أتصور - في الشعار هو تركيز هذا المعنى وجعله في أذهان الأفراد والمجتمع خلال هذه الفترة، بالإضافة إلى تثقيف المجتمع وإيصال وعيه بمستوى يمكنه أن يتفاعل مع هذا الشعار بالمستوى المطلوب.

● إلى أي حدّ وفق هذا المجتمع للالتزام بمقتضيات هذه المعرفة على الصعيد العملي؟

■ أفراد المجتمع ليسوا بمستوى واحدٍ، هناك شريحة كبيرة في البحرين هي بمستوى عالٍ من التفاعل الجادّ المسؤول تجاه هذا الشعار وتجاه مسؤوليتهم أمام مرجعية الفقهاء، وهم في مقدمة العاملين أساساً لتفعيل الشعار وتحريكه، ويمكن أن نلمس هذا بشكل واضح من خلال دفاعهم عن المرجعية عندما تتعرض إلى إساءة أو ما شاكل ذلك، واتصالهم بشكل مستمر مع الفقهاء على مستوى الفتوى الشرعية، وعلى مستوى تشخيص بعض الموضوعات التي تحتاج إلى مراجعة الحاكم الشرعي، ويتحرّجُ الكثير

منهم أن يخوض في بعض القضايا من غير مراجعة الفقيه ومرجعيته الشرعية في ذلك حذراً من أن يقع في محدود شرعي، عندهم هذا المستوى من الاعتقاد بالمرجعية وبالتالي هم على مستوىً من الوعي الذي يجعلهم يتحركون في ظلٍّ هذا الشعار بالمستوى المطلوب إن شاء الله تعالى.

- في النهاية، كلمة أخيرة توجهيونها إلى كل المعنيين بإنجاح هذا المجلس المؤوفق من مختلف فئات المجتمع.
 - أعتقد بأن المجلس كان طموحاً ينظر إليه شعب البحرين بكل تفاؤل وأملٍ كبيرٍ، وعلى المجتمع - حتى يكون المجلس بمستوى الطموح، ولديتمكن من تحقيق أهدافه في أقرب فرصة ممكنة - أن يكون متواصلاً مع المجلس بكل ثقله وبكل وعيه، لأن المجلس وأعضائه لا يمكنه أن يحقق أهدافه المطروحة من غير تفاعل المجتمع معه، فهناك وظيفةً ومسؤولية كبيرةً على المجتمع في البحرين يجب عليه أن يقوم بها تجاه إعانة المجلس التي يطرحها المجلس، سواءً الاجتماعية منها أم الثقافية أم الفكرية أم توصيات المجلس المختصة ببعض الجوانب، وبمستوىً معينٍ أثبتت هذا الشعب الكريم تواصله مع المجلس ووقوفه معه بكل ثقله في مجموعة من الفعاليات، ونرجو أن يكون بهذا المستوى أيضاً في بقية الفعاليات الأخرى وتفاصيل نشاطات وفعاليات المجلس، نتمنى أن يكون المجلس ناجحاً بهذا الشعب إن شاء الله، وأن يكون هذا الشعب يرى في المجلس أنه حقٌّ له ما يتربّه منه من الأهداف التي يطرحها وأخذها على نفسه.

بِلَوْثٌ مُوْسَنْوْمِيَّةٌ فِي الْحَقِيقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

شرح تفصيلي لشرح الباب الحادي عشر بصيغة سؤال وجواب
(القسم الثاني)

قُصَيْ الشِّيخُ عَلَى الْعَرَبِيِّ

س ٢١: إذا كانت العبادة لا تتحقق إلا بمعرفة الله سبحانه وتعالى،
فماذا يجب على العارف بتلك الحقيقة تجاه من لم تحصل له تلك المعرفة
اليقينية؟

ج: طبعاً - كما قال السوري - وجب على كل عارفٍ مكلِّفٍ تنبئه الغافلين،
وحيث أن مصنف هذا الكتاب والسيوري عرفاً هذه الحقيقة وهو أن الله سبحانه وتعالى أوجب عبادته أولاً، وعرفاً أن العبادة لا تتمُ إلا بالمعرفة اليقينية ثانياً، إذن
يجب عليهم أن يتبهوا الآخرين الذين لم يلتقطوا إلى هذه الحقيقة، فلهذا قال:
وجب على كل عارفٍ يعني على كل من عرف هذه الحقيقة وهي أن الله سبحانه وتعالى دعا الإنس والجن إلى العبادة، وأن العبادة تتوقف على المعرفة اليقينية، فمن عرف هذا، يجب عليه أن ينبه الآخرين على أنه كيف الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى؟

طبعاً ليس المراد من العارف هنا هو المعنى الاصطلاحي يعني العرفاء، وإنما المراد من العارف - هنا - يعني من عرف هذه الحقيقة وهي أنه لا عبادة إلا بمعرفة، فوجب على كل عارفٍ مكلِّفٍ لأنه إذا لم يكن مكلِّفاً فلا يمكن أن يقال أنه يجب عليه تنبئه الآخرين.

س ٢٢: لماذا قيد العارف هنا بكونه مكفاراً؟

ج: باعتبار أن الملائكة أيضاً تعرف هذه الحقيقة، ولكن هل هناك أيضاً وجوبُ شرعيٍ عليها بأن تنبه الغافلين؟ لا يوجد عليها ذلك، فلهذا قيد العارف بالإضافة شيءٍ جديدٍ له، قال: عارفٌ ومكلَفٌ، بتنبيه الغافلين وإرشاد الضالين.

س ٢٣: كيف يقوم العارف المكلف بتنبيه الغافلين وإرشاد الضالين؟

ج: قال السيوري: وذلك بتقرير مقدمات، أي: لا بد أن يبين هذا المطلب ببيان مقدمات، بشكل تكون هذه المقدمات، ذات إفهامٍ وتبيين، أي: هذه المقدمات لا بد أن تفهم الغافل وتبيّن له أن الطريق إلى المعرفة اليقينية هذا.

س ٢٤: اذكر لنا مقدمة من تلك المقدمات لمعرفة الحق سبحانه؟

ج: قال المقداد السيوري مع التوضيح لبعض العبائر بعد جعلها بين قوسين.
(فمن تلك المقدمات) هي (المقدمة الموسومة بالباب الحادي عشر) إذن إحدى المقدمات لمعرفة الحق التي يتوقف عليها عبادة الحق سبحانه وتعالى هو أن يدرس الإنسان الباب الحادي عشر باعتباره يمثل مقدمة الطريق، ومن أراد أن يتعقب أو يتبع فالطريق مفتوح أما لو ترك التعرف حتى على هذا المقدار فالطريق مسدود، أي: لا يمكن أن يعبد الله حق العبادة، فمن تلك المقدمات هي المقدمة المسماة بالباب الحادي عشر وهي (من تصانيف شيخنا وإمامنا، الإمام العالم الأعلم الأفضل الأكمل سلطان أرباب التحقيق، أستاذ أولي التنقيح والتدقيق، مقررُ المباحث العقلية، مهذبُ الدلائل الشرعية آية الله في العالمين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، جمال الملة والدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن

المطهر الحلي) المعروف بالعلامة الحلي (قدس الله روحه، ونور ضريحه، فإنها) أي: المقدمة الموسومة بباب الحادي عشر (مع وجازة لفظها) إلا أنها (كثيرة العلم، ومع اختصار تقريرها) إلا أنها (كبيرة الغن).

(وكان قد سلف مني في سالف الزمان أن أكتب شيئاً يعين على حلّها بتقرير الدلائل والبرهان، إجابة لالتماس بعض الإخوان، ثم عاقدني عن إتمامه عوائق الحدثان ومصادمات الدهر الخوان إذ كان (أي: الدهر) صاداً للمرء عن بلوغ إرادته وحائلاً بينه وبين طلبه).

(ثم انْقَضَ الاجتماع والمذاكرةُ في بعض الأسفار مع تراكم الأشغال وتشويش الأفكار، فالتمس مني بعض السادات الأجلاء أن أعيد النظر والتذكرة لما كنت قد كتبت أولاً، والمراجعة إلى ما كنت قد جمعت، فأجبت ملتمسَه) أي: ما التمسه مني بعض الأخوان (إذ قد أوجب الله تعالى على إجابته) باعتبار أنه مؤمنٌ وطلب مني حاجة.

(هذا مع قلة البضاعة وكثرة الشواغل المنافية للاستطاعة،وها أنا أشرع في ذلك مستمدًا من الله تعالى المعونة عليه ومتقربًا به إليه، وسيتهـ»النافع يوم الخشر في شرح الباب الحادي عشر»).

وما توفيقـي إلا بالله، عليه توكلـت وإليه أنيـب.

هذه هي المقدمة التي ذكرها الشارح المداد السيوري.

الفقرة الخامسة:

قوله في المقدمة وهي تقع في بيان وتوضيح وجوب معرفة أصول الدين، وفيها أي: وفي هذه المقدمة عدّة أمور:

الأمر الأول:

في بيان وجه تسمية هذا الكتاب ومعاني الوجوب والأصول والدين.

قال - أَيُّ العَلَمَةُ الْحَلَّيِ فَلَيْلَةُ - : الْبَابُ الْحَادِيُ عَشَرُ، فِيمَا يُجْبِي عَلَى عَامَةِ
الْمَكْلُفِينَ مِنْ مَعْرِفَةِ أَصْوْلِ الدِّينِ.

س ٢٥: ما هو وجه تسمية هذا الباب بالباب الحادي عشر؟

ج: يحيى المقداد السيوري بقوله: (أقول: إنما سُمِيَّ هذا الباب الحادي عشر لأنَّ المصنُّف) وهو العلامة الحلبي فليلةً كان قد لخص و(اختصر) كتاباً باسم (مصابح المتهجد) وهذا الكتاب هو الذي وضعه شيخ الطائفة الإمامية ورئيسها في الفقه والكلام (الشيخ أبو جعفر الطوسي رضي الله عنه) حيث أن كتابه كان (في العبادات والأدعية)، (و) عندما لخصه العلامة الحلبي اقتضى منه الحافظة على نظم الكتاب لذلك (رتب ذلك المختصر على عشرة أبواب وسماه) أي: وسمى العلامة ذلك المختصر: (كتاب منهاج الصلاح في مختصر المصابح)، وحيث أن هذا الكتاب في العبادة والعمل، ولما تقدم من الشارح السيوري: إن العمل والعبادة لا يكون إلا بالمعرفة، فأضاف إلى كتاب الشيخ الطوسي فليلةً في آخر الأبواب العشرة باباً آخر وسماه بـ«الباب الحادي عشر» وهو ما يرتبط بالمعرفة وما يرتبط بمعرفة الله سبحانه وتعالى.

س ٢٦: كما تعلمون إن العبادة متاخرة رتبة عن المعرفة يعني: لكي يعبد الإنسان لابد وأن يعرف أولاً، فلماذا جعل هذا الباب بالباب الحادي عشر؟ حيث كان ينبغي أن يجعله بالباب الأول؟!

ج: يقال في محله: ذكر بعض المعلقين أن السبب في ذلك كي لا يكون عاماً في تشویش ترتيب الكتاب وإنما يقولون أنه بحسب النظم كان ينبغي أن يجعل هذا الباب بالباب الأول، ويجعل الأبواب الأخرى من الثاني إلى الباب الحادي عشر.

ولكنه حتى يحافظ على نظم الكتاب أي مصباح المتهجد للشيخ الطوسي نجد أنه جعل هذا الباب الذي يرتبط بمعارف الدين وبمعرفة الله سبحانه وتعالى في آخر الكتاب، وحيث أن الكتاب الذي اختصره عشرة أبواب فيكون هذا الباب الباب الحادي عشر.

لهذا قال الفاضل المقداد السعدي: (ولما كان ذلك الكتاب) وهو مصباح المتهجد وختصره وهو منهاج الصلاح (في فن العمل والعبادات والدعاء، استدعي ذلك إلى معرفة العبود والمدعوا) حيث كما تقدم من الشارح السعدي من أنه لا عبادة إلا بمعارفه يقينية، إذن (فأضاف) أي: العلامة الذي اختصر كتاب مصباح المتهجد، (إليه) أي: إلى ذلك المختصر (هذا الباب) وسماه الباب الحادي عشر حفظاً لنظم الكتاب.

س ٢٧: ما هو المراد من الوجوب في قوله: فيما يجب على عامة المكلفين؟

ج: طبعاً (الوجوب في اللغة) يأتي بمعنى (الثبت والسقوط، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا وَجَّهْتُ جُنُوبَهَا﴾^(١))

قال الزمخشري: وجوب الجنوب: أي: وقوعها على الأرض، من وجب الحائط وجبة إذا سقط، ووجبت الشمس جبة: أي: غربت، والمعنى: فإذا صفت الإبل

أيديها وأرجلها للنحر - أيام الحج - ﴿فَإِذَا وَجَّهْتُ جُنُوبَهَا﴾ أي: خررت صريعة بعد نحرها، حتى استقرت جنباتها على الأرض بالكامل كنهاية عن انتهاء حركتها^(٢).

هذا معنى الوجوب في اللغة وأمّا في الاصطلاح الذي يتعلّق ببحثنا المتواضع قال السيوري.

(و) تعريفه (اصطلاحاً) أي: أيُّ وجوبٍ مقصود منه هنا؟ قال إن المراد من (الواجب) هنا: (هو ما يُدْمِمُ تاركه) ولكن (على بعض الوجوه) لا مطلقاً.

س ٢٨: لماذا قال على بعض الوجوه، لا مطلقاً؟

ج: باعتبار أن الواجب إذا كان عيناً، فإنه يُدْمِمُ تاركه، أما إذا كان كفائيّاً، فإنه لاشك لا يُدْمِمُ تاركه فيما لو قام به البعض الآخر، فهنا لو ترك الواجب العيني فإنه يكون مستحقاً للذم.

س ٢٩: ما الفرق بين الواجب العيني والكافائي؟

ج: قال السيوري: (وهو) أي: الواجب (على قسمين): إما (واجب عيناً)، (و) تعريف الواجب العيني (هو مالا يُسقط عن البعض بقيام البعض الآخر به) وبتعبير أوضح: إن الواجب العيني: هو العمل الذي يجب القيام به من قبل كل شخص مكلف ولا يوجب القيام به من قبل البعض سقوطاً للتوكيل الشرعي عن البعض الآخر، أي: لابد لكل شخص مكلف من القيام بتوكيله الشرعي، كالصلاحة اليومية فإنها تجب على كل شخص مكلف، ولا تسقط بقيام الآخرين بهذا الواجب العيني الشرعي.

(و) إِمَّا هُوَ (واجب كفاية)، (و) تعريف الواجب الكفائي (هو بخلافه) أي: بخلاف الواجب العيني الذي يجب القيام به من كل شخص مكلف ويذم تاركه، أَمَّا الواجب الكفائي فإنه أيضاً في أول الأمر يكون واجباً على كل مكلف، ولكن إذا قام به البعض فإنه يسقط عن البعض الآخر من المكلفين.

ومثال الواجب الكفائي:

يجب في حال الاحتضار والنزع توجيه الميت المسلم إلى القبلة. ولكن هذا الوجوب كفائي فلو قام به البعض سقط عن الآخرين وإذا تَخَلَّفَ الجميع أثروا.

س ٣٠: معرفة الواجب سبحانه وتعالى من أي قسم؟ أي: إن وجوب المعرفة هل هو من الوجوب العيني؟ أم من الوجوب الكفائي؟

ج: قال السيوري: (المعرفة من القسم الأول) يعني أنه: واجب عيني ونفسي وتعيني، بل ويعتبر من أهم الواجبات عقلاً وشرعًا.

س ٣١: ما الفرق بين الوجوب العيني والنفسي والتعيني؟

ج: طبعاً تقدم تعريف العيني كما في السؤال «٢٩».

وأَمَّا الوجوب النفسي فهو: كما عُرف بأنه: ما وجب لنفسه لا لواجب آخر، وإن شئت قلت: إن الواجب النفسي ما يعاقب على تركه بما هو هو، بلحاظ عالم الإلزام وتحميل المسؤولية من قِبَلِ المولى على العبد، فإذا جعل نفس العمل كالصلة والصوم في العهدة واشتغلت الذمة به كان الفعل واجباً نفسيًا.

وأَمَّا الواجب التعيني فهو: الواجب بلا واجب آخر يكون عدلاً له وبديلاً عنه في عرضه، كالصلة اليومية مثلاً فلا يمكن أن يرخص في تركها مطلقاً: أي: لا يمكن أن يأتي بعمل عوضاً عن الصلاة.

س ٣٢: وما هو الشاهد على أن معرفة الواجب من القسم الأول؟

ج: طبعاً أشار إلى شاهدين وهمما كما يلي:

الشاهد الأول: هو قوله: على عامة المكلفين، إذ لو كان وجوباً كفائياً لما وجب على عامة المكلفين، أي: أن وجوب المعرفة إذا عرفه البعض فإنه لا يستلزم سقوطه عن البعض الآخر، فلا يجب عليه - على هذا البعض الآخر - أن يتعرف على المعبد وعلى المدعو وهو الله سبحانه وتعالى، هذه قرينة.

والشاهد الثاني: سيأتي ذكره بعد ذلك، قوله: ومن جهل شيئاً من ذلك خرج عن ريبة المؤمنين، ومن لم يعلم هذه الأمور التي نذكرها فهو أساساً ليس بمؤمن. من هنا يرى أن الواجب هنا هو الوجوب العيني، (فلذلك قال: «يجب على عامة المكلفين») ولو كان من قبيل الواجب الكفائي لما قال: على عامة المكلفين.

س ٣٣: من هو المكلف؟ وما هي شرائط التكليف؟

ج: قال: (و) المراد من (المكلف هو الإنسان الحيُ البالغُ العاقلُ)، والشرائط العامة للتوكيل عبارة عن أربعة أشياء وهي:

أ - البلوغ

ب - العقل

ج - القدرة

د - العلم

س ٣٤: عن أي شيء احترز في تعريف المكلف؟

ج: احترز أولاً بقييد الإنسان ليخرج العجمادات إذ أنها ليست بمكلفة.

واحترز ثانياً بقييد الحي باعتبار أن الميت ليس بمكلف.

واحتذر ثالثاً بقيد البالغ لسقوط القلم عن الصبي.

واحتذر رابعاً بقيد العاقل لسقوط القلم عن المجنون كذلك، وبهذين الشرطين الآخرين، أي الثالث والرابع أخرج الصبي والمجنون لأنهما يعتبران في الشرع مرفوعي القلم، ومسلوبية العبارة، فلا اعتبار بقولهما، ولا فعلهما.

قال النبي ﷺ (رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يختلم) ^(٣)

لهذا قال: (فالليت والصبي والمجنون) أخرجناهم عن دائرة المسؤولية باعتبارهم ليسوا بمحلفين).

س ٢٥ : اذكر لنا توضيحاً مختصراً عن شرائط التكليف؟

ج: الشرط الأول: هو البلوغ.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ ^(٤).

تبين هذه الآية الشريفة تطور الجنين بعد أن يولد طفلاً، حيث يتحول بعدئذ إلى شاب يافع قد بلغ أوج قوته **﴿أشدده﴾** أي: يتمتع بهيكل قوي وقامة منتصبة وتركيب جسمي رجولي وعضلات قوية وظام صلبة، تتناسب حركاته وسكناته وأخلاقه وأفكاره مع ما تتطلبه مرحلة الشباب.

على عكس ذلك مرحلة طفولة حيث تتميز بضعفها وعجزها عن فترة الشباب بقوتها وقدرتها تمايزاً كلياً، ولكل منها محیطه المستقل وسماته وخصائصه المحددة به.

فهيكل الطفل ضعيف وتركيبته طفولية وظامامه وعضلاته هشة، وحركاته وسكناته وأخلاقه وأفكاره كلها تصدر عنه وهي تناسب صغر حجمه، أنه يرغب

بالاختلاط مع الأطفال ويأرس لعبه المفضلة معهم، وما يختار من لعب تلائم مرحلته هذه.

وحيثما يكون بالغاً من الناحية الشرعية بتكامله العضوي، فإنه يصير مكلفاً فيجب عليه ما وجب على منْ وصل إلى سن الرشد، لهذا تشمله وجوب معرفة الواجب.

الشرط الثاني: هو العقل.

الذي يتاز الإنسان به عن المخلوقات الأخرى، حيث يملك قيمة أساسية وهي أن الإنسان بعقله يكون رشيداً فيمكن أن يعي به كونه مكلفاً ويحس بمسؤولية تجاه ذلك.

نعم إن أعظم ما في النفس هو العقل الذي هداها الله به إلى خيرها وشرها، تقوتها وفجورها، ما يصلح لها وعليها أن تأتي به، وما يفسدها وعليها أن تتركه.

عظيمةً جداً نعمة العقل الذي هو مرآة للطبيعة، تعكس ما فيها من خير وشر، وحسن وقبح، وجمال ودمامة، وأعظم منها المشيئة التي بها يتم انتخاب الإنسان لواحدٍ منهم، وبلغ بها البشر أرفع درجات الكمال.

ومن أبرز خصائص العقل، الانتقال من الحقائق المشهودة إلى الحقائق المغيبة من المسائل الجزئية إلى الحقائق العامة، من الأمثلة الواقعية إلى السنن الإلهية، ومن الظواهر المعروفة إلى القوانين العامة غير المعروفة.

وعندما يفقد الإنسان امتياز الانتقال مما يراه إلى ما يفعله، وما يصره إلى ما يستبصره، فإنه هو والحيوان سواء.

ومن أعظم ظواهر هذه الحقيقة الكبرى، أن الإنسان حين يتأمل الكون بما فيه من آثار رحمة الله وقدرته وعظمته، وينتقل إلى معرفة ربّه، فإنه من يعقل أي يحافظ على المعلومات، ويستثمر المبصرات، ويستفيد من الحقائق التي يراها، أمّا إذا لم يتأمل الكون، ولم يصل إلى حقيقة معرفة ربّه، فإنه من لا يعقل، بسبب جموده عند الظاهر، إذ أنه:

- يرى جريان الشمس لمستقرها، ولا يعرف أن ذلك من تقدير العزيز العليم.

- ويشاهد الودق يخرج من جبال السحب، ويتدفق كالغيث على الأرض الجرداء، ليحوّلها إلى جنة خضراء، ولكن لا يبصر أن هذا من رحمة الله.

- ويحس أن الإنسان ينام في الليل، ويصبح كالميّت - من وراء تحوله من المنام إلى اليقظة أو العكس - فتضطجع قدرة الله، ولا يبصر أصابع الغيب في ذلك.

ربّنا تعالى شأنه بعد أن يبيّن في سورة الروم طائفة من آياته التي جعلها دليلاً إليه، وسبباً لمعرفته، ووسيلة للتقارب إليه، يقول: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

- وهو لا يعرف أيضاً أن العقل هو الذي يذكرنا بالوحى وبهدينا إليه، كما أنّ الوحى هو الذي يستشير العقل ويستخرج كلامه ويوجه مسيرته نحو الحق، وإنّ من يتعلّم ويقرأ تجارب العقل البشري عبر التاريخ لا ريب يهتدي إلى أنّ الرسالة الإلهية ليست جنوناً، ولا إلقاءات الشيطان، ولا أساطير الأوّلين، وأنّها لا يمكن أن تتنزّل إلا من ربّ العالمين، لو أنصف الحق من نفسه وقصد سوء السبيل.

إلا أنّ المكذبين يكيلون التهم الباطلة التي يرفضها كل عاقل ليبرروا رفضهم للحقيقة، وتهربهم من المسؤولية التي تفرضها، ثم هل اكتفوا بذلك؟ كلا... لقد

حاولوا التأثير على الرسول ليداهنهم في بعض قيم الرسالة بما يحفظ مصالحهم ويحوّلها إلى طائفه من الطقوس الخفيفة الفارغة عن قيم الحق والتقوى والعدل والاجتهاد، فقالوا له ما قاله الطاغة لكلٍّ مصلح وداعيةٌ حقٌّ عبر التاريخ، قالوا: إنك مجنون، لماذا؟ لأنَّ القيم التي تؤمن بها وتسعى لنشرها تتنافى وقيم النخبة المستكبرة. التي تحكم بعصاب الناس، ثم جندوا لنشر هذه الدعايات إمكانياتهم المادية والمعنوية، وهكذا استهدفو هزيمة المصلحين نفسياً لعلهم يتنازلون عن بعض قيمهم.

وأمام المجمة التي يشنّها أولئك المضلّلون ضد الرسول والرسالة يقف الوحي مسدداً للرسول ﷺ ولكل الرسالين عبر التاريخ ومدافعاً عن قيم الحق حيث يؤكّد القرآن أنَّ ما يزعمونه ما هو إلا كذب وافتراء، وذلك بالذكرة ببعض البصائر نذكر واحدةً منها لارتباطها ببحثنا وهي:

إنَّ الرسالة التي يحملها الرسول ويدعو إليها نعمة إلهية لا يدانها جنون، لأنها حيث يدرسها الإنسان ويتدبر معاناتها يجدها قمة العقل، بل هي متقدمة بخطواتٍ كثيرةٍ على مسيرة العقل البشري لأنَّها من عند ربِّ العقول.

من هنا تتَّضحُ لنا أهمية العقل بالنسبة إلى المكلف العاقل فهو مسؤول ليثير عقله، لكي يربط المعلومات ببعضها، ويرتقي من خلامها إلى الحقائق الكبرى، وبالرغم من أنَّ ما في الحياة كلُّها آيات تشير إلى تلك الحقائق إلا أنَّ من لا يستشير عقله لا يستفيد منها شيئاً.

لهذا يحتز بالعقل لكي يخرج الجنون إذ لا تكليف عليه أو الأبله الذي لا يدرك الواضحات لبلاهته وقصور عقله.

الشرط الثالث: هو القدرة:

يقول السيد الشهيد الصدر رحمه الله حولها أن:

القدرة شرط عقلي للتکلیف، ولذلك لا يكلف الله أحداً إلا بما يقدر، فبقدر استطاعتك يكلفك الله، فمن عجز عن الطاعة كان معذوراً وسقط عنه التکلیف سواء كان التکلیف أمراً وإلزاماً بشيء وقد عجز عنه كالمریض يعجز عن القيام في الصلاة، أو نهیاً وتحریماً لشيء وقد عجز عن اجتنابه وتركه كالغريق يعجز عن اجتناب الخطأ.

قال تعالى: ﴿لَا يُکَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٥).

لهذا فالإنسان إذن مسؤول عن تصرفاته ومسؤول عن أفكاره، وعليه فهو مسؤول عن الإيمان أو الكفر في قلبه: إن الإيمان عمل مسؤول لصاحبته، ذلك لأن كلّ بشر يولد بالفطرة التي يستطيع أن يعرف الله بها، لو لا أنه يطمر فطرته في تراب الشهوات، ويحتجب وراء سحب الأساطير والخرافات، فلا يؤمن بالله، إلا الذين يستجيبون لفطرتهم ويستنيرون بنور العقل ويخرقون به حجب الغفلة والأساطير، إنهم يصممون على أن يقاوموا ضغوط الهوى باتجاه الفكر، وأن يتبعوا هدى العقل في الإيمان بالله.

لهذا بين الله تعالى في قرآنـه الكريم حدود مسؤولية الإنسان، إنها في إطار قدراته، فبقدر سعة قدرات الإنسان تتسع مسؤولياته، وكلّ إنسان يتحمل مسؤولياته دون مسؤوليات الآخرين، وذكر سبحانه وتعالى بعض الاستثناءات في المسؤولية منها، الخطأ والنسيان والخرج والعجز - الضرر - .

هذه الاستثناءات خاصة ليست دائمة بل في ظروف معينة كالجهاد في سبيل الله لا يستثنى عن المسؤولية شيء، ذلك لأن النسيان ينشأ من اللامبالاة، والخطأ ينشأ من عدم الجدية، أما الحرج والضرر، فهما يرافقان ظروف jihad بصورة طبيعية.

إلا أن التكاليف التي تسبب ضرراً لحياة الإنسان وابتعاداً عن سنن الله، كالرهبة والاعتزاز عن الناس والامتناع عن الزواج أو عن أكل الطيبات، إن هذا النوع من التكاليف كانت في الأمم لأسباب مرحلية، ولكنها انتفت في الإسلام لأن الإسلام ليس ديناً مرحلياً بل دين أبي، للبشر.

وقد خففت في الإسلام التكاليف المجهدة والتي سميت بالحرج فإذا أصبح الصوم مرهقاً لصاحبها ويستنفذ كل جهده وكل طاقته، يجوز له أنه أن لا يصوم، وكذا الحج وكل التكاليف.

الشرط الرابع: هو العلم:

أي أن يعلم الإنسان بأنه مكلف بمعرفة الحق، بدرجة اليقين والعلم أي: مائة بالمائة ويعني الجزم الذي لا يبقى معه مجال لأي تردد، وهذا يحصل بالعلم الذي قال عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : طالب العلّة :

(العلم محبي النفس، ومنير العقل، وعذبة الجهل) ^(٧).

لهذا يحيث أمير المؤمنين عليه السلام، على تحصيل هذا العلم، لأنه من شرائط تكليفهم الشرعي، فيقول عليه السلام :

(اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة) ^(٨).

نعم، يوفّقهم اللَّهُ تَعَالَى للهداية وينور قلوبهم، ويُطْهِرُها من أمانى الشيطان، فيعلمون أن الحق من ربهم فيؤمنون به، فتُصبح قلوبهم خاضعة للحق، مسلمة لأمر الله، ويهدى لهم الله بإيمانهم إلى صراط مستقيم، بينما يفقد الكفار نعمة اليقين فتراهم لا يزالون في ريب منه برغم كل آيات الصدق، حتى تأتيهم الساعة بغتة بالموت، أو يأخذهم الربُّ، بعذاب يوم عقيم، أي: لا مثيل له في عظم أمره.

من هنا يعتبر العلم مشعلاً وهاجاً يضيء درب الحياة المظلمة ويعصي الإنسان من الانحراف والسقوط في منعطفات الحياة.

ويسقط هذا التكليف عن الإنسان الجاهل لأنّه ميت وإن كان حياً، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رض (٩).

وتقصد بالجاهل هو الذي حُرم من التعلم لسبب ما، كما لو عاش في صحراء بعيدة عن جو حصول العلم والمعرفة لأنصرافه بأعمال كالرعى وتربية الأبقار، مع أنه يملّك عقلاً طبيعياً، إلا أن عقل من عاش في المدينة وفيها كل وسائل التعلم والثقافة، واكتسب نصيبيه من التربية الصحيحة والتعليم السليم، حيث يبدأ في السادسة من عمره بكسب العلم والتعلم ويرتقى عاماً بعد آخر في فصول دراسية أعلى، نلاحظ متى ما جمعنا بين الأخرين في سنة الثامنة عشر مثلاً أن هناك اختلافاً بينهما في المستوى الإدراكي والعقلي، فالمتعلم قادر أكثر من شقيقه على فهم الأسباب والمبنيات وتمييز الخير من الشر.

فالشخص المتعلّم يكون مؤهلاً لتحمل شرائط التكليف التي كرمه الله تعالى بها، وأما الشخص الفاقد لأسباب التعلم فقد حُرم تحمل مسؤوليته ليتحصل على المعرفة الإلهية (١٠).

والخلاصة:

إن شرط العلم هو من أجل تنجّز التكليف، وإلا فالتكاليف الإلهية كلها مشتركة بين العالم والجاهل، يعني على الكل أن يسعى لتطبيقها في الساحة العملية بالمقدار الذي يمكنه من تحقيقها.

س ٢٦: ما هو المراد من المعرفة في قوله: من معرفة أصول الدين؟ وما هو الفرق بين العلم والمعرفة؟

ج: في الحقيقة توجد أبحاث مفصلة في الكتب الاستدلالية أو في الكتب المنطقية أو الفلسفية أو الكلامية في الفرق بين العلم والمعرفة، ولكن حيث أنه لم يتعرض المصنف ولا الشارح لذلك، نحاول أن نختصر على محل الكتاب إلا إذا دعت ضرورة لذلك، باعتبار أننا نريد أن نبين هذا الكتاب أمّا التوسيع في التوضيح والتبيين فيتم في الموارد التي نجد ضرورة لذلك، وأمّا عند عدم وجود ضرورة للتتوسيع فنكتفي بالكتاب.

ولكن للإشارة المكتسبة لمعرفة النسبة بين المعرفة وبين العلم نقول:

رافد بعض أرباب المعاجم العربية بين المعرفة والعلم^(١١).

وفارق بينهما آخرون بأن قالوا: العلم هو إدراك الكلي والمركب، والمعرفة هي إدراك الجزئي والبسيط، والمعرفة تستعمل في التصورات، والعلم يستعمل في التصديقations، ولذا يقال: عرفت الله، ولا يقال: علمته^(١٢).

والمعرفة هي الإدراك المسبوق بنسیان حاصل بعد العلم، بخلاف العلم... ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف^(١٣).

ونقصد بالمعرفة أنها إدراك للجزئي والبسيط، طبقاً لما هو الراجح عند الفلاسفة، فإن المعرفة عندهم - تبعاً للغة - تطلق على إدراك الجزئيات، فيقال:

«عرفت زيداً» و«عرفت الله» ولا يقال: «عرفت الإنسان».

وحدثنا:

رادفوا بين المعرفة وبين الفكر...

كما رادفوا بين العلم والفكر...

وفرقوا بينهما بأن قالوا:

المعرفة، فكر غير منظم، والعلم: فكر منظم، أو معرفة منظمة.

من خلال ما تقدم اتضح لنا الفرق الموجود بين المعرفة وبين العلم، إلا إن
تعبرنا - في بحثنا - بالتعرف إنما نريد منه ما يرافق العلم الذي يتعلق بالجزئي
والكلي على حد سواء، ونريد منه مطلق الإدراك تصوراً كان أو تصديقاً، منظماً
أو غير منظم، وتفصيله موكول إلى محله، فلهذا لم يتعرض المصنف لتفصيل المعرفة
باعتبار أن المراد من المعرفة هو العلم بهذه الأمور: العلم بالواجب، العلم
بصفاته الشبوطية والسلبية ونحو ذلك، فلهذا تجدون أن السيوري انتقل مباشرة من
المعرفة إلى الأصول.

س ٢٧: ما هو المراد من الأصول؟

ج: قال السيوري: (الأصول) فهي (جمع الأصل وهو) أي الأصل - كما
يعرفه المعجم اللغوي العربي - (ما يُنتَى عليه غيره)^(١٤).

أو هو: ما يُبْنَى عليه الشيء، أو ما يتوقف عليه^(١٥).

أو أن المراد من أصل الشيء هو أساسه الذي يقوم عليه^(١٦).

يقول الدكتور عبد الهادي الفضلي:

وقد مرت كلمة «أصل» شأنها شأن الكثير من الكلمات العربية بمراحل
تطورات فيها دلالتها من معنى إلى آخر، حيث وضعت أول ما وضعت لأسفل

الشيء، «فيقال، أصل الجبل، وأصل الحائط، وأصل الشجرة»، ويراد به أسفل الجبل أي: قاعدته، وأسفل الحائط أي: أساسه، وأسفل الشجرة أي جذرها.

«ثم توسيع المعنى حتى تناول كل ما يستند وجود الشيء إليه، فالأب أصل الولد، والنهر أصل للجدول» وهكذا^(١٧).

وبعد ذلك تطورت دلالة الكلمة من الاستعمال في المعاني المادية المحسوسة التي ذكرت في أعلاه إلى التوسيع في دائرة الاستعمال لما يشمل الأفكار والأمور المعنوية، فأصبحت تطلق الكلمة في لغة العلوم، ويراد بها: القاعدة التي يُبني عليها الحكم.

ف عند ما يقال: «أصول العلم» فإنه يراد بها قواعد العلم التي تُبني عليها أحكامه، وهو المعنى المراد هنا.

فأصول المعرفة - في ضوء هذا - تعني أنها هي الأساس والقاعدة التي يُبني عليها الدين^(١٨).

وإلا لو لم توجد المعرفة فإن الله تعالى لا يقبل عملاً إلا بمعرفة كما في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام^(١٩).

فمن لا يعرف كيف يعبد الله تعالى؟ بل هو أساساً لا دين له، فلهذا ورد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام عند ما قال:

(أول الدين معرفته)^(٢٠).

فإذا أردنا أن يكون لنا دين فالدين لا يكون إلا على أساس المعرفة.

س ٢٨: ما المراد من الدين لغة؟

ج: قال، (والدين لغة) يأتي بمعنى (الجزاء) كما في قوله تعالى: «مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ» أي: يوم الجزاء الأكبر، الذي يملكه الله تعالى، فيجازي المؤمن بالجنة، ويجازي

الكافر بالنار - والعياذ بالله من النار - فيكون الدين لغةً بمعنى الجزاء، (ومنه) أي: ومن هذا المعنى اللغوي هو قول النبي ﷺ (كما تدين تدان) (٢١).

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٢). ففي هذه الآية المباركة تشجيع للبشر إلى المبادرة نحو الإيمان بالله سبحانه فيعدهم بأنْ يجازيهم بالحسنة عشر أمثالها، بينما لا يجازيهم بالسيئة إلا مثلها. وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (٢٣) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤).

قال أبو عبد الله العليلة كان علي بن الحسين يقول:

(ويل من غلت آحاده، فقلت له: وكيف هذا؟ فقال: أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فالحسنة الواحدة إذا عملها كتبت لها عشرًا، والسيئة الواحدة إذا عملها كتبت لها واحدة، فنعود بالله من يرتكب في يوم واحد عشر سيئات، ولا يكون له حسنة واحدة فتغلب حسناته سيئاته) (٢٥).

وتشير خاتمة الآية إلى أنّ جزاء العمل في الآخرة ذات العمل بعد أن يتجسد في صورة مادية. بشعة، فالظلم في الدنيا ذاته هي الظلمات التي تحيط ب أصحابها في الآخرة، ومن أكل أموال اليتامي ظلماً فإنما يأكلون في بطونهم ناراً، وسيصلون سعيراً، أما النتن الذي يخرج من أفواه الفاسقين فإنه ذاته الكذب الذي أفكوه أو الغيبة والتهمة والفرية التي مارسوها في دار الدنيا، دعنا نستغفر ربنا حتى يقينا شر السيئات التي اقترفناها، والذنوب التي احتطبناها.

والمحصل ما تقدم أن الدين في اللغة يطلق على الجزاء، فكما تدين فجزاؤك كذلك الإدانة، يعني: كما تجزي غيرك تُجزَى، وكما تفعل بغيرك يُفعل بك، وهذه من إحدى السنن الكونية التي وضعها الله سبحانه وتعالى في هذا العالم.

س ٣٩: وما هو المراد من الدين اصطلاحاً؟

ج: قال السيوري، (واصطلاحاً هو الطريقة والشريعة)، أي: هو السيادة القانونية حسب الشرائع الإلهية التي بعث الله تعالى بها الأنبياء كشريعة نوح وشريعة إبراهيم وشريعة موسى وشريعة عيسى عليهما السلام وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتعدد الأنبياء عليهما السلام لا يعني تعدد الديانات الإلهية بل هدفها الرئيسي هو التوحيد والوحدة فذكر القرآن مثلاً، أنَّ الله لا إله إلا هو... يقوم بالنظام العادل والمتمثل في الإسلام، الدين الوحيد لله، وهو لا يعني الخضوع لفئة من الناس، ولا حتى لشخص معين، إنَّما يعني التسليم لله وحده، وبذلك يضع القرآن أرضية الوحدة بين أبناء الرسالات السماوية.

كانت هذه تقدمة بسيطة لبيان إنَّ الله دينًا واحدًا فقط، قد تختلف بعرض تفاصيله من عصر لآخر ولكن أصوله هي تبقى، وتجري عليها الأمم المسلمة جيلاً بعد جيل.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢٦).

قال السيوري: (وهو) أي: الدين حسب المصطلح القرآني هذا هو (المراد هنا) أي: إن المراد بحثه في هذا الكتاب ليس هو المعنى اللغوي للدين، وإنما هو الدين الاصطلاحي والذي يعني: الشريعة وهي شريعة الإسلام.



والأنبياء عليهما السلام هم الأمانة لرسالة الله جل وعلا، الذين يخلصون الدعوة إلى الله لا إلى أنفسهم، ولا إلى الملائكة أو الأنبياء، ويصدق بعضهم ببعض، ففقاً للميثاق الذي اتخذه الله منهم قبل أن يحملهم مسؤولية الرسالة أن يؤمنوا بالنبي الذي يبعث إليهم وينصرونه، فوافقوا جميعاً عليه، وأشهدوا الله على أنفسهم.

وهذا في الواقع هو الإسلام بمعناه الصادق، فهو تجerd كامل عن الذاتية، وتسليم مطلق لله، تماماً كما أسلمت السماوات والأرض لسنن الله.

وبالنسبة لنا يعني هذا الإسلام، الإيمان بجميع الرسل انطلاقاً من وحدة الرسالات السماوية.

س ٤٠ : هل لكم توضيح عن قول السيوري: هو الطريقة والشريعة؟

ج: نعم نذكر - قارئي الكريم - توضيحاً بسيطاً فنقول:

إن رسالة الله تعتبر مسؤولية وأمانة كبيرة يحملها الإنسان في الحياة، وتتركز عند الأنبياء والصديقين، وعند الذين ينصبون أنفسهم دعاة إلى الدين وهي - في ذات الوقت - مسؤولية ثقيلة وذات قيمة كبيرة، لأنها أداة لتوجيه الناس إلى الحياة السعيدة وإلى مقاومة الجبتو الطاغوت، ولنا أن نتصور أن قدرة الإنسان في ضبط نفسه عن شهواته متصلة بفهمه الصحيح لرسالة الدين في الحياة، إذ أنها هي تحدره من مغبة الاسترسلام مع الشهوات.

وتبين له أن لقمة واحدة يضغها الإنسان بشهواته، قد تمنعه من الأكل الهنيء طول حياته، وأن ساعة واحدة من الغفلة واللإرادة، قد تجعل حياته وإلى الأبد جحيناً لا يطاق، وأن أي شهوة طائشة أو جريمة، أو ذنب، أو هفوة، توجب عليه الحساب والعقاب الأليم في الآخرة، وبالتالي رسالة الدين تجعل إرادة الإنسان قوية وقدرة على ضبط الشهوات وتوجيه طاقاته نحو الجد.

هذا ما يقوم به الدين الاصطلاحي ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لدراسته
ودراسة أقسامه الخمسة في هذا الكتاب فهي الصانعة لكمال الإنسان.

من هنا: يتوجب علينا جميعاً الإخلاص لدين الله تعالى الذي جعله المصدر
الوحيد للسيادة والتشريع من خلال القرآن الكريم، حيث كرمَّنا بحمل رسالة
الدين والعلم، الدين المتمثل في الكتاب، والحكمة المتمثلة في تطبيق الدين على
واقع الحياة، والذي يحتاج بالطبع إلى المعرفة بالحياة عن طريق العلم.

فالعودة إلى دين الله تعالى، تعني العودة إلى سنن الحق الحاكمة على الكون،
لأننا لا يمكننا البقاء طويلاً في مواجهة كل قوى الكون، وإذا متنا فنحن راجعون
إلى الله.

هذا دين الله: الإيمان بما أنزل على الأنبياء الأسبقين من كتاب، وما أُوتى
الأنبياء الآخرون من كتاب وحكمة ومعاجز، ولاسيما الإيمان بما أنزل على خاتم
الأنبياء من شريعة وهي الشريعة الإسلامية.

* * * *

المواهش:

(١) سورة الحج الآية .٣٦

(٢) الكشاف للزمخشري بتصريف ج ٣ ص ١٥٨.

(٣) ميزان الحكمة ج ٨ حديث رقم ١٧٤٨٦.

(٤) سورة الحج الآية .٥

(٥) سورة البقرة الآية .٢٨٦

(٦) ميزان الحكمة ح ٦ حديث رقم ١٣٣٧٨.

(٧) نفس المصدر حديث رقم ١٣٣٨١.

- (٨) ميزان الحكمة ج ٢ حديث رقم ٢٨١٨.
- (٩) يتصرف من (الشباب بين العقل والعاطفة) للفلسي ج ١ ص ١٦٥.
- (١٠) انظر: المعجم الوسيط: مادة (علم).
- (١١) انظر: محيط الخيط: مادة (عرف).
- (١٢) نقاً عن كتاب أصول البحث للفضلي ص ٢٧.
- (١٣) انظر التعريفات، مادة (أصل).
- (١٤) انظر، الصاحب، مادة (أصل).
- (١٥) انظر: المعجم الوسيط مادة (أصل) بتصرف.
- (١٦) انظر: معجم لاروس: مادة أصل.
- (١٧) نقاً عن أصول البحث للفضلي بتصرف ص ٩.
- (١٨) انظر: ميزان الحكمة ج ٦ حديث رقم ١١٨٧.
- (١٩) نفس المصدر ج ٦ حديث رقم ٦١٩٤.
- (٢٠) انظر: نهج الفصاحة، حرف الكاف.
- (٢١) سورة الأنعام الآية ١٦٠.
- (٢٢) سورة غافر الآية ٤٠.
- (٢٣) سورة القصص الآية ٨٤.
- (٢٤) نور الثقلين ج (١) ص ٧٨٥.
- (٢٥) سورة آل عمران الآية ١٩.



غرائب المرتاضين وكرامات الأولياء

غازي عبد الحسن إبراهيم

إن الأمور الخارقة للعادة لها الأثر البالغ في إيجاد الإيمان والاعتقاد الراسخ بصدق دعوى المدعى، وربما يفوق الأثر الذي تتركه الأدلة والبراهين في نفوس عامة الناس، وهنا تكمن أهمية التفريق العلمي الواضح بين الأمور الخارقة للعادة التي تصدر من الأولياء وتدل على صدق دعواهم وأحقيتهم وشدة قربهم من المولى عز وجل، وبين الأمور الغريبة وغير المألوفة التي تصدر من بعض المرتاضين الذين يمارسون المجاهدات غير الشرعية - غالباً - من إهانة مقدسات وكثرة جوع وقلة نوم وما شابه ذلك.

و قبل البدء في بيان الفوارق الجوهرية بين غرائب المرتاضين وكرامات الأولياء، لابد أن نسلط الضوء على مفهوم الأمور الخارقة للعادة، حيث أن هناك من الأمور ما تُعد خارقة لنظام العقل ومضادة لأحكامه، كاجتماع التقىضين وجود المعلول بلا علة، فإن هذه الأمور يحكم العقل باستحالتها ذاتاً وامتناع وقوعها وتحققها^(١)، وهناك من الأمور ما تُعد خارقة لنظام الطبيعة ومضادة لقوانينه، وهي محالة في نطاقه، وإن كان العقل يحكم بإمكان تتحققها وعدم استحالتها ذاتاً، وعرش بلقيس مثل جلي في المقام، حيث جرت العادة على أن نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر إنما يتتحقق في إطار عوامل وأسباب طبيعية، وفي فترة زمنية تتلاءم مع ذلك النظام، بيد أن عرش بلقيس قد تم إحضاره من بلاد اليمن إلى بلاد الشام من دون التوصل بشيء من الأجهزة والآلات العصرية المتطورة والمعارفة، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ

طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّيْ غَنِيٌّ كَرِيمٌ^(٢)، فهذا العمل يكون خارقاً للعادة، ولكنه غير خارق للعقل، باعتبار أن الأمور الخارقة للعادة هي أيضاً تخضع لنظام له عللها وأسبابه، إلا أنه نظام مختلف عن نظام الطبيعة وعلله المادية، أي أن الأمور الخارقة للعادة لا تتنافي مع قانون العلية، باعتبارها ظواهر إمكانية يتوقف وجودها على وجود عللها، بيد أن تلك العلة ليست من سُنْخ العلل المادية^(٣).

وتتحقق هذه الأمور الخارقة للعادة من خلال توجه نفس الإنسان وروحه، فالنفس كما أنها تمتلك السيطرة على أعضاء البدن فتنقاد لإرادتها وتتحرك قياماً وقعوداً بمشيئتها، فكذلك هي - أي النفس - تسيطر - في ظروف خاصة - على موجودات العالم الخارجي، فتقودها بإرادتها وتخضعها لمشيئتها، فعندما يبطل مفعول العلل المادية في مقام التأثير

بطبيعة الحال، فإن كل ذلك إنما يتم من خلال قدرة الله جل جلاله، ولا يمتلك الإنسان - مهما سُمِّت كمالاته وعلت مقاماته - القدرة الاستقلالية الذاتية على الإتيان بتلك الأمور، وذلك لأن الآثار الوجودية التي تصدر من كل فاعل ومؤثر - غير المولى جل شأنه - تكون منوطة في مرتبتها العليا بالإذن والإرادة التكوينية الإلهية، ومستندة إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أشار إليه السيد الخوئي^{فقيه} في معرض حديثه عن ولادة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة وأزكي التحيات، حيث قال: (لا شبهة في ولائهم على المخلوقات بأجمعها، كما يظهر من الأخبار، لكونهم واسطة في الإيجاد، وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق، إذ لو لاهم لما خلق الناس كلهم، وإنما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم، وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق، وهذه الولاية نحو ولادة الله تعالى

على الخلق ولالية إيجاديه، وإن كانت هي ضعيفة بالنسبة إلى ولاية الله تعالى على الخلق)^(٤). وقد جاء في كتاب بصائر الدرجات وغيره من الكتب، جملة من النصوص تصب في هذا المعنى، منه قوله (أي الصفار): حدثنا محمد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن ساعدة بن مهران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الدنيا تمثل للإمام في فلقة الجوز، مما تعرض لشيء منها وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائده ما يشاء، فلا يعزب عنه منها شيء)^(٥).

ومن مصاديق الأمور الخارقة للعادة، المعاجز والكرامات، المشهور في تعريف العجزة هي أنها ((أمر خارق للعادة، مقررون بالتحدي، مع عدم المعارضة))، وقد فرق بعض بين العجزة والكرامة من خلال القول باختصاص العجزة بالأئبياء والكرامة بالأولياء، وفرق بعض آخر بينهما وقال بأن العجزة هي ما ظهرت على وجه التحدي، والكرامة ما لا تحدى فيها، وذهب بعض آخر إلى عدم وجود الفرق بين العجزة والكرامة، ودليله على ذلك هو أن النبي ﷺ قد أتى بأمور خارقة للعادة ولم تكن مقرونة بالتحدي، ولم يرد بأنها سميت كرامة، واستقرب هذا البعض وقال بأن كلمة كرامة ليست سوى اصطلاحاً مخترعاً، ولا تفترق عن العجزة في معناها، ولعلها من مخترعات الصوفية، نخلوها أولياءهم ثم تسربت منهم إلى غيرهم^(٦).

بعد أن قمت هذه المقدمات، إذن كيف نفسر ما يقوم به بعض المرتاضين من أعمال غريبة ومدهشة، كرفع الأجسام الثقيلة التي لا يتيسر رفعها إلا عن طريق الآلات، والنوم على المسامير الحادة من دون حصول حالة إدماء، والإخبار عن بعض المغيبات، وغير ذلك من الحوادث، وكأعمال السحر والمشعوذين، وما يقوم به أساتذة التنويم المغناطيسي؟؟؟؟

في مقام الإجابة عن هذه التساؤلات، لابد لنا من توضيح مجموعة من الضوابط، والتي يكمنها أن خلاها أن نفرق بين أعمال المرتضىين وغرائبهم، وكرامات الأولياء والأنبياء ومعاجزهم، وفي ما يلي نشير إلى بعض من تلك الضوابط :

أولاً :

إن أعمال المرتضىين خاضعة لمناهج تعليمية، لها مقرراتها وأساتذتها وتلامذتها، وهي بحاجة إلى ممارسة حثيثة كي ما يصل روادها إلى النتائج المتواحة، وذلك بخلاف كرامات الأولياء والأنبياء ومعاجزهم، فهم لم يدرسواها على ضوء مناهج محددة، ولم يأخذوها من أستاذ، ولم يتمرنوا على الإتيان بها مراراً وتكراراً، نعم، الوصول إلى هذه المراتب يتوقف على تحصيل كمالات روحية ونفسانية راقية، تختلف باختلاف الأولياء من حيث قربهم إلى الله عز وجل ومعرفتهم به سبحانه.

ثانياً :

إن أعمال المرتضىين بما أنها من نتاج التعليم والتعلم، فلذا يكثر وقوعها والإتيان بمثلها لكل من تلقى تلك الأصول وقرن عليها، وحينئذ تكون قابلة لل المعارضة وإبطال التأثير على يد من تمرن عليها أكثر وأتقن منهاجها وتفاصيلها أكثر، بينما الكرامات والمعاجز ليست كذلك.

ثالثاً :

إن أعمال المرتضىين محدودة من حيث التنوع، أي أنها تدور في فلك واحد، وعلى و蒂ة واحدة، بحيث لو طلب منهم شخص أن يأتيوا بما لم يتدربوه عليه ولم

يارسوه، لما تمكنوا من ذلك، بينما المعاجز والكرامات تتتوفر على جانب كبير من التنوع في الكيفية، كعاصا نبي الله موسى عليه السلام التي تحولت إلى ثعبان، وأصابات الحجر فانفجر منه الماء، وأصابات البحر فانفلق شطرين.

دابعاً :

إن المرتاضين حينما يخبرون عن بعض المغيبات، إنما يتم ذلك في إطار الكشف الصوري غير الحقيقى، أي إطلاع الإنسان على المغيبات المختصة بالخلق، أما الحق، فهم محظوظون عنه، بينما الأولياء حينما يخبرون عن بعض المغيبات، إنما يتم ذلك في إطار الكشف الحقيقى المعنوى، أي بظهور المعانى والحقائق الغيبية، وهذا الإخبار إنما يحصل بسبب تزكية النفس ومجahدتها بالجهادات الشرعية.

خامساً :

إن غاية المرتاضين تمثل - عادةً - بكسب الشهرة والسمعة بين الناس،
وجمع الأموال والثروة، أما الأولياء الحقيقيون فهم - دائمًا - أصحاب مبادئ
وغيارات سامية، يتولّون من خلال كراماتهم ومعاجزهم لإثبات صدق دعوتهم
إلى الله عز وجل وأحقية مبادئهم بما يعود بالنفع والخير على كافة البشر في أمر
دنياهم وآخرتهم.

هذه بعض الضوابط التي يمكننا من خلالها أن نميز بين غرائب المرتاضين وكرامات الأولياء، فنكون حيتنا على بصيرة من أمر ديننا ودنيانا، حيث أن العالم بزمانه لا تهجم عليه اللواكب. والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) دروس في العقيدة الإسلامية، الشيخ مصباح الزيدي، ص ٢٥٣
- (٢) سورة النمل، الآية ٤٠
- (٣) الإلهيات، الشيخ السبحاني، ج ٣ ص ٧٤
- (٤) مصباح الفقاهة، السيد الخوئي ج ٣ ص ٢٧٩
- (٥) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار ص ٤٢٨
- (٦) سيدة عش آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ص ١١٣

لَا شَبَهَةٌ فِي وَلَا يَتَّهِمُ عَلَى
الْمُخْلوقَاتِ بِأَجْمَعِهَا، كَمَا يُظَهِّرُ
مِنَ الْأَخْبَارِ، لِكُونِهِمْ وَاسْطَةٌ فِي
الْإِيجَادِ، وَبِهِمْ الْوِجْدَادُ، وَهُمْ
السَّبَبُ فِي الْخَلْقِ

السيد الخوئي قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ

الحق والباطل

عيسى جاسم القفاص

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطاهرين، واللـعنة الدائمة على أعدائهم
أجمعين إلى قيام يوم الدين، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾

مقدمة:

قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أُودِيَّةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَأِيَا
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتَغَاءَ حِلْيَةً أَوْ مَتَاعً زَبَدًا مُّؤَدِّيَ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ
وَالْبَاطِلَ فَمَا الزَّبَدُ فَيَذَهَبُ جُفَاءً وَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(١)

تعتبر مسألة الحق والباطل من المسائل التي تمثل الخطرين الرئيسيين لجهتين، على مر التاريخ وفي كل مكان، جبهة نحو الكمال وعلى الصواب، وجبهة في أسفل سافلين، ويبين هذه المسألة الحساسة المصيرية الباري عز وجل في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾^(٢). وتتمثل مسألة التمييز الحقيقي الدقيق بين الحق والباطل سواءً على المستوى النظري أو التطبيقي، مسألة من أصعب المسائل المصيرية التي تحدد حياة وقيمة ومصير كل فرد، لذا كان العلماء الأتقياء هم أول من يميز ذلك، ويكون بذلك هادياً وحججاً على الناس ومصداقاً للحق، قال تعالى ﴿وَرَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَهُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ

الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ^(٣)، وتبداً هذه المسألة من الأمور الواضحة، إلى الأمور المعقدة الدقيقة التي تحتاج للدقة والجهد الكبيرين، ولا يدرك خطورة هذه المسألة إلا الباحث الحقيقي عن الواقع والكمال الحقيقى، الذى فيه الصلاح والعزة، ومن لا يشعر بذلك فهو مريض النفس والعقل، لذا نرى أكثر الناس عناءً للوصول إلى الحق والواقع هم العلماء، فكل حياتهم لطلب الحق والسير وفقه، لذلك هم أرفع الناس عند الله، قال تعالى : **﴿يُرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾**^(٤) لأن قيمة الإنسان بما يملك من الحق والحقيقة، ولذلك يتميز علماء الدين الأبرار بالجدية المتميزة في التحصيل من بدايات حياتهم وحتى النهاية، وليس ذلك إلا نتاج عشق الحق والحقيقة، والحذر من الباطل، والوقوع في الخطأ والشبهات، ولا بد أن يكون طالب العلم طالباً بهذه الذهنية وهذا المهدى، وفي هذا البحث المتواضع نريد أن نطل إطلالةً سريعةً على حقيقة الحق والباطل وبعض الأمور المرتبطة بهذين المفهومين، ومنه التوفيق.

الحق والباطل :

إن التحليل الدقيق النظري لمفهومي الحق والباطل من المسائل المهمة جداً فيما يرتبط بالفهم الديني، فكل فكر يعرف الحق والباطل بما يراه وما يحمل من فكر وثقافة، ونحن نريد أن نفهم الحق والباطل من منظار القرآن والروايات المقصومة والعقل، إذ القرآن هو الحق قال تعالى **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**^(٥). والروايات تمثل كلام من هم مدار الحق فقد ورد عن النبي ﷺ (عليه السلام) مع الحق والقرآن والحق والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض^(٦). وبامتلاكتنا بوضوح لهذين المفهومين، نستطيع

تطبيقاتهما بعد ذلك على مصاديقهما الخارجية، فبدون المعرفة النظرية الدقيقة، يتعرّض التمييز الصائب في الخارج، لذا نقف وقفه قصيرةً لبيان هذين المفهومين من الجهة النظرية.

مفهوما الحق والباطل:

نبدأ في بيان هذه النقطة بكلام للعلامة الجليل صاحب تفسير الميزان في تفسير الآية التي صدرنا بها البحث حيث يقول: (وقال الراغب: الباطل نقىض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ وقد يقال ذلك في الاعتبار إلى المقال والفعال يقال: بطل بطالاً وبطلاً وأبطله غيره قال عز وجل: ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقال: ﴿لَمْ تَلِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾) انتهى موضع الحاجة.

فبطلان الشيء أن يقدر لشيء نوع من الوجود ثم إذا طبق على الخارج لم يثبت على ما قدر، ولم يطابقه الخارج، والحق بخلافه، فالحق والباطل يتصنّف بهما أولاً الاعتقاد ثم غيره بعنایة ما، فالقول نحو السماء فوقنا والأرض تحتنا يكون حقاً لمطابقة الواقع إيه إذا فحص عنه وطبق عليه، ولو قلنا السماء تحتنا والأرض فوقنا كان باطلاً لعدم ثباته في الواقع على ما قدر له من الثبات، والفعل يكون حقاً إذا وقع على ما قدر له من الغاية أو الأمر كالأكل للشبع والسعى للرزق وشرب الدواء للصحة مثلاً إذا أثره وبلغ غرضه، ويكون باطلاً إذا لم يقع على ما قدر له من الغاية أو الأمر والشيء الموجود في الخارج حق من جهة أنه موجود كما اعتقد، كوجود الحق تعالى، والشيء غير الموجود وقد اعتقد له الوجود باطل، وكذا لو كان موجوداً لكن قدر له من خواص الوجود ما ليس له

كتقدير البقاء والاستقلال للموجود الممكن فالموجود الممكن باطل من جهة عدم الاستقلال أو البقاء المقدر له وإن كان حقاً من جهة أصل الوجود قال: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل)^(٧). تطرق السيد في هذا المقطع النوراني لعدة نقاط في ما يرتبط بحقيقة الحق والباطل، الجهة الأولى، الحق والباطل فيما يرتبط بالاعتقاد، والثانية في يرتبط بالأعمال فعندها عمل باطل وعمل حق، والثالثة أن الحق يساوي الوجود والباطل بخلافه، ونحن ن تعرض لهذه النقاط الثلاث بشيء من التحليل والبسط مع ضرب الأمثلة.

كل موجود حق من جهة كونه موجود هذه هي النقطة الأخيرة التي تعرض لها السيد في هذا المقطع، ولكن نذكرها كأول نقطة لكونها مهدة للنقطتين التاليتين، وهذا المعنى الذي يطرحه السيد من أجمل المعارف الإلهية التي تنبع من التوحيد الأفعالي، إذ أنها نعتقد أن كل وجود فهو منه سبحانه، إذ لا مفيض للوجود إلا الواجب، ولذا نرى أن كل وجود من هذه الجهة (أي كونه) موجود فهو حق، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾^(٨). وإذا أضفنا لهذه الآية قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٩) ففهم بشكل جيد أن كل ما في الوجود حق لا باطل فيه لأنه صادر من الحق المحس من كل الجهات وهو الله سبحانه وتعالى ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾^(١٠) والحق المطلق لا يصدر عنه إلا الحق إذ ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ هُدَى سِيرًا﴾^(١١).

من هنا يكون كل الوجود حق وجميل من جهة كونه موجود، ولم يخلق الله شيئاً باطلأً، لذا يقول السيد (والشيء الموجود في الخارج حق من جهة أنه موجود كما اعتقد) فالموجود حق من جهتين، من جهة وجوده إذ كل وجود حق، والثانية إذا اعتقد أنه كما هو من الوجود فهذا الاعتقاد حق به حق أيضاً، الموجود الذي

اعتقدنا أنه له بعض الخواص التي في الواقع ليست موجودة فيه، كاعتقادنا أن الشمس واجب الوجود، فهذا الاعتقاد باطل وكون الشمس واجبة في الخارج باطل لأنَّه عدم ولا واجب إلا الله سبحانه وتعالى. إذن تلخص في هذه النقطة أنَّ الحق مساوٍ للوجود، وتارة يكون الحديث عن أصل الوجود وتارة عن خواص الوجود التي هي نحو من الوجود أيضاً، والاعتقاد المتعلق بما له حقيقة فهو حق، والاعتقاد الذي ليس له واقع فهو باطل، يعني أنه باطل من جهة حيثية الاعتقاد به لا في أصل وجوده، فمثلاً فكرة أن هناك خالق للخير وخالق للشر فكرة باطلة بمعنى لا واقع تطابقه، ولكنها حق بمعنى أنها موجودة ولها معتنقين مصدقين بها. يقول صاحب تفسير الأمثل: (وذلك لأنَّ الحق هو الحقيقة والحقيقة هو الوجود وكل وجود ناشئ من وجوده لذلك فكل باطل عدم والعدم غريب عن ذاته) ^(١٢).

الحق والباطل الاعتقادي:

بعد بيان النقطة الأولى تتضح جيداً هذه المسألة، وهي أنَّ المعيار في كون الشيء حقاً هو كونه مطابق لصيق الواقع، لا أنَّ المعيار هو ما يراه الإنسان أو ما يستحسن أو غير ذلك من أمور، وعليه فكل عقيدة لا بد أن تخضع لهذا المعيار لنرى أنها حق أولاً، فالفكرة التي يُرى لها أنها هي الصواب، وعند التحقيق يتبيَّن أنها غير صائبة بل خاطئة، يعني عند التحقيق تبيَّن خلاف ما كان قد اعتقد لها هي باطل، أمَّا الفكرة الموجودة التي يُرى لها نوع من الخاصية، وعند البحث نرى انطباقها في الواقع عن طريق الدليل فهذه فكرة حَقَّةً، ولذلك يعبر عن جميع المعتقدات الإلهية أنها حق.

يقول صاحب مواهب الرحمن في تفسير الآية التي صدرنا بها البحث: الحق يأتي لمعان متعددة منها الإيجاد والحكمة التامة ومطابقة الواقع وغير ذلك وقد ورد

في القرآن الكريم بالنسبة إلى جميع المعرف من المبدأ والمعاد، وصفات الباري عزَّ وجلَّ وأفعاله وتشريعاته المقدسة، وعن جمٌ من أعلام الفلسفه أن الحق يقال للمطابق للمخبر عنه وللموجود الحال بالفعل والموجود الذي لا سبيل للبطلان إليه أبداً فهو تعالى حق من حيث صفاتِه وأفعاله وجميع شؤونه، وقد خصص بعض أكابرهم في شرح هذه المادة صفحات من كتابه الكريم كلها تنطبق على المعرف الربوبية وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في ما يقرب من أربعين مورد، فسبحان الذي يكون هو أصل الحق ومنبعه ومرجعه، ولا حق غيره وما سواه باطل، وقد عدَ الحق من أسماء الله الحسنى، وينبعث شعاعه إلى جميع تشريعاته المقدسة، ولا يخلو الحق عن الحقيقة بخلاف الباطل ففي الحديث عن الأئمة المحدثة عليهما السلام: (على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نور).^(١٣)

إذن معيارنا هو الواقع، فعندما يُدعى لفكرة أنها صائبة وكمال للإنسان، فقد قدر لها خاصية معينة، فإن طابت الواقع فهي حق وإنما فلا. ولذا نرى بوضوح تغير كثير من المعتقدات غير السماوية باستمرار، فهي دائمًا في حالة تحول وتبدل، وليس ذلك إلا لأنها ليست واقعاً بل هي أفكار استحسنها اللاهثون وراء الدنيا لصالحهم، أما المعتقدات السماوية فهي ثابتة على طول التاريخ بكل مبادئها، لكونها مطابقة للواقع ولا سبيل للبطلان إليها، من هنا نفهم قيمة معتقداتنا الربانية التي نعتنقها وما الخاصية التي تميزها عن غيرها.

الحق والباطل في الأفعال:

النقطة الثالثة التي تعرض لها السيد عليه السلام هي المعيار في كون الفعل باطل أو حق، فقال: (وال فعل يكون حقاً إذا وقع على ما قدر له من الغاية والأمر) وغاية

كل فعل بحسبه، فغاية الصلاة أحياناً تكون إسقاط الواجب، فإذا صلية من دون وضوء، فصلاتك باطلة يعني أنها لم تتحقق الهدف منها وهو إسقاط الواجب، وهكذا كل فعل، ولاستيعاب هذه المسألة بشكل أكبر نذكر مسألة مهمة تطرق لها الشهيد مطهري رحمه الله وهي أنه هل يوجد فعل باطل مطلق؟ أم أن كل فعل باطل فهو باطل نسبي؟ يقول الشهيد في كتابه المعاد: (ومن هنا يقال: ليس في العالم أي فعل باطل، فجميع الأعمال التي نصفها باللغو والباطل في هذه الدنيا، هي لغو وباطل نسبي، وهذه حقيقة، لقد اعتقد بعض الأشخاص أن يعبد بالمسبحة، وعندما تأسله عن فائدة ذلك يجيبك لا شيء، وهذا صحيح ولكن الذي يفعله ليس خالياً من فائدة تماماً، فلو نظرنا إلى العمل على أساس المنطق وسائلنا صاحبه: إنك إنسان عاقل ومنطقي، فهل فكرت بأثر هذه الممارسة؟ لأجاب بالنفي فهو إذن عبشي، بيد أن هذا الفعل الذي لا يسوغ على أساس العقل والمنطق هو تعبير عن عادة يستشعر الإنسان الراحة بمارستها، فهي ليست عبشاً من جهة تلك القوة التي تتأمن راحتها بهذا العمل، بل اللغو بنظر تلك القوة هو أن لا يكون وجود الفعل في مثل هذا الموضع) ^(١٤).

وبضم كلام الشهيد مع كلام السيد نفهم أن العمل الباطل هو الذي لم يقع كما أريد له، فهو من هذه الجهة باطل، ولكن من جهة أخرى لا يكون كذلك، فالذى يأكل للشبع لكن لم تتحقق هذه الغاية، فهو عمل باطل من هذه الجهة، ولكن من جهة أخرى يكون حقاً، فمثلاً من جهة تلبية إرادة في النفس يرتاح لتحقيقها الإنسان يكون حقاً لأنه أدى الغرض.

كل ما خلا الله باطل، ماذا تعني هذه العبارة؟

وبعد البيان المار كيف نفسر أن كل ما سوى الله باطل؟ المقصود من هذه العبارة أن الحق الخضر المطلق من كل جهة هو الله فحسب، وكل وجود مهما بلغ

كماله فهو محدود وناقص ويُشوبه العدم فيكون باطلًا من هذه الجهة، يقول السيد السبزواري: ولا حق غيره وما سواه باطل، ويقول في موضع آخر: الحق يشمل إرادته تعالى التكوينية والتشريعية فهو تعالى حق ولا حق إلا منه، وقد استعمل الحق في القرآن الكريم بوجوه من الاستعمالات، فتارةً ينسب الحق إلى ذاته الأقدس، وهو تعالى حق في ذاته وبذاته، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾^(١٥). وأخرى ينسبه إلى صفاته العليا، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ﴾^(١٦). وثالثةً، إلى أفعاله المقدسة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ﴾^(١٧). ورابعةً إلى نفس القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾^(١٨). وخامسًا على نبينا الأعظم ﷺ ودينه، قال تعالى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾^(١٩). وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾^(٢٠). والحق إذا أطلق لا يمكن الإحاطة بجميع جوانبه ونواحيه، ولا بد من الخضوع لديه والتسليم له، وهذا هو معنى الحق المطلق، الذي قال عنه بعض فلاسفة الغرب المحدثين: (إذا قيل الله يعني الحق الواقع من كل جهة).

وللعلماء في هذا الموضوع تعبيرات مختلفة نظماً ونشرأً والمتافق بينهم كما صرَّح به المعلم الأول - وهو صريح الكتب السماوية والأحاديث الواردة في السنة الشريفة - (إن الحق لا بد أن يصدر منه تعالى فهو حق بذات وفي ذاته ولا حق إلا منه عز وجل وهذا مما لا مرية فيه)^(٢١).

إذن الحق المطلق واحد وهو الله سبحانه، وهو حق بذاته وكل حق قائم به، وكل حق سواه محدود فيكون باطلًا من هذه الجهة، وهذا معنى راق جداً لعله يتعرّض على كثير منا. الفكر الأصيل والحق هو الإسلام، بعد ما مر من بيان، نفهم أن الفكر الأصيل الوحيد والحق هو الفكر الإسلامي، لأن ما سواه ليس

ناشتئاً من الحق، أما الإسلام فهو من الحق تعالى فهو حق أيضاً، ووصلنا بواسطة الحق، إذ لا يصدر من الحق المطلق إلا الحق، فالإسلام هو الفكر الوحيد الحق الموصل للكمال وما سواه فهو باطل وزخرف، والحق هو طريق السعادة، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام (الحق طريق الجنة والباطل طريق النار وعلى كل طريق داع) ^(٢٢). ولأنه حق ومن الحق فلابد أن يؤخذ من الحق، ومن طريق الحق ومن داعي الحق. ومن قادة الحق، لذا حدد لنا الله سبحانه وتعالى، مصادر أخذ هذا الحق، وهي القرآن عن طريق جبرئيل عليه السلام والنبي صلوات الله عليه وآله وسليمه وأهل البيت عليهم السلام، روي عن النبي صلوات الله عليه وآله وسليمه (علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض) ^(٢٣). وهذا المعنى ثابت لجميع الأئمة عليهم السلام، فكل قيادة لم تكن محددة من قبل الحق فهي قيادة باطلة، لذا نحن نرى أن القيادة التي تستقي منها أفكارنا هم الأئمة الهداء المعصومون عليهم السلام، فهم الحق ومنهم الحق يقول الإمام المادي عليه السلام في الزيارة الجامعية (والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه) ^(٢٤).

وأن القيادة بعدهم للفقهاء المراجع العظام، فهم القيادة الحق لأنهم معينون من قبلهم سلام الله عليهم، فكل قيادة غير هؤلاء فهي قيادة باطلة وتؤدي إلى الضلال.

وعي الحق والباطل بعد المعرفة النظرية لمفهومي الحق والباطل.
تأتي المسألة الصعبة جداً، وهي تشخيص الحق من الباطل في الواقع الخارجي وهذا ما يحتاج لما يسمى بالوعي، والوعي هو (هو البصيرة والمعرفة التي تمكنه من تشخيص العقبات ودورها في سقوط الإنسان وهلاكه) ^(٢٥) ، أو كما عبر عنها الشهيد الصدر عليه السلام: (الوعي عبارة عن الفهم الفعال، الإيجابي الحق للإسلام في نفس الأمة الذي يتأسى ويستأسى جذور المفاهيم الجاهلية السابقة استئصالاً

كاماً، ويحول تمام مرافق الإنسان من مرافق الفكر الجاهلي^(٢٦). ومن هنا تأتي مسألة مهمة وهي كيف نتحصل على هذا الوعي؟ جعلنا الله من أهل الحق إنه الحق المبين. والحمد لله رب العالمين.

المواهمش:

- (١) سورة الرعد، الآية ١٧
- (٢) سورة محمد ﷺ الآية ٣.
- (٣) سورة سباء، الآية ٦.
- (٤) سورة المجادلة، الآية ١١.
- (٥) سورة فصلت، الآية ٤٢.
- (٦) ميزان الحكمة ج ١ صفحه ١٣٨.
- (٧) الميزان ج ١١ صفحه ٣٦٧.
- (٨) سورة الأنعام، الآية ٧٣.
- (٩) سورة الأنعام، الآية ١٠٢.
- (١٠) سورة يونس ﷺ، الآية ٣٢.
- (١١) سورة الإسراء، الآية ٨٤.
- (١٢) الأمثل ج ٢ صفحه ٣٨٩.
- (١٣) مواهب الرحمن ج ٢ صفحه ١١٩.
- (١٤) المعاد للشهيد مطهر قاسمي ص ١٠١.
- (١٥) سورة يونس ﷺ، الآية ٣٢.
- (١٦) سورة الكهف، الآية ٤٤.
- (١٧) سورة الأحزاب، الآية ٢.
- (١٨) سورة فاطر، الآية ٣١.
- (١٩) سورة الفتح، الآية ٢٨.

- (٢٠) سورة فاطر، الآية ٢٤.
- (٢١) موهاب الرحمن ج ٢ صفحة ١٤٥.
- (٢٢) نهج السعادة ج ٣/٢٩١.
- (٢٣) ميزان الحكمة ج ١/١٣٧.
- (٢٤) الزيارة الجامعية الكبيرة.
- (٢٥) سنة التعميم في القرآن الأصفي صفحة ٢٤٦.
- (٢٦) أهل البيت ع تنوّع أدوار ووحدة هدف صفحة ٢٤٨.

الحق طريق الجنة والباطل
طريق النار وعلى كل
طريق داع.

(أمير المؤمنين ع



خواص الحق.. ودورهم المصيري والتاريخي

علي الماحوزي

تمهيد:

إن كلًّا موضوع يكتسب من الأهمية بقدر ما يقرب العبد إلى الباري سبحانه، ومن أفضل ما يقرب العبد إلى ساحة قدره جل شأنه هو خدمة الخلق فإن (أفضل الناس أنفعهم للناس)، أو بتعبير الإمام الخميني قدس الله عزوجل خدمة الخلق من خدمة الحق سبحانه، وكيف ما كان فإن من أشد وأفضل ما ينفع الناس هو التأمل في أحوال الماضين والاعتبار بحيث لا نقع في ما وقعوا فيه من هفوات وأخطاء، وموضوع (خواص الحق) له ارتباط وثيق بالاعتبار بأحوال الماضين - سيمما ما نحن بصدده تسلط الضوء عليه وهو موقف خواص الحق في واقعة عاشوراء -، بل إن مثل هكذا موضوع لا يتقوم إلا بالاعتبار.

خواص الحق.. ماهيتها.. مواقفهم في حركة التاريخ.. وغير ذلك هو ما تناوله ساحة القائد الإمام الخامنئي، حيث ركز حديثه في أيام عاشوراء لمدة ثلاث سنوات متتالية حول هذا الموضوع، وبذلك أكسبه أهمية خاصة، يقول ساحتته (لماذا وبعد خمسين سنة على وفاة الرسول ﷺ وصل الأمر بالوطن الإسلامي إلى الحد الذي يجتمع فيه المسلمون أنفسهم، وزراء وأمراء وقادة وعلماء وقضاة وقراء حتى الغرباء والأوبياش في الكوفة وكربالاء، يجتمعون ويريقون دم فلذة كبد الرسول ﷺ بهذه الطريقة المفجعة؟!... فعلاً إن هذا الأمر يقلق الإنسان. فهل نحن أشد منعة من مجتمع النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام؟) (١) ، أراد ساحتته من خلال هذا التساؤل أن يفتح الأذهان والعقول لتأمل وتفكر وتصل

إلى الأسباب التي أوصلت الأمور إلى ما وصلت إليه حيث يقول: (ليتقصى - واقعة عاشوراءـ جذورها المفكرون والباحثون، وليفكرروا في السبل الكفيلة بالخلولة دون تكرارها)^(٢) ويتسائل أحدهنا بالقول ما الذي يقلق في القضية، وهل استخلاص العبرة بهذا القدر من الأهمية..، هنا يجيب سماحته بقوله: (إذا لم نتصد جميعاً للحد من تكرار تلك العوامل، فمن الممكن بعد خمسين سنة أو بعد خمس سنوات أو عشر سنوات أخرى أن نرى مجتمعنا الإسلامي قد وصل إلى نفس ذلك الوضع! لا تستغربوا!!!)^(٣).

اتَّضَحَ إِذْنَ شَيْءٍ مِّنَ الْأَهْمَىِّ الْبَالِغَةِ بَلْ وَالضُّرُورَةِ الْمُلْحَةِ لِتَسْلِيْطِ الضُّوءِ حَوْلَ هَذَا الْمُوْضُوعِ، وَهُنَا أَشِيرُ أَيْضًا إِلَى أَنَّ سَاحَةَ الْقَادِيِّ أَشَارَ إِلَى أَنَّ (لَمْ يَتَحَدَّثْ أَحَدْ حَوْلَ هَذَا الْمُوْضُوعِ - مُوْضُوعَ خَذْلَانِ الْخَوَاصِ فِي عَاشُورَاءِ - ، أَوْ أَنَّهُمْ قَدْ تَحَدَّثُوا حَوْلَهُ وَلَكِنْ لَيْسَ بِالشَّكْلِ الْوَافِيِّ وَالْكَافِيِّ.... وَلِيَتَقْصِيَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ جَذَوْرَهَا الْمُفَكِّرُونَ وَالْبَاحِثُونَ)^(٤) ، وَبِهَذَا يَنْفَتِحُ بَابُ الْبَحْثِ عَلَى أَنَّ مَا سَأَتَنَوْلُهُ هُوَ مُجْرِدُ إِشَارَاتٍ وَإِضَاءَاتٍ مِّنْ خَطَابَاتِ سَاحَةِ الْقَادِيِّ لَيْسَ إِلَّا، رَاجِيًّا فِي الْآنِ نَفْسَهُ أَنْ يَتَمَّ تَلْبِيَّ نَدَاءِ سَماحته بِتَنَوُّلِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ عَلَى يَدِ الْمُحَقِّقِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْبَاحِثِينَ بِالْقَدْرِ الْكَافِيِّ.

الاعتبار وأهميته :

في القرآن : للاعتبار في القرآن الكريم حظ وافر وأهمية كبرى، حيث يضم القرآن بين دفتيه كثيراً من الآيات التي تحدث على الاعتبار من أحوال الماضين، بل لا تكاد تخلو سورة من سوره إلا وللحث على الاعتبار فيها محل ومكان، بالإضافة إلى ذلك فإن الاعتبار أحد مقومات وسبل الهداية، والقرآن الكريم كتاب هداية

كما نعلم، وهذا يبين مقداراً من أهمية المداية باعتبارها أحد ركائز المداية التي اعتمدتها القرآن الكريم.

وهنا نورد بعضاً من آياته سبحانه تحت على الاعتبار، حيث يقول جل شأنه:
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٥)، قوله سبحانه في موضع آخر ﴿فَاعْتِرُوا يَا أُولَئِنَا
الْأَبْصَارِ﴾ وأيضاً قوله تعالى ﴿تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٦)، وآيات كثيرة
أخرى لا يسع المجال لذكرها.

في أقوال أهل البيت : إضافةً لما تقدم فإن أهداف المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا تدرك إلا
بالتأمل في سيرتهم وقراءة أدوارهم، وما يذكر هنا بأن ما يستدل عليه بعض
من الفقهاء على وجوب إقامة الحكومة الإسلامية هو التأمل في مسيرتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^(٧)،
وكيف ما كان فإن ما أكده عليه أئمة المدى هو الاعتبار، وهنا نورد بعضاً من
أحاديثهم.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : (الاعتبار يثمر العصمة)^(٨)، ويقول أيضاً عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
(من كثرا اعتباره قل عثاره)^(٩)، وفي رواية أخرى : (واتبر بما مضى من الدنيا ما
بقي منها فإن بعضها يشبه بعضاً وآخرها لاحق بأولها)^(١٠) وهذه الرواية تشير
بشكل واضح إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١١).. هذا بعض
ما أشار إليه أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في بيان أهمية الاعتبار.

عند ساحة القائد : ويعنى الاعتبار سيما من واقعة الطف أهمية قصوى عند
ساحتته و يجعلها رتبة أهم من دروس عاشوراء التي تفترق عن العبر، يقول ساحتته:
(هذا شيء - يقصد عبر عاشوراء - يختلف عن موضوع دروس عاشوراء كدرس
الشجاعة ودرس الإيثار وما إلى ذلك، الشيء الأهم من دروس عاشوراء هو العبر

المستقلة من عاشوراء)^(١٢). وحال المتأمل والمعتبر يصفها هو حيث يقول : (على الإنسان أن يفكر عميقاً ليعرف لم وقع ذلك - يقصد واقعة عاشوراء -)^(١٣).

ماهية الخواص :

قبل الخوض في ماهية الخواص لا بد أن نشير إلى التقسيم الذي قسمه سماحة القائد الناس والمجتمع بلحاظ معين، وتقسيمه كالتالي:

ينقسم الناس إلى: خواص وعوام، والخواص يقسمون إلى خواص جبهة الحق، وخواص جبهة الباطل، والعوام ينقسمون أيضاً إلى: عوام الحق وعوام الباطل، وأخيراً نفس خواص جبهة الحق ينقسمون إلى: خواص الحق المنتصرين الثابتين في ميدان الصراع، وخواص الحق المنهزمين أمام مغريات الدنيا وللذين أخفقوا في الصراع بين الحق والباطل.

ولعل التقسيم الأولي بهذا اللحاظ يفسر شيئاً من الرواية المعروفة عن علي عليه السلام حيث يقول: (الناس ثلاثة، فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع يمليون مع كل ناعق..)، فالصنفان الأولان هما من الخواص وأما الصنف الثالث فهو كما هو واضح من العوام.

ولكي تكون أكثر دقة نورد هنا تعريف الخواص وفق ما عرفهم سماحة القائد حيث يقول في تعريفهم: (هم الشريحة التي تتصرف بعد تفكير وإرادة، فتعرف طريقها وتسير عليه - سواءً كانت صالحة أم لا - وهذه هي فئة الخواص)^(١٤).

ونعرف العوام وفق تعريف سماحته لكي يتضح تعريف الخواص أكثر، حيث يقول في تعريف العوام : (فئة أخرى لا تنظر لترى ما هو الطريق الصحيح، وما هو الموقف الصائب، ولا يفهمها أن تفهم وتحلل وتقيس وتدرك، بل تتبع الجو السائد والهوى العام)^(١٥).

إذن العوام يتبعون الخواص، فإن كان خواص الحق يقظين ومنتصرین على مغريات الدنيا ويملكون زمام الأمور فسيتبعونهم العوام وستكون الأمة بخير، وإلا فإن العوام سيتبعون خواص الباطل ويكونون بذلك عوام الباطل، وبهذا يتضح شيء من أهمية خواص الحق وموقعاتهم.

وخواص الحق كما يعرفهم ساحتته هم: (مجموع الأشخاص المثقفين الوعيين العاملين في طريق الحق، فهم من عرف الحق وعرف أهله فتحركوا وانطلقا لأجله، إنهم أهل التشخيص) (١٦).

وفي مقابلهم يقف خواص جبهة الباطل وهم (مجموعة أعداء الحق والرافضين له، لا يتوقع من أولئك إلا الوقوف في مواجهة الحق ووضع البرامج والخطط للقضاء عليه) (١٧).

وما يهمنا هنا هو خواص الحق، وقبل أن نتحدث عن ميزات وصفات الخواص لا بد من الإشارة إلى أن ملاك ومعيار تمييز الخواص من العوام ليس مقدار العلم، أو كون الإنسان في عدد أصحاب الدراسات العليا، وهذا ما بينه ساحة القائد بقوله (ما أكثر الذين أنهوا مراحل دراسية عليا لكنهم يحسبون في عدد العوام) (١٨).

هنا يورد ساحتته مثلاً لطيفاً ليبين فيه ضابطة كون الإنسان من العوام أم من الخواص، وأن ذلك مرهون بالدراية والتحليل والبصيرة والانقياد. يقول ساحتته(في أيام اندلاع الثورة - وقبل انتصارها - كنت في المنفى في مدينة إيرانشهر، وكان في إحدى المدن القريبة منها عدة أشخاص من بينهم سائق، وكان هؤلاء الأشخاص من ذوي الثقافة والمعرفة، رغم أنهم يصنفون ظاهرياً في عدد

العوام، إلا أنهم في الحقيقة كانوا من الخواص، كانوا يأتون للقائنا في مدينة إيرانشهر وينقلون لي حوارهم مع عالم الدين في مدینتهم... رروا في إحدى اللقاءات أن عالم مدینتهم سألهما لماذا يصلون على النبي ﷺ مرةً واحدةً حينما يذكر اسمه المبارك بينما يكررونها ثلاثةً لدى سماع اسم الإمام الخميني؟ فأجابه سائق الشاحنة بأنهم ربما لن يحتاجوا إلى تكرارها بعد انتصار الثورة الإسلامية واتساع رقعة الإسلام، لكن في الوقت الحالي فهذه الصلوات هي جهاد ومواجهة للحكومة الطاغوتية... لم يع عالم مدینتهم عميقاً هذا الفعل وكان بذلك من العوام بينما سائق الشاحنة كان بفهمه ووعيه من الخواص... هذا مثال ضربته لتوضيح المعيار في تصنيف الأشخاص... قد يكون واحدهم - أي الخواص - رجلاً أو امرأة، متعلماً أو غير متعلم، غنياً أو فقيراً... (١٩).

اتَّضحَ إذنَ مَعْنَى خواصَ الْحَقِّ وَالْمَلَكِ الَّذِي يَحْدُدُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِّنَ الْعَوَامِ،
وَهَذَا يَسْتَدِعِي مِنَ الرَّءُوفِ أَنْ يَقْفِي مَعَ نَفْسِهِ لِيَسْأَلُهَا أَهِيَّ مِنَ الْعَوَامِ أَمْ خَواصَ
وَخَواصَ الْحَقِّ تَحْدِيداً؟ إِذَا مَا وَجَدَهَا مِنَ الْعَوَامِ فَلِيَسْأَرُ إِلَى اِنْتِشَالِهَا.

مميزات خواص الحق وأهم صفاتهم :

ما يجب أن يتوافر عليه خواص الحق، أو ما توافر عليه خواص الحق من النماذج التاريخية في صدر الإسلام وبعده وقبله يمكن أن تكون كالتالي :
الميزة الأولى: البصيرة.

وهي من أولى مميزات خواص الحق والركيزة الأولى وأول ما يخطوه الفرد من خواص الحق، ويمكن أن نعرف البصيرة بأنها (وضوح الرؤية والنظرية الثاقبة وانشراح الفؤاد، فالبصر هو العين الظاهرية بينما البصيرة هي عين الفؤاد

والقلب). وفقدان البصيرة تعني فيما تعنيه كون الإنسان من العوام، والقرآن الكريم يصف لنا حال هؤلاء بقوله سبحانه ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا﴾^(٢٠)، وبين لنا أمير المؤمنين عليه السلام أن فقد البصر يجعلك حائراً لا تعرف الحق حيث يقول : (حيارى عن الحق لا يصرون)^(٢١) ، وعن علي عليه السلام في حديث آخر : (فقد البصر أهون من فقد البصيرة)^(٢٢).

ملاك البصيرة ومعيارها : أن من أكثر ما يقض مضجع الخواص ويشغل هواجسهم في بداية انطلاقتهم نحو مسیر الحق الذي سيكونون وفق هذا المعيار الذي سنذكره من خواصه..، إن من أكثر ما يهمهم ويشغل هواجسهم هو (معرفة الحجة)، فهم يتساءلون من هو الحجة؟ ومن هي القيادة؟ وإلى من يجب أن نسلم أمرنا؟ وما هو موقف القيادة الحجة وذلك لاقتفاء أثره ونهجه.

و ذوي البصائر لا يتخذون غير إمام الحق إماماً وزعيمًا في مواقفهم كلها، حيث لا يتحركون عن هوى ومن وحي تصوراتهم، وذلك هو الصراط المستقيم، وذلك ما عبر عنه الإمام الصادق عليه السلام بالإمام المفترض الطاعة (وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة)^(٢٣) ، إنه طريق الأئمة المعصومين عليهم السلام ونوابهم الخاصين والعامين.

والحجـة الآـن في زـمن غـيـبة الـله الـأـعـظـم عز وجله تكون للولي الفقيـه ومن هـم في طـوله وامتدادـه من أقطـاب الأمـصار وقيـاداتـها الـديـنية.

فـمـعـرـفةـ الـحـجـةـ هـيـ مـعـيـارـ الـبـصـيرـةـ،ـ فـلـاـ يـكـنـ لـلـبـصـيرـ وـذـوـيـ الـبـصـائرـ إـلـاـ أـنـ يـعـرـفـواـ الـحـجـةـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ اللهـ تـعـالـىـ لـيـلـتـزـمـواـ بـعـدـ ذـلـكـ بـهـ وـيـنـقـادـواـ إـلـيـهـ،ـ وـنـورـدـ هـنـا روـاـيـةـ وـهـيـ (ـ أـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ أـبـيـ يـعـفـورـ -ـ وـكـانـ مـنـ خـواـصـ الـصادـقـ عليـهـ السـلامـ -ـ قـالـ

للإمام: والله لو أنك قسمت رمانة واحدة إلى نصفين وقلت : هذا النصف حلال وذاك حرام فإني مُسلِّم لك، فدعا له الإمام قائلاً: رحمك الله، رحمك الله ، وقد أوضح الإمام الثقلان السر الذي يكمن وراء تكريمه له حين قال: (إنه يقبل وصيتي ويطيع أمري)^(٢٤) ، يتبيّن مما تقدّم أهمية الانقياد، سواء كانت هذه الحجة بالأصلّة كما هو حال من عاصر العصوم في غيبته، أو بالتبع والنيابة العامة، أو لمن يمثل الامتداد الشرعي لمقام الولاية والنيابة العامة.

ولا يعذر فرد أو فئة أو أمة لا تستقيم على خط الله، ولا تتحرك وفق قيادة شرعية ترتضيها بعد رضا الله سبحانه، وتسلّم أمرها في المنعطفات الخطيرة لها، وتصبر على الرأي الذي يأتي منها على خلاف رأيها وترتضيه فـ(من الخسارة الفادحة، والمغامرة السفهية جداً أن تسلّم الأمة في أمر صغير كان أو كبير لقيادة لا تؤمن بها في الأزمات وفي المنعطفات الخطيرة)^(٢٥).

الميزة الثانية : الدفاع عن الحق.

ويعني ذلك الملازمة للحق ومجانبة الباطل، وبعد أن يشخص خواص الحق جبهة الحق التي من أبرز مصاديقها بل محورها هو القيادة وقيادة الحق تحديداً تكون هي المحور.

فحال خواص الحق إذن هو الاستماتة في الدفاع عن الحق بعد معرفته ومعرفة مصاديقه وإن استجلب ذلك الضرر على الإنسان، فقد روى عن الإمام الصادق الثقلان قوله: (إن حقيقة الإيمان أن تؤثر الحق وإن ضرك على الباطل وإن نفعك)^(٢٦) ، وهذا فعلاً ما قد يواجه كثيراً من الخواص في المنعطفات حيث تتهدد بعض المصالح وإن خفيت، فالملا مصلحة ظاهرية والرکون إليه ذنب

مكشوف، إلا أن الجاه والمنزلة الاجتماعية وتحول الشهرة إلى مقت اجتماعي بسبب موقف حق وعدم الصبر على وحشة الطريق... كل ذلك يهدد الخواص ويجعلهم يعرضون في أحيان كثيرة لينزلقوا بعدها من حيث يشعرون أولاًً يشعرون ويكتبُوا التاريخ خسارة يتحملون هم يوم الحساب وفي دار الدنيا وزرها ووزر من يأتي بعدهم من الأجيال من يقتفي مواقفهم الانهزامية.

في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (قال علي عليه السلام : أوحى الله إلى شعيب عليه السلام أنني مهلك من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام : هؤلاء الأشرار بما بال الأخيار؟ فقال عز وجل : داهنوا أهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي) (٢٧).

فالسكوت حال تجلي الحق هو ما يجب أن يحتزز منه خواص الحق كي لا ينزلقوا إلى مستنقع خواص الحق المنهزمين أمام مغريات الدنيا ليكونوا بذلك ساكتين متخاذلين وربما آل بهم الأمر إلى أن ينقلبوا إلى جبهة خواص الباطل.

ولا بد من التنويه هنا أن أوجه نصرة الحق تختلف باختلاف الظروف والواقع، فنصرة الحق في الميادين العسكرية واضحة جلية لا تحتاج إلى كثير بيان، إلا أن هناك من أوجه نصرة الحق ما قد يفوق النصرة في الميادين العسكرية، كنصرة الحق في الميادين الثقافية فيما يرتبط برد الشبهات الخافي أثرها المقيت والقاتل على الأمة، وهذا ربما ما يفسر إجلال الإمام الخميني عليه السلام للشهيد مطهرى بحيث ما بكى وأسف عليه أحد بقدر ما بكى على الشهيد مطهرى خسارة الإسلام الكبرى طبعاً، إضافة إلى أن الإمام عليه السلام لم يعط شهادة تأييد وتزكية لأحد فيما يرتبط بمؤلفاته فقط بقدر ما أعطى للشهيد مطهرى عليه السلام .

ومثاله الواضح حاليا هو آية الله الشيخ محمد تقى مصباح اليزدي، والذى شر
عن ساعديه ودفع عن الإسلام الكثير من الشبهات التي خفيت على الكثير، أو لا
أقل استهان بها الكثير، سيمما وأن هذه الشبهات قد صدرت من تلبس بلباس
الدين وزين أفكاره بذلك^(٢٨)

الميزة الثالثة: الثبات على الحق :

فبعد معرفة الحق والدفاع عنه ونصرته لا بد أن يستدیم خواص الحق بالثبات
على ذلك على طول الخط، فلا معنى لتبدل الزمان أو المكان أو كليهما عندهم،
وقد عبر القرآن الكريم عن هؤلاء بتعبير لطيف وهو (ربيون) أي المرتبطون بالله
تعالى ارتباطاً وثيقاً لا ينفك، حيث قال سبحانه ﴿وَكَائِنُ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ
كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُوهُمْ فِي سَيِّلٍ اللَّهُ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الصَّابِرِينَ﴾^(٢٩).

والآية القرآنية تشير بشكل واضح إلى أن أنصار الحق وخواصه قد يصيهم
الضعف والاستكانة في وسط الطريق إلا أنهم يتتصرون ويثبتون، فالثبات على
الحق يعد ضرورة، ولذلك تم التأكيد كثيراً في روایات أهل البيت عليهما السلام على دعاء
العدالة^(٣٠)، كما أن دين العرفاء هو الحث على دعاء: (اللهم ارزقني حسن
الخاتمة)، بل البعض منهم يوصي بأن يجعل قراءة هذا الدعاء من أولويات العبادة
في ليلة القدر، وهذا الدعاء لا يخفى أنه يتضمن بل أصله هو طلب الاستدامة
والثبات على طريق الحق.

شخصيات انزلقت :

لا بأس هنا بذكر بعض النماذج التاريخية من الذين كانوا على طريق الحق
وانزلقوا فيما بعد ونورد هنا بعضاً منهم على سبيل الإيجاز والمثال :

أ- الشيطان : الذي ورد في بعض الروايات أنه عبد الله تعالى ستة آلاف سنة^(٣١).
ب- طلحة والزبير : اللذان كانا من صحابة النبي ﷺ الأجلاء ومن أصحاب أمير المؤمنين التقي يوم السقيفة، إلا أن حب الدنيا طغى على قلبيهما إلى أن كانت عاقبتهما السوء بمجابهتهما أمير المؤمنين التقي .
ج- كما أن الثورة الإسلامية المباركة في إيران شهدت البعض من انزلقوا بعدما كانوا ملازمين للحق ومناصرين للإمام أثناء ثورته أو في بدايتها.
ويوجد الكثير من خواص الحق المنهزمين أمام مغريات الدنيا على مر التاريخ بل في كل حقبة وكل زمان ومكان سواء خفيت هذه المغريات أو ظهرت واضحة، والمتأمل المعتر يجدهم في كل قطر وبلد وفي كل مدينة وقرية وحي.

العوام يقتضون أثر الخواص :

اتضحَ ما سبق ماهية الخواص وصفاتهم وبعض أدوارهم من خلال ميزاتهم التي ذكرناها، ويبقى أن نتناول بشيء من الاقتضاب أثراهم التاريخي والمصيري من خلال التأمل في بعض مواقفهم عند واقعة عاشوراء وفق ما أورده ساحة القائد، كما وسنبين ذلك من خلال بعض الأمثلة من التاريخ المعاصر.
وقبل ذلك لا بد أن نذكر بأن خواص الحق ينقسمون إلى قسمين :
الأول: هم اللذين يتغلبون في الصراع مع مغريات الدنيا والحياة من الجاه والشهوة والمال والله والرفاه.
والثاني: هم اللذين يخفقون في هذا الصراع^(٣٢)

والمجتمع - أي مجتمع - مرهون بطبيعة موقف الخواص بحيث لا يكونوا من خواص الحق المنهزمين أمام الدنيا أو خواص الباطل.

إن واقعة عاشوراء ربما ما كانت لتحدث لو لا موقف خواص الحق المنهزم، وساحة القائد يُعبر عن ذلك بقوله: (لو تخلى الخواص في تلك الفترة بالبصيرة، وساندوا الحق لما شهدنا حادثة مريمة كالتي وقعت في عاشوراء) ^(٣٣) ، وقد يتساءل البعض كيف يكون المجتمع رهن بموقف الخواص؟!، وجواب ذلك أن عوام الناس يسيرون وفق ما يسير الخواص، فإذا انحرف خواص الحق وتخاذلوا تبعهم العوام في ذلك، والشواهد التاريخية خير دليل على ذلك، كما أن قليلاً من التأمل في أي مجتمع يوضح ذلك، وهنا نورد مثالاً من واقعة الطف وهو مثال مسلم بن عقيل حينما دخل الكوفة بعد أن أرسل أهلها الرسائل تلو الرسائل تطلب من الإمام الحسين اللعنة الله علیه القدوم لنصرته، لكن ما الذي حدث؟ وما الذي جعل الناس تتفرق عن مسلم بعد أن كانوا ثلاثة ألافاً على بعض الروايات؟!

إنه موقف الخواص لا محالة، وخواص الحق تحديداً اللذين انهزوا أمام مغريات الدنيا، على المرء أن لا يُرّ على هذا الأمر مرور العابر، أو أن يرجع تفرق الناس إلى أسباب عامة وكفى..، أو أن يحلّ الأمر بسطحية عابرة، لو لا انهزام الخواص لربما لم يحدث ما حدث من فاجعة هزت التاريخ حيث قتل الحسين اللعنة الله علیه أبغض قتلة، وسببت نساوه كما تسبى نساء الخوارج.

أثر خواص الحق المنهزمين في واقعة عاشوراء:

إن هؤلاء يعرفون الحق ويعرفون واجبهم والحججة التي يجب عليهم اتباعها، لكن حب الدنيا بصورة المتعددة جعل خاتمة حياتهم إلى سوء، ومثال ذلك شريح القاضي الذي صرعته الدنيا حينما أمره ابن زياد بطمأنة عشيرة هانع بن عروة، - وكان هانع رحمه الله م逎حا و معيناً في داخل السجن - فلما دخل شريح على هانع في السجن صاح هانع بصوت مرتفع: يا للمسلمين إن دخل علي عشرة

أنقذوني!، ولما بلغ شريح بعد ذلك عشيرة هانئ بن عمروة والناس اللذين معهم من أحاطوا بالقصر هم شريح أن يخبرهم بمقالة هانئ- استغاثته - لكنه خاف شرطياً كان يجنبه من شرطة ابن زياد!(٣٤)

هنا يعقب سماحة القائد على هذا الموقف بقوله: (لو قام شريح بهذا العمل الواحد- إعلام استغاثة هانئ - لتبدل التاريخ... كان بإمكانهم - عشيرة هانئ والناس اللذين معهم - أن يحيطوا بأطراف دار العمارة من كل صوب وأن يعتقلوا عبيد الله بن زياد أو يقتلوه أو يبعدوه، فتصير الكوفة بيد الحسين العليه السلام، بل إن حادثة كربلاء ما كانت - ربما - لتحدث أصلاً، ولو أنها لم تقع لكان الإمام الحسين العليه السلام قد تسلّم الحكومة، وهذه الحكومة لو عاشت لمدة ستة أشهر فقط جلبت للتاريخ بركات كثيرة..، فالقيام بحركة غير مناسبة ناشئة من الخوف والضعف وطلب الدنيا. يؤدي أحياناً إلى إدخال التاريخ في كارثة وضلال) (٣٥).

هذا هو الدور التاريخي والمصيري الذي نقصده، والذي قد يغير مجرى التاريخ، موقف واحد فقط قد يغير مجرى التاريخ!، وهكذا هو الحال أيضاً في أي مكان وأيّ زمان، موقف واحد فقط قد يغير وضع بلد أو مدينة أو قرية على الأقل، ومن منا يضمن أن لا يكون في موقف شريح في يوم من الأيام؟!، ولو على مستوى قرية أو مدينة أو عشرات أفراد مع الالتفات إلى أن وجوه الدنيا متنوعة، فشريح صرّعه الخوف على نفسه، وغيره قد لا يخاف على نفسه، بل قد يصرّعه وجه آخر خفي من وجوه الدنيا كخوفه على المنزلة الاجتماعية والشهرة أو عدم الصبر على وحشة الطريق.

خواص الحق واللحظات المصيرية:

قد ينصر الخواص الحق في معركته ضد الباطل، سواء كانت هذه المعركة عسكرية أم سياسية أم ثقافية أم غيرها، لكن هذه النصرة قد تأتي متأخرة فتخسر

الكثير من قيمتها، ذلك أن التخلف في أول الطريق ليكون بعدها اللحاق بالركب والتکفير عن ما تخلف عنهبداية، يكشف عن انهزام وتردد وضعف إیمان في مرحلة معينة من مراحل الصراع، وهذا ما حدث بالضبط لأكثر من اشترکوا في ثورة التوابین، فلئن كان بعضهم في السجن وصار معذوراً بذلك، فما عذر اللذين شهدوا واقعة عاشوراء وتخلّفوا عن تکلیفهم؟.

لا يكن بأي حال من الأحوال مقارنة من استشهاد في كربلاء مع من استشهد في ثورة التوابین، كلا من استشهدوا الواقعتين شهید، لكن أيکن يا ترى-بغض النظر عن مرتبة الشهید في حضور المعصوم وقول الحسین (عليه السلام) : ما رأیت أصحاباً أبّر من أصحابي - المقارنة بين شهید كربلاء وشهید ثورة التوابین؟!، من الطبيعي أنه لا يكن، ذلك أن الحق يحتاجك متى شاء لا متى شئت.

يقول ساحة القائد في هذا الشأن: (شهداء كربلاء قُتلوا في أحد الأيام، وكذلك التوابین قُتلوا كلهم في يوم مماثل، لكن إن نظرتم إلى الأثر الذي خلفه التوابون في التاريخ ترونـه لا يساوي واحداً بالألف من الأثر الذي خلفه شهداء كربلاء)^(٣٦) ، فما هو السبب يا ترى (السبب يرجع إلى أنهم لم يرجعوا عن اشتباهم في الوقت المطلوب، ولم يقوموا بالعمل في اللحظة المناسبة تأخرـوا في التصـمـيم وفي التشـخيص)^(٣٧).

وهكذا هو الحال على الدوام، فإنـك تجد في قطر أو بلد أو قرية أو مدينة من الخواص من يتـأخـر عن أداء واجـبه تجـاهـ الحقـ في لـحظـةـ مـصـيرـةـ معـيـنةـ، ولـوفيـ أمـثلـةـ صـغـيرـةـ أوـ مـصـغـرـةـ، فالـعـاقـلـ منـ يـطـبـقـ صـغـرـيـاتـ الـأـمـورـ عـلـىـ كـبـرـيـاتـهاـ، فـلـاـ يـنـتـظـرـ المرءـ أـنـ يـتـحـنـهـ اللهـ تـعـالـىـ كـمـ اـمـتـحـنـ الـأـوـلـيـنـ طـبـقـ الـأـصـلـ أـوـ فيـ مـوـقـفـ مـمـاثـلـ، وـمـنـ لـمـ يـنـجـحـ فـيـ اـمـتـحـانـ إـلـهـيـ صـغـيرـ، فـكـيـفـ يـضـمـنـ نـفـسـهـ فـيـ الـمـوـاقـفـ الـكـبـرـيـ؟ـ

أمثلة في أثر الخواص من التاريخ المعاصر:

اعتقال الإمام الخميني ق: عند اعتقال الإمام ق من قبل الشاه المقبور، خيف على الإمام أن يمس بسوء من قبل الشاه، ولأن الدستور الإيراني آنذاك يحرّم مس المرجع بسوء أو إعدامه، فقد اجتمع جمع من العلماء والفقهاء ليصدروا بياناً يحمل توقيعاتهم مفاده أن الإمام مرجع ديني، وأنهم يطالبون بالإفراج عنه، وأنذاك لم يكن بعد قد عُرِفَ الإمام بمقام المرجعية، وبذلك على أي حال جنب هؤلاء العلماء ووفق السنن الطبيعية البلاد الإسلامية ما كان سيقدم عليه الشاه وبيل الاحتمال من تعذيب أو إعدام أو طول مكث في السجن، وإن كان المدد الإلهي وهيبة الإمام سيمعنانه من ذلك، لكن وفق السنن الطبيعية فإن العلماء المجتمعين جنباً إلى جنب العباد كارثة محتملة الحدوث وهي فقد الإمام، ولو تأخروا قليلاً لخسر الإسلام والمسلمين الكثير الكبير (٣٨)

نتيجة البحث: وأوردها في نقاط:

- ١ - على المرء أن يقف مع نفسه وقفه صريحةً ويأسها، أهي من العوام أم من الخواص؟، وإذا كانت من الخواص فهل مدّعى أم حقيقة؟ أي أن الفرد منا يتميّز بميزات الخواص؟ فإذا كان من العوام فليسارع في انتشال نفسه ما أمكنه ذلك.
- ٢ - ثم بعد ذلك فليحدد هل هو من خواص الحق المنتصرين أم خواص الحق المنهزمين أمام مغريات الدنيا؟
- ٣ - وأخيراً لا يكفي أن يكون المرء منا أحد خواص الحق المنتصرين فقط، بل لابد أن يكون من ينصر الحق عند اللحظات المصيرية والحساسة، وبعبارة أخرى لا بد من نصرة الحق في لحظات الشدة والابتلاء الإلهي لا في أوقات الرخاء فقط.

٤- كما على المرء أن يعتبر بما جرى في التاريخ، وما يجري أمامه في تاريخه المعاصر، وأن يدرك أهمية وموقعية الخواص من كل ذلك.

إلى هنا تم هذا البحث المقتصب، ولا بد لي أن أشير في الختام إلى أنني استفدت من كتابين بشكل أساسي وهما : الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت عليهما السلام المؤلف الإمام الخامنئي، ورسالة الخواص للسيد أحمد خاتمي.
أسأل الله تعالى لي وللمؤمنين أن يجعلنا من ينتصر به، وأن يخرج حب الدنيا من قلوبنا، وأن يجنبنا ما وقع فيه غيرنا من عرف الحق ولكنه تأخر في نصرته، فلا عاصم إلا هو، والحمد لله.. أولاً و آخرًا.

المواهش:

- (١) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت عليهما السلام، الإمام الخامنئي، ص ٣٦-٣٧.
- (٢) رسالة الخواص، السيد أحمد خاتمي، ص ١٠٥
- (٣) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت عليهما السلام، الإمام الخامنئي، ص ٣٨.
- (٤) رسالة الخواص، السيد أحمد خاتمي، ص ١٠٥.
- (٥) سورة الأنعام، الآية ١١.
- (٦) سورة الحشر، الآية ٢.
- (٧) الحكومة الإسلامية.
- (٨) غرر الحكم: رقم ٩٢٩.
- (٩) غرر الحكم: رقم ٤١١.
- (١٠) نهج البلاغة: الرسائل: الكتاب ٦٩.
- (١١) سورة الحشر، الآية ٢.
- (١٢) رسالة الخواص، السيد أحمد خاتمي، ص ١٠٤.

- (١٣) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت ع، الإمام الخامنئي، ص ٣٦.
- (١٤) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت ع، الإمام الخامنئي، ص ٣٩.
- (١٥) رسالة الخواص، السيد أحمد خاتمي، ص ١٠٥.
- (١٦) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت ع، الإمام الخامنئي، ص ٤١.
- (١٧) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت ع، الإمام الخامنئي، ص ٤١.
- (١٨) رسالة الخواص، السيد أحمد خاتمي، ص ١١١.
- (١٩) رسالة الخواص، السيد أحمد خاتمي، ص ١٠٨، الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت ع، الإمام الخامنئي، ص ٣٩ - ٤٠.
- (٢٠) سورة الأعراف، الآية ١٧٩.
- (٢١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٥.
- (٢٢) غرر الحكم: رقم ٩.
- (٢٣) معاني الأخبار، ص ٣٢.
- (٢٤) معجم رجال الحديث: ج ١١، ص ١٠٥.
- (٢٥) معجم رجال الحديث: ج ١١: ص ١٠٤.
- (٢٦) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، مكتب البيان للمراجعات الدينية، خطبة الجمعة رقم ١٥١، ص ٢٦، بتصرف بسيط يناسب السياق.
- (٢٧) نقلته عن كتاب رسالة الخواص، وهو نقله عن: الخصال، ج ١، ص ٥٣.
- (٢٨) مستدرك الوسائل: ج ١٢، ١٩٩.
- (٢٩) مصباح دوستان مؤلفه رضا صنعتي.
- (٣٠) سورة آل عمران، الآية ١٤٦.
- (٣١) مفاتيح الجنان ص ١٢٨.
- (٣٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

- (٣٣) رسالة الخواص، السيد أحمد خاتمي، ص ١١٢.
- (٣٤) رسالة الخواص، السيد أحمد خاتمي.
- (٣٥) مقتل الحسين علیه السلام، ص ١٥٧.
- (٣٦) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت علیهم السلام، الإمام الخامنئي، ص ٥٥.
- (٣٧) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت علیهم السلام، الإمام الخامنئي، ص ٥٧.
- (٣٨) الدروس العظيمة من سيرة أهل البيت علیهم السلام، الإمام الخامنئي، ص ٥٧.

فالقيام بحركة غير مناسبة ناشئة
 من الخوف والضعف وطلب الدنيا،
 يؤدي أحياناً إلى إدخال التاريخ في
 كارثة وضلال
 السيد القائد (حفظه الله)

هل سمعة الأئمة الأطهار لإقامة الحكومة الإسلامية؟

حسن عبد الله أحمد القصاب

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين
محمد وآلـهـ الطـيـبـينـ الطـاهـرـينـ الـمـتـجـبـينـ الـذـيـنـ أـذـهـبـ اللهـ عـنـهـمـ الرـجـسـ وـطـهـرـهـمـ
تطهـيرـاـ، وـالـلـعـنـةـ الدـائـمـةـ المـؤـبـدـةـ عـلـىـ أـعـدـائـهـمـ أـجـمـعـينـ مـنـ الـآنـ حـتـىـ قـيـامـ يـوـمـ
الـدـيـنـ.

مقدمة البحث:

إن مفهوم الإمامة في عقيدة الشيعة يعتبر من المفاهيم الأساسية في المذهب،
وله مرتبة ومقام كبير في المذهب، ويكتسب الإمام هذا المقام والقدسية من خلال
مقامه وقربه لله تبارك وتعالى، ويعتبر الإمام هو الخليفة لمقام النبي الأكرم ﷺ
وعلى عقيدة الإمامية بأن كل ما للرسول فهو للإمام الذي بعده إلى أن تقوم
ال الساعة إلا مسألة الوحي فهي خاصة بالنبي، والأمور التي ثبتت للرسول وتثبتت
للإمام من قبيل:

تبين الأحكام الإلهية وتعاليم السماء (١)

فهو أمر ثابت للنبي الأكرم ﷺ بتصريح قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا آتَكُمْ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٢)، وكذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا يُنْطِقُ
عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (٣). وفي مفاد الآيتين المباركتين أن ما يبينه النبي
من أحكام وبلغه من تعاليم، قد جاء به من عند الله، أي أن النبي لا يملك في هذا
الموضع إلا أن يكون مبيناً لما أوحى إليه.

تولي منصب القضاء

والقاضي هو الذي يفصل ويقضي في الخصومات والاختلافات بالعدل، فقد كان النبي ﷺ قاضياً بين المسلمين. وليس القضاء أمراً اعتباطياً من وجهة نظر الإسلام، بحيث يكون بمقدور أي شخص أن يتصدى له ويفصل بين المتخاصلين، إنما القضاء في الرؤية الإسلامية هو شأن إلهي، وهذا منصب فوّض إليه ﷺ بنص القرآن الكريم: ﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾^(٤).

قيادة المجتمع ورؤاسته

فقد كان النبي الأكرم ﷺ قائداً ورئيساً للمجتمع الإسلامي، وهذا من أوضح الواضحات لمن يتصفح التاريخ وسيرة النبي الأكرم ﷺ، وينص عليه قوله تبارك وتعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٥).

خلاصة الوظائف:

لو تأملنا بدقة في هذه الأمور الثلاثة نستطيع أن نقول بأن من أهم وظائف النبي الأكرم ﷺ هي إقامة الحكومة الإسلامية على وجه الأرض. وذلك لكي يحقق العدل الإلهي ونشر مبادئ الشريعة الإسلامية وتنفيذ حكم الله عز وجل، وهي الوظيفة أيضاً ثابتة للأئمة الأطهار علية السلام.

فالشريعة الإسلامية حينما جاء بها النبي الأكرم ﷺ جاء ليطبقها على وجه الأرض، وإنما فائدة شريعة ونظام يكون على المستوى النظري وحسب، بل لا بد من تطبيق الشريعة على النحو الخارجي والعملي، كما أشار إلى ذلك الإمام الخميني قده في كتابه : الحكومة الإسلامية^(٦).

ومن هنا نستطيع أن نقول بأن إقامة الحكومة الإسلامية أمر ضروري ومهم في الإسلام، وذلك لتطبيق الأحكام الإلهية، ولهذا نرى أن النبي الأكرم ﷺ في بداية دعوته لهذا الدين اتخذ مرحلتين للدعوة الإسلامية^(٧):

المرحلة الأولى : وهي التي تسمى بمرحلة الدعوة السرية والتي استمرت لمدة ثلاث سنين في مكة المكرمة.

المرحلة الثانية : وهي مرحلة الدعوة العلنية والتي استمرت لمدة عشرين سنة، عشرة منها في مكة المكرمة وعشرة أخرى في المدينة المنورة.

ففي المرحلة الثانية توجه النبي ﷺ إلى تأسيس الحكومة لتكون طريقاً لتنفيذ الأحكام الإلهية، وأنباء تأسيسه للحكومة أخذ يقوم بوظائف الحاكم الشرعي، من قبيل إعداد القوى العسكرية وتجهيز الجيش للدفاع عن راية الإسلام، وكذلك أرسى دعائم العلم والمفاهيم القرآنية في المجتمع الإسلامي الفتى واستخدم الأساليب السلمية والخربية لتبني الحكومة من قبيل الجهاد في سبيل الله والقتال ضد المشركين.

يتلخص مما تقدم أن:

(من ضمن وسائل إقامة الحكومة الإسلامية هو الجهاد ضد الظلم والاستكبار والثورة ضدتهم، ونشر الأمان والأمان في الأرض، فتكون مقدمةً لتنفيذ الأحكام). فالجهاد والثورة ضد المستكبارين من الأساليب المهمة لإقامة الحكومة الإسلامية، وإلا فكيف يمكن أن تقوم دولة تدعو للحق وترفض الباطل من غير أن تواجه هذه الدولة الباطلة، فلابد أن تمر بظروف سياسية عصبية وشديدة، كما مرّت على رسول الإسلام ﷺ في أوائل دعوته وإلى آخرها.

وأكبر شاهد على هذا الأمر هو جميع الأديان في كل الأزمنة والقرون، فقد كان ولا يزال في الأرض فترين؛ فئة تدعوا للحق وأخرى تدعوا للباطل. فهذه من السنن الكونية في الأرض.

إذا أراد أي شخص أن يقوم بالجهاد أو الشورة فلابد أن تتتوفر حركته التغييرية على أمور مهمة من أجل نجاح الجهاد والثورة، ولو احتل أمر واحد، فإن مصير هذه الثورة إلى زوال، حتى لو نجحت لفترة معينة، فإن مآلها إلى السقوط والفشل، كما هو في كثير من البلدان والحكومات، ولو تأملنا جيداً في تاريخ الإسلام لكان أوضح، فلاحظ أن حكومة بني أمية لما تأسست بالمالك والخدية استمرت ألف شهر كاملة^(٨)، وحكم بني العباس، وكذلك حكم العثمانيين، فإن مصيرها إلى زوال وإن استمرت مدة من زمن.

فالسؤال الذي قد يتراود في أذهان البعض، هو: هل سعى الأئمة الأطهار عليهم السلام لإقامة الحكومة الإسلامية؟ وما دامت الشريعة الإسلامية جاءت لتنفيذ هذا الأمر، كما قام النبي الأكرم صلوات الله عليه بإقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. فهل واصل الأئمة عليهم السلام دور النبي الأكرم صلوات الله عليه؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل الذي قد يرد على الأذهان، نقدم مقدمة بسيطة، وهي إن على كل من يريد أن يُقيِّم حكومة العدل في الأرض لابد أن تتتوفر مقومات الجهاد والثورة ضد أهل الباطل.

حول شرائط نجاح الجهاد والثورة^(٩).

الشرط الأول: القيادة.

فمن أراد أن يقوم بالجهاد والثورة، لابد من وجود قيادة صالحة، لها الأهلية لتصدي القيادة والكفاءة العالية وغيرها من المواقف التي لابد أن تتتوفر في القائد.

وما دام كلامنا حول الإمام، فلا داعي للتعرض إلى هذا الشرط، لأن الإمام - بحسب العقيدة الشيعية - يمثل الإنسان الكامل في الأرض، والذي يعبر عنه باللحجة في العصر. فهو الإمام المعصوم الذي لا يخطأ ولا يسهو.

أما إذا كان كلامنا حول غير المعصوم، فلابد من التعرض للشروط كالكفاءة العلمية والسياسية والتقوى والورع والشجاعة وغيرها من الأمور التي يشترط فيها القائد غير المعصوم، وهو ليس محل بحثنا.

الشرط الثاني: المنهج

فمن المهم جداً أن يكون هناك نهج يسير عليه القائد، ويعتمد على مصدر رئيسي لحركته الثورية.

وهذا الشرط أيضاً متوفّر ما دام كلامنا عن قيادة الإمام المعصوم عليه السلام، لأن العقيدة الشيعية تؤمن بأن ما يأتي به الإمام المعصوم عليه السلام لا يخالفه خطأ أو شك وما شابه ذلك من الأمور التي تعدّ نصاً في المنهج، فالمنهج المتبّع عند الإمام المعصوم عليه السلام هو القرآن وسنة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه الصحيحة.

أما لو كان كلامنا في القائد غير المعصوم فلابد أن نتعرّض للمنهج، لأن القائد - مهما كان نصيبيه العلمي - فقد يكون المنهج الذي اتخذه غير صحيح أو فيه بعض النقاط غير الصحيحة، وهو ليس محظوظاً.

الشرط الثالث: الشعب

في هذا الشرط يجب أن نفصل كثيراً في الأمور التي لابد أن تتوفّر في الشعب أو القاعدة الشعبية، فلابد أن يؤمّن بالقيادة وتسليم الطاعة له بحكم كونه قائد، ولا يشكك في قدراتها ولا في علمها.

نطرق إلى بعض الأمور التي لابد أن تتوفر في القاعدة الشعبية:

الوعي ورسوخ العقيدة :

فلا بد أن يكون الشعب واعياً، وذا عقيدة راسخة بالإمام المعصوم، وجميع تحركات الإمام، ولا بد من الانقياد والطاعة المطلقة للإمام.

لا يكفي أن أؤمن بأن هذا القائد هو الإمام المعصوم وأنه مفترض الطاعة وأنه حجة الله في أرضه، وغيرها من المعتقدات في الإمام والقيادة ولكن لو تعرض له أدنى شبهة يتزلزل، لا بد أن يكون صامداً في وجه الشبهات التي قد يتعرض العدو لطرحها ليزيل المعتقد الصحيح، كما سيأتي في معركة صفين والتحكيم.

وكذلك موقف أتباع الإمام أبي محمد الجبي^{العليّ} بعد كتابة الصلح، حيث أنهم وقفوا أمام الصلح ولم يرضاوا بما اتخذه الإمام^{العليّ}.

هذا من جانب، ولو نظرنا من جانب آخر إلى الثلة الصالحة والمؤمنة بقيادة الإمام، ومواففهم المشرفة والطاعة والانقياد المطلق لقول الإمام، ومن أوضح الأمثلة مالك الأشتر حينما وصل إلى خيمة معاوية ولم يبقى له إلا بضع أمتار لكي يقتل معاوية، إلا أن الأمر جاء إليه أن الأمير^{العليّ} يأمرك بالرجوع وإلا قتل الإمام^{العليّ}، وكذلك أصحاب الإمام الحسين^{العليّ}.

الجهل بمقام الإمام :

وهناك الكثير من كانوا يجهلون قيمة الإمام المعصوم^{العليّ} ولا يقدرونها حق قدره. مما يجعلهم يفشلون في الطاعة والتسليم للإمام. ولا يرون أنفسهم ملزمين

بالاتباع. بل على العكس من ذلك فهناك من كان يسخر بالإمام الحسين عليه السلام، وحينما أراد الإمام أن يقيم صلاة الخوف في يوم عاشوراء^(١٠)، يستهزأ أحدهم بالإمام ويقول له : صلّ، (إنها لا تُقبل)! - القائل هو الحسين بن تميم.. إن هذا يحصل من خلال جهل الناس بالإمام المعصوم، وإلا فلو كان يعرف قيمة الإمام المعصوم لا يتفوّه بهذه العبارات ساخراً من الإمام (بأبي هو وأمي).

أو كما حصل في معركة صفين حينما رفعوا المصاحف وقالوا : لا حكم إلا لله. مما اضطر الإمام عليه السلام للتنازل عن الحرب و اختيار التحكيم، فإن موقفهم كان ينبع عن عدة ثغور في الرعية، كعدم الانقياد بالإمام القائد، وتزلزل العقيدة في قرارات القيادة، مما يؤدي إلى الجهل بمقام الإمام القائد، ولذلك حكم الخوارج بکفر أمير المؤمنين عليه السلام حينما أرادوا فرض رأيهم عليه بعد خدعة التحكيم وبعد أن عرفوا مكر معاوية وعمرو بن العاص، حيث طلبوا منه العودة إلى محاربة معاوية، في حين أنه رفض نقض العهد وألزمهم ببعض مخالفات القيادة.

الزهد في الدنيا وعدم الركون لها :

والبعض منهم يعلم بأن هذا القائد هو الإمام المعصوم ويعتقد بذلك ولكنه يرکن إلى الدنيا ولا يقدم نفسه لطعنات السيف والرماح، وإنما معنى أن يسمعوا الإمام الحسين عليه السلام ينادي يوم العاشر من المحرم : ألا من ناصر ينصرني. ولا يجد من ينصره.

والبعض منهم يخاف الموت في سبيل الله فيهرب من الغزوة كما حصل في غزوة أحد، حتى أوشك أن يُقتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما الصحابة الكرام فقد هربوا خوفاً من السيف، بل بعضهم قال : ما دام النبي قد قُتل فلماذا أبقى على الإسلام.

الحب بدون بذل المهج:

ولا يكفي مجرد الحب والمودة للإمام مع عدم الالتزام بطاعته. فالكثير الذين كانوا يحبون الإمام الحسين عليه السلام ويعلمون بأنه ابن رسول الله وأنه على الحق، ولكن لم تأتهم الجرأة والموقف الصارم لنصرته، والوقوف بجانبه في ثورته.

والنبي الأكرم صلوات الله عليه كان يذكر المسلمين بأن الحسين عليه السلام سيقتل في يوم العاشر من محرم، ولكن مع أن النبي صلوات الله عليه قد أخبر بمقتل الحسين عليه السلام وأنه يُقتل مظلوماً، لا نجد من يهب لنصرة الحسين عليه السلام يوم العاشر.

ولذا كان رسول الله صلوات الله عليه يخاطب الباكين معه لبكائه على الحسين عليه السلام خطاباً مباشراً، فيقول لهم : (أيها الناس، أتبكونه ولا تنصرونه؟!)⁽¹¹⁾.

ويُخاطب علي عليه السلام البراء بن عازب قائلاً : (يا براء، يُقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره فلما قُتل الحسين عليه السلام كان البراء بن عازب يقول : صدق والله علي بن أبي طالب، قُتل الحسين ولم أنصره، ثم أظهر على ذلك الحسرة والندم).⁽¹²⁾

كما كان موقف عمر بن سعد لما عُرض عليه ولایة الري⁽¹³⁾.

وإليكم المخواورة التي دارت بين الإمام الحسين عليه السلام وعمر بن سعد

قال الإمام له: ويحك يا ابن سعد! أما تتقى الله الذي إليه معادك أن تقاتلي، وأنا ابن من علمتَ يا هذا من رسول الله صلوات الله عليه؟ فاترك هؤلاء وكنْ معي، فإنني أقربك إلى الله عز وجل.

فقال عمر بن سعد: يا أبا عبد الله، أخاف أن تُهدم داري.

فقال الإمام: أنا أبنيها لك.

قال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

قال الإمام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

قال: عندي عيال أخاف عليهم.

قال الإمام: أنا أضمن سلامتهم.

قال الراوي: لم يُجب عمر إلى شيء من ذلك، فانصرف عنه الحسين رضي الله عنه وهو يقول: مالك! ذبحك الله على فراشك سريعاً عاجلاً! ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بَرِّ العراق إلا يسيراً.

قال له عمر بن سعد: يا أبا عبد الله، في الشعير عوض عن البر!! ثم رجع عمر إلى معسكره^(١٤).

صورة أخرى من صور كربلاء، وشخصية عظيمة نالت العظمة والتقدير والاحترام الكبير، هي شخصية الحر بن يزيد الرياحي (رضوان الله تعالى عليه)، فقد انتقل من معسكر الباطل إلى معسكر الحق، حيث أنه لم يُغلب هواه على عقله في اتخاذ الموقف الحاسم.

وكذلك ننقل صورة أخرى من صور كربلاء، وهي شخصية نالت الفخر والعظمة والتقدير أيضاً، وهي شخصية زهير بن القين (رضوان الله تعالى عليه)، الذي لم يكن يعتقد العقيدة الصحيحة في الإمام الحسين عليه السلام ، كما يُعبّرون بأنه كان عثمانى الهوى.

نماذج من أصحاب الحسين عليه السلام :

قال العريان بن الهيثم : كان أبي يتبدّى (أي يخرج إلى البدية) فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين عليه السلام ، فكنا لا نبدو إلا وجدنا رجلاً منبني

أسد هناك. فقال له أبي : أراك ملزماً هذا المكان؟!

قال: بلغني أن حسيناً يقتل هاهنا، فأنا أخرج إلى هذا المكان لعلّي أصادفه فأقتلـ معه!!

قال ابن الهيثم: فلما قُتِلَ الحسين عليه السلام قال أبي: انطلقوا بنا ننظر هل الأسدـ فيمن قتل مع الحسين عليه السلام؟ـ فأتينا المعركة، واطوّفنا، فإذا الأسدـ مقتول!!(١٥).

عن الإمام السجاد عليه السلام قال: (جمع الحسين أصحابه بعدما رجع عمر بن سعد، وذلك عند قرب المساء، فدنوت منه لأسمع وأنا مريض، فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه:... أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيـتٍ أبـرـ ولا أوصـلـ من أـهـلـ بيـتـيـ، فجزاكم الله عـنـيـ جـمـيعـاًـ خـيـراًـ،ـ أـلـاـ إـنـيـ أـظـنـ يـوـمـنـاـ مـنـ هـؤـلـاءـ الـأـعـدـاءـ خـدـاـ،ـ أـلـاـ وـإـنـيـ قـدـ أـذـنـتـ لـكـمـ فـانـطـلـقـواـ جـمـيعـاـ فـيـ حـلـ،ـ لـيـسـ عـلـيـكـمـ مـنـيـ ذـمـامـ وـهـذـاـ اللـيـلـ غـشـيـكـمـ فـاتـخـذـوهـ جـمـلاـ.

فقال له إخوه، وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لم نفعل؟ لنبقىـ بعدك؟ـ لاـ أـرـانـاـ اللهـ ذـلـكـ أـبـداـ.

فقال الحسين عليه السلام : يا بني عقيل، حسبكم من القتل بـمـسـلـمـ،ـ اـذـهـبـواـ قـدـ أـذـنـتـ لـكـمـ!

فقال عبد الله بن مسلم بن عقيل : فـمـاـ يـقـولـ النـاسـ؟ـ يـقـولـونـ إـنـاـ تـرـكـنـاـ شـيخـنـاـ وـسـيـدـنـاـ وـبـنـيـ عـمـوـتـنـاـ خـيـرـ الـأـعـمـامـ،ـ وـلـمـ نـرـمـ مـعـهـمـ بـسـهـمـ؟ـ وـلـمـ نـطـعـنـ مـعـهـمـ بـرـمـحـ،ـ وـلـمـ نـضـرـبـ مـعـهـمـ بـسـيفـ،ـ وـلـاـ نـدـرـيـ مـاـ صـنـعـوـاـ؟ـ لـاـ وـالـلـهـ لـاـ نـفـعـلـ،ـ وـلـكـنـ تـفـدـيـكـ أـنـفـسـنـاـ وـأـمـوـالـنـاـ وـأـهـلـنـاـ وـنـقـاتـلـ مـعـكـ حـتـىـ نـرـدـ مـورـدـكـ،ـ قـبـحـ اللـهـ العـيـشـ بـعـدـكـ.

- وقول مسلم بن عويسجة (رضوان الله عليه): أحن نحلي عنك؟ وبم نعتذر عند الله من أداء حقك؟ لا والله حتى أكسر في صدورهم رحي هدا، وأضر بهم بسيفي ما ثبت في قائمه في يدي، ولا أفارقك، ولو لم يكن معن سلاح أقاتلهم به لقذفهم بالحجارة ولم أفارقك حتى الموت معك) (١٦)

- وقول زهير بن القين (رضوان الله عليه) لما ذُكر له الحسين عليه السلام بالانصراف: (لا والله لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله أسيراً في يد الأعداء وأنجو؟! لا أراني الله ذلك اليوم) (١٧). وقال أيضاً: والله لو ددت أني قتلت ثم نُشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك).

- وقول سعد بن عبد الله الحنفي: (والله لا نخليك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا غيبة رسول الله صلوات الله عليه عليك، والله لو علمت أني أُقتل ثم أحرق حياً ثم أُذْر، يُفعل بي ذلك سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكراهة التي لا انقضاء لها أبداً) (١٨).

هذه بعض النماذج لواقف أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ولمن أراد المزيد فعليه أن يراجع : إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام.

نهاية المطاف:

وبعد هذا البيان، نستطيع أن نردّ أغلب الإشكالات التي قد توجّه ضدّ أئمة أهل البيت عليهم السلام من عدم قيامهم للثورات.

فإن الظروف التي مرّ بها الأئمة الأطهار عليهم السلام لم تسمح لهم للتحرك ضدّ الطغاة والظلمة، والجهاد مباشرة، وإن إقامة الحكومة العادلة أمر ضروري وبديهي، وكذلك سعي الأئمة عليهم السلام للحكومة.

خلاصة الكلام:

إن هدف الأئمة الأطهار عليهم السلام في كافة العصور : هو إقامة الحكومة الإلهية العادلة^(١٩).

وتتمة البحث في الحلقة القادمة إن شاء الله، ولا يسعنا في المقام إلا التوجّه إلى الإمام صاحب العصر والزمان الكتاب والدعاء له بتعجيل الفرج والنصر، ونسأله أن يجعلنا من أنصاره وأتباعه ومن مقوية دولته وسلطانه، اللهم إنا نرحب إليك في دولة كريمة، تُعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاء إلى طاعتك، والقادمة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة. وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين.

المواهش:

(١) هذه الوظائف ذكرها الشهيد مرتضى مطهرى في كتابه الإمامية^{٣٩} شؤون النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

(٣) سورة النجم، الآية ٣-٤.

(٤) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٥) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٦) نقل كلام الإمام الخميني قَلَّتِي إِنْتَمَا للفائدة : (بدبيهي أن ضرورة تنفيذ الأحكام التي أوجبت تشكييل حكومة الرسول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لم تكن خاصة بعصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، بل الضرورة مستمرة، لأن الإسلام لا يُحد بزمان أو مكان، لأنَّه خالد فيلزم تطبيقه وتنفيذُه والتقييد به إلى الأبد... وبما أن تنفيذ الأحكام بعد الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى الأبد من ضروريات الحياة، لذا كان ضروريًا وجود حكومة فيها مزايا السلطة التنفيذية المدبرة، إذ لو لا ذلك لساد المرج والمرج والفساد الاجتماعي والانحراف العقائدي والأخلاقي، فلا

سبيل إلى منع ذلك إلا بقيام حكومة عادلة تدير جميع أوجه الحياة). (الحكومة الإسلامية ص ٤٧).

(٧) الدليل على أن النبي ﷺ شكل الحكومة واضح، ومن أراد الاطلاع فليراجع : الحكومة الإسلامية - للإمام الخميني قده ص ٦٤. تحت عنوان : طريقة الرسول الأعظم ﷺ .

(٨) كما ذكره صاحب مروج الذهب المسعودي : ج ٣/ ٢٨٤. حيث يقول : كان جميع ملك بني أمية إلى أن بويغ أبو العباس السفاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تنقص، لأنهم ملوكاً تسعين سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً. ومن أراد التفصيل في ملوكهم فليراجع الكتاب.

(٩) هذا التقسيم مقتبس من كتاب (آراء السيد القائد).

(١٠) الإرشاد للمفید: ١٠٥/٢، اللھوف: ١٦٥، تاریخ الطبری: ٣٣٨٣، الكامل فی التاریخ: ٢٩٢/٣: مقتل الحسین علیہ السلام للخوارزمی . ٢٠٢:

(١١) بحار الأنوار: ٤/٢٤٨، عن مثیر الأحزان.

(١٢) الإرشاد: ١٩٢:

(١٣) قوله الأبيات المعروفة :

أُتْرَكَ ملْكَ الرِّيَ وَالرِّيَ مِنِي
حَسِينَ ابْنَ عَمِي وَالْحَوَادِثُ جَمَةٌ
يَقُولُونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ جَنَّةٍ
إِنَّهُمْ صَدَقُوا مَا يَقُولُونَ إِنِّي
وَإِنْ كَذَبُوا فَرَزْنَا بِدُنْيَا عَظِيمَةٍ
وَإِنَّهُمْ أَظْلَمُ النَّقْلِينَ
وَلَكُنْهَا الدُّنْيَا بَخِيرٌ مَعْجَلٌ

المصدر: اللھوف فی قتلی الطفووف: ١٩٢:

(١٤) مع الرکب الحسینی: ٤/١١٧، نقلًا عن مقتل الحسین للخوارزمی.

(١٥) مع الركب الحسيني: ١: ٢٠٨ نقاً عن تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين علیه السلام).

(١٦) البحار: ٤٥/٦٩ - ٧٠.

(١٧) البحار: ٤٥/٧١.

(١٨) مع الركب الحسيني : ١٣٣/٤ - ١٣٥ بتصريف.

(١٩) من محاضرة سماحة الإمام القائد تحت عنوان : عنصر الجihad في حياة الأئمة علیهم السلام الدراسات العظيمة من سيرة أهل البيت علیهم السلام .

إن هدف الأئمة الأطهار علیهم السلام

في كافة العصور : هو إقامة

الحكومة الإلهية العادلة

السيد القائد (حفظه الله)

تسلية الإنسان.. من نعم الرحمن

جاسم بدر المطوع

نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان كثيرة تأبى على العد والإحصاء، فلا يمكن له أن يحيط بها علماً في حصيها، ومن بين أعظم هذه النعم أن ينفع عليه فيعرفه نعمه ليشكره عليها، الحديث سيكون حول إحدى هذه النعم التي تغيب عن بال الكثير وكيفية شكر الباري عز وجل عليها.

الإنسان مسخر لأخيه:

من أعظم نعم الله عز وجل أنه سخر الإنسان لأخيه الإنسان^(١)، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَخَذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمِعُونَ﴾^(٢) ، فالآية القرآنية الكريمة تبين أن المولى عز وجل خلق البشر وجعلهم متباوتين في الرزق ليستعمل بعضهم بعضاً في قضاء حوائجهم فينتظم بذلك نظام العالم^(٣)، فالتسخير سيادة إلى الغرض المختص قهراً والتسخري هو الذي يظهر فيتسخر بإرادته^(٤)، وكل إنسان مسخر لإخوه إماً مباشرة وإماً بالواسطة وبذلك تعمد الدنيا، وتقام الحضارات، فأنت إن تأملت في هذه المجتمعات رأيت كيف أن الإنسان لا يستطيع لوحده أن يحقق جميع غاياته وكيف أنه يحتاج لغيره، ووجدت أنه مستعد للتخلص عن بعض ما حصل له بجهده ليحصل على بعض ما حصله الآخرون بجهودهم فيقترب بذلك من الحصول على غاياته كلها أو القدر الأكبر منها.

فالغنى يحتاج للفقير ليقوم ببعض أعماله أو ليعمله علمًاً ليس عنده أو...
فيعطيه من بعض ما رزقه الله، والفقير يحتاج للغنى فيعمل في قضاء حوائجه أو
يعلمه ما يجهله وهكذا، وليس لأحد من فضل على أحد وإنما هو فضل الله
عليهم ونعمته.

ظلم الإنسان لأخيه:

لقد من الله عز وجل على الإنسان فسخر له هذا الوجود وهو بحسب طبيعته
البشرية يسعى لسد حاجاته الطبيعية التي يشعر بها، ويستمر كل ما يمكنه في
هذا الطريق وقد يغفل في كثير من الأحيان عن أن للآخرين حاجات مماثلة
فيعتدي عليهم بقصد أو بدونه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٥)، وقال
أيضاً: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٦)، وصيغة المبالغة في وصفه بالظلم تشير بوضوح
إلى تكرر ذلك منه، كما أن صيغة المبالغة في وصفه بالكفر والجهل كثرة كفره
للنعم وجهله^(٧).

نعمـة عظـيمة أخـرى:

إن هذا المجتمع الذي تتعارض فيه مصالح البشر يفتقر بالضرورة إلى قوانين
تنظم المعاملات فيه وتحفظ لكل شخص حقوقه من الضياع، ولذلك من الله
سبحانه وتعالى على البشرية بإرسال الرسل والأنبياء لإرشاد البشرية للسبيل
الأمثل لتنظيم العلاقات بين الأفراد فيبقى المجتمع متamasًاً وتحفظ منافع ومصالح
جميع الأفراد على اختلاف مواقعهم فيه.

وـاقـع الـجـتمـع البـشـري الـمعـاـصر:

المجتمع البشري المعاصر كجميع المجتمعات السابقة يسعى أفراده لسد
احتياجاتهم الطبيعية مستفيدين لتحقيق هذه الغاية من كل ما يتوفّر لهم من

آليات، ورغم مرور آلاف السنوات على أول مجتمع بشري ما زال الإنسان يظلم أخيه الإنسان حقه كلما توفرت له الفرصة لذلك !!

هذا الواقع الذي تعيشه أغلب المجتمعات البشرية اليوم ليس هو ذلك الذي شرع له المولى عز وجل من خلال إرسال رسالته، فالمولى عندما جعل التفاوت بين البشر في القدرات والإمكانات ليتمكن كل واحد منهم من الاستعانت بالآخر للوصول لغاياته والحصول على احتياجاته الطبيعية لم يرد أن بعض دون بعض، وإنما أراد أن يصل جميع الأفراد لغاياتهم، فمن عليهم بالرسل والأنبياء هداة ومرشدين مبينين لسبيل وصول الجميع لهذه الغايات، وأقل ما يقال في شكر هذه النعم هو الاستفادة منها بصورة صحيحة، وليس الإعراض عن هذه السبيل وهجرانها إلا كفراً ^أبنعم الله عز وجل هذا الكفران الذي ينشأ من جهل الإنسان نفسه، فلا بد إذن للإنسان من أن يعرف سبيل شكر هذه النعم.

من سبل شكر هذه النعمة:

أول ما يقال في سبل شكر النعمة هو أن يحرص الإنسان على معرفة المقررات والقوانين التي شرعاها المولى عز وجل لضبط المعاملات الاجتماعية، وهذا ما يتکفل به علم الفقه الإسلامي فهو العلم الذي يعني بتبيين القوانين الفردية والاجتماعية، فمثلاً التاجر يجب أن يعرف أحكام التجارة وصاحب المؤسسة والمصنع يجب أن يعرف أحكام الإجارة^(٨) وهكذا في مختلف الصنائع والأعمال. وفي الحديث الشريف عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول على المنبر: يا معشر التجار الفقه ثم المتجر الفقه ثم المتجر، والله للربا في هذه الأمة دبيب أخفى من دبيب النمل على الصفا، شوبوا أيمانكم بالصدقة، التاجر فاجر والفارجر في النار إلا من أخذ الأحق وأعطى الحق^(٩).

ثم إن كتب الأخلاق والحديث ذكرت الكثير من الآداب التي ينبغي للمؤمن أن يتحلى بها خلال المعاملة، والتحلي بهذه الآداب من أجل مصاديق شكر الله على هذه النعمة.

العمالات الوافدة:

تتميز بعض المجتمعات البشرية باحتياجها للعمالات الوافدة من بلدان أخرى ولأسباب متعددة، منها نقص الطاقات البشرية في تلك المجتمعات أو وجود وظائف وخصائص لا يوجد بين أبناء هذه المجتمعات من يقوم بها أو رخص تكلفة العمالة الوافدة بالنسبة للعمالة الأخلاقية، وعلى كل حال فالمجتمع الخليجي من المجتمعات التي تتميز بهذه الظاهرة، وإن تفاوت وجودها من بلد لآخر، ولذلك سينصب الحديث ضمن هذه النقطة حول العمالة الوافدة في المجتمع الخليجي.

من الوضوح بمكان أن أغلب العمالة الوافدة على المجتمع الخليجي هي عمالة وافدة من دول أفراد من الدول الخليجية، ومن الواضح أيضاً أن غالبية هذه العمالة تشغّل وظائف متدنية في نظر العرف بشكل عام، كالعمل في مؤسسات التنظيف أو البناء أو الخدمة في المنازل و...، مما يؤدي لوجود نظرة دونية لدى البعض لأفراد هذه الطبقة.

وما لا شك فيه أن هذه النظرة ليست من الإسلام في شيء فمعيار الكرامة والتفضيل في الإسلام هو التقوى فيها هو النداء القرآني يتعدد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتُّقَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾^(١٠)، ومن الحسن أن نشير هنا إلى عدة نقاط خطرت بالبال:

- ١ - من اللازم أن نتذكر دائمًا أن هذا العامل^(١) إنسان مثلنا، وهو إن لم يكن أخاً لنا في الدين فهو نظير لنا في الخلق.
- ٢ - إن حاجتنا لوجود هذا العامل وقيامه بما أرسنـدـ إلـيـهـ لا تقلـ عنـ حاجـتـهـ للـعـمـلـ عندـنـاـ.
- ٣ - إن هذه الحاجة المتبادلة من نعم الله علينا، فلو لم يحتجـ هذاـ العـاـمـلـ إـلـيـنـاـ لاضطررـنـاـ لـلـقـيـامـ بـمـاـ يـقـومـ بـهـ،ـ وـمـعـ تـعـدـ الأـعـمـالـ نـعـلـمـ بـأـنـاـ لـاـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـغـطـيـ جـمـيـعـ حـاجـاتـنـاـ،ـ فـيـجـبـ أـنـ خـمـدـ اللـهـ لـتـوـفـيرـ مـنـ يـسـاعـدـنـاـ عـلـىـ تـحـقـيقـ اـحـتـيـاجـاتـنـاـ،ـ وـعـنـ عـلـيـ اللـهـ فـيـ بـيـانـ مـعـاـيـشـ الـخـلـقـ قـالـ:ـ وـأـمـاـ وـجـهـ الـإـجـارـةـ فـقـولـهـ عـزـ وـجـلـ:ـ ﴿نَحْنُ قَسَّمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةً رَبُّكَ خَيْرٌ مَا يَجْمِعُونَ﴾ فـأـخـبـرـنـاـ سـبـحـانـهـ أـنـ الـإـجـارـةـ أـحـدـ مـعـاـيـشـ الـخـلـقـ،ـ إـذـ خـالـفـ بـحـكـمـتـهـ بـيـنـ هـمـمـهـ وـإـرـادـتـهـ وـسـائـرـ حـالـاتـهـ،ـ وـجـعـلـ ذـلـكـ قـوـاماـ لـمـعـاـيـشـ الـخـلـقـ،ـ وـهـوـ الرـجـلـ يـسـتـأـجـرـ الرـجـلـ فـيـ ضـيـعـتـهـ وـأـعـمـالـهـ وـأـحـكـامـهـ وـتـصـرـفـاتـهـ وـأـمـلاـكـهـ،ـ وـلـوـ كـانـ الرـجـلـ مـنـ يـضـطـرـ إـلـىـ أـنـ يـكـوـنـ بـنـاءـ لـنـفـسـهـ أـوـ نـجـارـاـ أـوـ صـانـعـاـ فـيـ شـيـءـ مـنـ جـمـيـعـ أـنـوـاعـ الصـنـائـعـ لـنـفـسـهـ وـيـتـوـلـيـ جـمـيـعـ مـاـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ مـنـ إـصـلـاحـ الشـيـابـ وـمـاـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ مـنـ الـمـلـكـ فـمـنـ دـوـنـهـ مـاـ اـسـتـقـامتـ أـحـوالـ الـعـالـمـ بـتـلـكـ،ـ وـلـاـ اـتـسـعـواـ لـهـ،ـ وـلـعـجـزـوـاـ عـنـهـ وـلـكـنـهـ أـتـقـنـ تـدـبـيرـهـ لـخـالـفـتـهـ بـيـنـ هـمـمـهـ،ـ وـكـلـمـاـ يـطـلـبـ مـاـ تـنـصـرـفـ إـلـيـهـ هـمـتـهـ مـاـ يـقـومـ بـهـ بـعـضـهـ لـبـعـضـ،ـ وـلـيـسـتـغـنـيـ بـعـضـهـ بـعـضـ فـيـ أـبـوـابـ الـمـعـاـيـشـ الـتـيـ بـهاـ صـلـاحـ أـحـواـمـهـ^(١٢).
- ٤ - عدم معرفة العامل للحق ليس مبرراً للإساءة إليه بحججه أنه ضال ومعيار الكرامة هو التقوى، بل من اللازم هنا أن يبين له الحق بالحكمة والوعظة الحسنة، والتطبيق العملي لنهج الحق، فعن أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه

(أن نفراً أتوا من الكوفة من شيعته يسمعون منه، ويأخذون عنه، فأقاموا بالمدينة ما أمكنهم المقام، وهم مختلفون إليه ويترددون عليه ويسمعون منه ويأخذون عنه، فلما حضرهم الانصراف وودعوه، قال له بعضهم: أوصنا يا ابن رسول الله، فقال: أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته واجتناب معااصيه، وأداء الأمانة لمن ائتمنكم، وحسن الصحابة لمن صحبتموه، وأن تكونوا لنا دعاة صامتين. فقالوا: يا ابن رسول الله، وكيف ندعوا إليكم ونحن صمود قال: تعملون ما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتتناهون عما نهيناكم عنه من ارتكاب محارم الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتوذدون الأمانة، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم إلا على خير، فإذا رأوا ما أنتم عليه قالوا: هؤلاء الفلانية^(١٣)، رحم الله فلاناً، ما كان أحسن ما يؤدب أصحابه، وعلموا فضل ما كان عندنا، فسارعوا إليه^(١٤).

٥ - قد يكون العامل الوافد من غير المسلمين فهنا كما ينبغي مراعاة ما ذكر في النقطة السابقة إلا أنه لا يجوز التهاون في الأحكام الشرعية من مراعاة أحكام النجاسة وغيرها^(١٥).

٦ - قد تتهاون سفارات بعض الحكومات في رعاية مصالح مواطنيها فيستغل بعض أرباب العمل ذلك فيبخس عماله أجورهم وهنا نذكره بقول الرسول الأعظم ﷺ: (من ظلم أجيراً أجره أحبط الله عمله وحرم عليه ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خسمائة عام)^(١٦) ، وقال ﷺ: (ظلم الأجير أجره من الكبائر)^(١٧).

المواهش:

(١) دار الحديث بين علماء الاجتماع حول كون الإنسان اجتماعياً بالطبع أو بالضرورة، فعلى الأول يقال بأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله اجتماعياً بالفطرة، وعلى الثاني يقال بأن الله خلق الإنسان أنانياً بالفطرة ولكنه لما رأى أنه لا يستطيع تحقيق حاجاته إلا باستخدام الآخرين أو التعاون معهم صار اجتماعياً للضرورة.

راجع: القرآن في الإسلام - السيد محمد حسين الطباطبائي - تعریب السيد أحمد الحسینی
ص ٩٢.

تفسير الميزان: العلامة الطباطبائي (طبعة جماعة المدرسین بالحوزة العلمية - قم المقدسة -)
ج ٢ ص ١١٢ / ج ٤ ص ٩٢ / ج ١٠ ص ٢٦١ / ج ١٨ ص ٩٦ .
(٢) سورة الزخرف، الآية ٣٣ .

(٣) راجع تفسير الآية الكريمة في التفسير الأصفى والتفسير الصافي للفيض الكاشاني، تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، التفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي وغيرهم...

(٤) مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ص ٢٢٧ .

(٥) سورة إبراهيم ﷺ، الآية ٣٤ .

(٦) سورة الأحزاب، الآية ٧٢ .

(٧) راجع تفسير الآيتين، والقرآن في الإسلام (مصدر سابق) ص ٩٦ .

(٨) فالموظف والعامل أجيران لدى أرباب الأعمال فمعرفة أحكام الإجارة بباب معرفة حقوق الأجير وواجباته.

(٩) تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي: ج ٧ ص ٦ / من لا يحضره الفقيه: الشیخ الصدوق: ج ٣
ص ١٢١ .

(١٠) سورة الحجرات، الآية ١٣ .

(١١) أو تلك العاملة.

- (١٢) وسائل الشيعة: الحر العاملي ج ١٣ ص ٢٤٤.
- (١٣) أي قالوا هؤلاء الجعفرية رحم الله جعفر^{عليه السلام}...
- (١٤) دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي: ج ١ ص ٥٦.
- (١٥) مؤسف ما حدث مؤخراً في إحدى الدول الخليجية من قيام بعض المدراء الأجانب بالإساءة للقرآن الكريم وعدم قيام الجهات الرسمية بأي رد على هذه الجريمة.
- (١٦) من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق: ج ٤ ص ١٢.
- (١٧) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ج ١٠٠ ص ١٧٠.

وَلَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْكُمْ إِلَّا عَلَى
خَيْرٍ، فَإِذَا رَأَوُا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ قَالُوا:
هُؤُلَاءِ الْفَلَانِيَّةُ، رَحْمَ اللَّهِ فَلَانَاً،
مَا كَانُ أَحْسَنُ مَا يُؤَدِّبُ
أَصْحَابَهُ، وَعَلِمُوا فَضْلَ مَا كَانُ
عِنْدَنَا، فَسَارَعُوا إِلَيْهِ
(الإمام الصادق^{عليه السلام})

المرجحية والقيادة

السيد ياسين السيد قاسم الموسوي

تمهيد :

من الأمور الفطرية والبديهيات الكونية أن لكل مجموعة قيمةً ورئيساً وأن لكل جسد رأساً وقلباً ولكل منظومة محوراً وقطباً، فلا يستقيم الكون كله إلا بقيمة ولا يتنظم وضع كل الكائنات إلا بتطبيق عملي لمفهوم القيمة أو القيادة، فالإنسنة لا تتحقق إلا ب الرجل قوام عليها، وطبيعة الإنسان الفسيولوجية تأبى التحرك إلا تحت تنظيم وفاعلية القلب، والنمل لا تسير إلا بقائد يقودها، والنحل لا تعمل إلا تحت أمر الملكة، وقطع العيش لا ترعى إلا بقائد لها، وحركة الغابات تسير تحت نظر سلطة القويّ حيث أنّ غيابه ينبع التدهور في نظامها على المستوى الحياني..

وما يتبع ولو عن بعد وبصورة إجمالية للتاريخ البشري - حتى يومنا الحاضر - يدرك عدم تخلي أي مجتمع صالح أو طالع عن قيادة براءة أو فاجرة تقوده، سواء قادته للخير أو للشر، وسواء بالطيب واللين أم بالقوة والعنف، فوجود هذا الميل الإنساني يحتم علينا الاعتراف بفطرية القيادة والانقیاد، وكل شيء لا يبقى ولا يدوم إلا بقيادة فرد واحد لا ثانٍ له..

ضرورة القيادة للمجتمعات :

في النظريات المختلفة والمتحدة التي أسست بشأن تنظيم الإطار الجموعي تم الاعتراف والتصريح بضرورة وجود قيادة في كل الحالات وعلى كل المستويات،

والذهب الوحد الذي ينكر ضرورة وجود القيادة هو الاتجاه الفوضوي إذ يعتقد أن البشر يقدرون على إدارة الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها من خلال نشر الأصول الأخلاقية والتربوية ولا حاجة وبالتالي لوجود القيادة. ويرى هؤلاء أنه يجب التحرك بالأسلوب التالي للوصول إلى هذه النتيجة؛ وهو امتلاك الناس تربيةً وتعليمًا يستطيعون بهما إدارة أمور المجتمع دون حاجة إلى واقع القيادة.

من أي المواقف؟

قبل الخوض في صلب هذا الموضوع ينبغي أن نوضح الميدان الحقيقى لهذا الموضوع؛ أي هل هو من الموضوعات الثقافية أو الموضوعات الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، لأن معرفتنا لحقله الواقعى يعطينا الترتيب السليم للمقدمات المنطقية للحصول على النتائج الصحيحة.. ووضعنا له في أحد الحقول المتقدمة ليس نابعاً من أهوائنا أو من خلال رغباتنا الخاصة بل إننا سنستدل الاستدلال المنطقي العقلي ثم التقلي عليه وسيتضح جواب هذا السؤال بعد الدليل الثاني، وإنما وضعت هذا السؤال في الصدارة لأهميته ولترتيب كثير من الأمور على معرفة جوابه..

الأدلة المتنوعة للقيادة :

الدليل الأول : الدليل العقلي الفلسفى، ويحتاج لأكثر من مقدمة :

أولاًها : توضيح مفهوم المشروعية :

المشروعية التي تطرح في فلسفة السياسة هي مفهوم اصطلاحى يجب عدم الخلط بينه وبين المعنى اللغوى لهذه الكلمة وكلماتٍ أخرى من عائلتها اللغوية؛ وبعبارة أخرى ينبغي ألا نعتبر كلمات : (مشروع) و(مشروعة) و(متشارعين) التي

تشتق من كلمة الشرع بمعنى الدين مرادفة لكلمة المشروعة؛ إذ هي في الأبحاث السياسية إنما ترافق كلمة (القانونية) تقريباً.

عندما نقبل بضرورة القيادة عند العقلاة كما مر ثم نومن بالأسس التي تتبنّاها والتي من مداركها المقررة تستربط الرؤى والأطروحات وتعتمد عليها في إصدار الأوامر التي تكون في مقام ما يقوم الآخرون بتطبيقه، وهذا ما يبين لنا أنّ قوام المجتمع الحضاري إنما هو بوجود قيادة حكيمة ورشيدة للناس ومن واجباتهم أن يقبلوا بأحكام التشريع الصادرة عنها وأن يعملوا بها.

فيتمكننا الآن توضيح المراد من (المشروعة) : وهي أنّ شخصاً له حق القيادة، ووظيفة الناس في المقابل إطاعته.

ثانيها : توضيح بشأن الحق :

ما معنى "الحق" - الذي يكون بموجبه للقائد أهلية إصدار الأوامر - وما هي معاييره، ونحن الآن لن نتطرق لمعيار الحق وكيفية تحصيل ذلك الحق ومنبع إعطائه لهذا الشخص أو ذاك وهذا ما سيتضمن جلياً في ثانيا الدليل الثاني إن شاء الله تعالى^(١).

لماذا حق القيادة ولزوم الطاعة؟

قيل إن (حق القيادة) و(التكليف بالإطاعة) متلازمان وبالتالي ليس ثمة تفاوت بين أن نسأل : لماذا يحق للقائد أن يأمر؟ وأن نسأل : لماذا يجب على الناس اتباع القائد وتنفيذ أوامره؟ فإذا قبلنا أنه :

١ - ينبغي وجود قيادة في كل مجتمع.

٢ - وأن القيادة هي يعني تدبير الأمور الاجتماعية والسياسية والمستعصيات والعوالق في المجتمع.

فعلينا بعد ذلك أن نقبل أن للبعض الحق بإعطاء الأوامر والقيام بشؤون القيادة وبال مقابل فإن الناس مكلفوون بإطاعة أوامر القائد.

وإذا لم يكن هناك أمر في البين فلن تكون هناك قيادة، وإذا كانت هناك أسس ومتبنيات فكرية وأوامر ولكن لم ينفذها أحد فسوف تكون القيادة بلا طائل وسيكون فرض وجود قائد وتابعين بلا فائدة البتة.

والأدلة العقلية هي التي توجب وجود علاقة القائد والمقود أو الإمام والأمة، كالدليل القائل أن الوضع القائم بدون وجود مثل هذه العلاقة لا تتحقق معه مصالح المجتمع، وهذه الأدلة إذاً ثبتت أنه للقائد الحق في الحكم والقيادة ويجب على الناس إطاعته..

ونشير على أنّ أصل وجوب القيادة، وحق القائد في إعطاء الأوامر، ووظيفة الناس في الإطاعة أمر منفصل عن أنه ما الدليل على أنه يحق للقائد أن يحكم وعلى الناس الإطاعة؟ (لكن هذا سيتضمن إن شاء الله بعد الدليلين التاليين).

الدليل الثاني : يعتبر هذا الدليل ممزوجاً بين العقل والنقل وهو: يجب أن يعي الإنسان هدفه من الحياة؟ وهدف خالقه من خلقه؟ بعد أن يعرف الخالق الحق ويؤمن بالمرشد الذي عينه لتوضيح منهجه والطريق السالك الصحيح للوصول له وتحقيق كل ما يريد منه..

هذا ما يختزله المصطلح القرآني وهو مفهوم الاستخلاف في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) والذي يعني خلافة الإنسان لله سبحانه وتعالى في

الأرض والتي تحدّث القرآن عن تحمل الإنسان لأعبائها ووصفها بأنها أمانة عظيمة ناء الكون كله عن حملها، في قوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيَّنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِنْسَانٌ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٣)

فإنَّ الإنسان الأول وهو نبي الله آدم عليه السلام عرف لقام نبوته ما يريده منه الذي استخلفه في هذه الأرض، وهكذا من كان معه تبعاً لهدياته، ولكن بعد أن ازداد عدد البشر - المستخلفين - وجلَّ هؤلاء لم يكونوا أنبياء قادرين على تحمل عبء النبوة ولا يوحى لهم فلابد لهم من مرشدٍ يدلُّهم على ما يريده منهم من استخلفهم - وهو الله عز وجلٌّ - فانصبت هذه المسؤولية على كاهل الأنبياء على مرِّ التاريخ والأوصياء ثم الأئمة عليهم السلام الذين صرَّح النبي ﷺ في أكثر من موقف بعدهم وأسمائهم وألقابهم وهم اثنا عشر خليفة من أهل بيته العصمة والطهارة عليهما السلام، إلى أن وصل الأمر للإمام الثاني عشر وهو إمام زماننا الحجة بن الحسن المهدى (أرواحنا فداء)

ففي غيبته - التي نعيشها الآن - أمراً للنبي عليه السلام باتباع الفقهاء الأمانة الأتقياء في توقيعه الشريف : (وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجُعُوهَا إِلَى رَوَاةِ حَدِيثِنَا، فَإِنَّهُ حَجَّتِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا حَجَّةُ اللَّهِ)^(٤) وهم الممثلين في عصرنا الحاضر للمرجعية الشرعية.. ولهذا كله يصبح الإنسان غير مخولٍ أن يحكم بهواه أو اجتهاده المنفصل عن توجيه الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ خلاف هذا يتنافى مع طبيعة الاستخلاف، فيجب على كل مكلف أن يطبق شرع الله في كل مفاصيل حياته الاجتماعية والسياسية والثقافية وو.. استناداً لما يأمره المرشد الإلهي المتمثل في النبي ﷺ بالأصالحة

والتعيين الخاص وفي الوصي بالامتداد والتعيين الإلهي الخاص أيضاً والمرجع بالامتداد الطبيعي والتعيين العام، وهذا تطبيق عملي لقوله تعالى ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادِيٌ﴾ ..

وبهذه الحقيقة تميز الخلافة الإلهية والقيادة بمفهومها الإسلامي والقرآنی عن الحكم في الأنظمة الوضعية بشكل عام والأنظمة الديمقراطية الغربية على وجه الخصوص، فإن هذه الأنظمة هي صاحبة السيادة ولا تنوب عن الله في ممارساتها ويترب على ذلك أنها ليست مسؤولة بين يدي أحد، وغير ملزمة بمقاييس موضوعي في الحكم - بمعنى أنها ليست مقيدة بحدود ولا ضوابط ولا معايير ثابتة - بل يكفي أن تتفق على شيء ولو كان هذا الشيء مخالفًا لمصلحتها ولكرامتها عموماً، أو مخالفًا لمصلحة جزء من المجتمع وكرامته ما دام هذا الجزء قد تنازل عن مصلحته وكرامته..

هذا مع ملاحظة أن الإنسان في الرؤية الإسلامية حر في تصرفاته وأفعاله، إذ بدون الاختيار والحرية لا معنى للمسؤولية، ومن أجل ذلك كان بالإمكان أن يستنتج من جعل الله خليفة في الأرض أنه يجعل الكائن الحر مختاراً، أي بإمكانه أن يصلح في الأرض وبإمكانه أن يفسد أيضاً، وبإرادته و اختياره يحدد ما يتحققه من هذه الإمكانيات، هذا ما تدل عليه آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٥).

وما سبق يتضح أن ديننا الإسلامي الحنيف دين الشمولية ودين التكامل ونظراتنا لأمورنا كلها (أولاً) من منظار الشرع (ثم) العقل اللذان لا يختلفان أبداً فالدين يشمل الثقافة والمجتمع والسياسة والاقتصاد و...، فلو دققنا في مفاهيم

الشرع لعرفنا أن مفهوم القيادة مفهوم ديني رئيسيٌّ شوليٌّ وليس مقتصرًا على شأن من تلك الشؤون فحسب كما يتصور البعض أن الدين مقتصر على العبادة والرهبة ولا دخل له في السياسة وغيرها، وتعتبر القيادة ضمان لتحقق واستمرار الإسلام الأصيل وأهدافه، وهي سر الحياة والبهاء في المجتمعات التوحيدية قاطبة..

ولقد ثبت من نتائج هذا الدليل أن مفهوم القيادة مفهوم إلهي رباني ديني وكذلك يستفاد من الكثير من الأدلة المتفاوتة في العمق والسطحية..

الدليل الثالث : الدليل النقلي : وعمدة هذا الدليل الآيات الكريمة وما روی عن أهل بيت العصمة عليهما السلام في هذا المضمار وسنذكر الأحاديث مع شرح موجز في بعض الموارد..

١ - قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ...﴾^(٦). ونظراً لما هو واضح من ولایة الله ورسوله وثبوتها المسلم، نقتصر في الشرح على الشق الآخر من الآية وهو قوله ﴿أُولَئِكُمْ﴾ والوجوه المحتملة فيه ثلاثة وهي : الأولى : أن المراد بهم جميع الأمراء والحكام مطلقاً..

الثاني : أن المراد بهم خصوص الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام كما وردت بذلك روايات مستفيضة.

الثالث : أن المراد بهم كل من له حق الأمر والحكم شرعاً؛ أي كل من ثبت له هذا الحق شرعاً وجبت لا محالة إطاعته في ذلك وإنما لصار جعل هذا الحق له لغوًّا.

وحق الأمر والحكم لا ينحصر في الإمام المعصوم، بل يثبت لكل من كانت ولائيته وقيادته مشروعة بالتنصيب الخاص أو العام.

فكما وجبت طاعة أمير المؤمنين عليه السلام مثلاً في أوامره الولائية كذلك تجب طاعة المنصوبين من قبله، كمالك الأشتر مثلاً.

أو كما يقول الشيخ الأعظم في معنى أولي الأمر : (الظاهر من هذا العنوان عرفاً من يجب الرجوع إليه في الأمور العامة التي لم تتحمل في الشرع على شخص خاص).

وعلى ما ذكر فالفقيه القائد الجامع للشروط أيضاً على فرض ولايته شرعاً يصبح مصداقاً للأية قهراً.

٢ - قوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٧)

٣ - قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : (قال رسول الله ﷺ : اللهم ارحم خلفائي - ثلاث مرات - قيل : يا رسول الله، ومن خلفاؤك؟ قال : الذين يأتون بعدي، يررون حديثي وسنطي، فيعلمونها الناس من بعدي)^(٨)

٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (قال رسول الله ﷺ : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل : يا رسول الله : وما دخولهم في الدنيا؟ قال : اتبع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم)^(٩).

٥ - ما مر ذكره وهو ما ورد في توقيع مولانا صاحب العصر والزمان رحمه الله : (أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك، إلى أن قال : وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله...)^(١٠).

وطبيعي أن المقصود من (الحوادث الواقعة) ليس هو المسائل والأحكام، وكان الناس يرجعون إلى الفقهاء إذا أشكلت عليهم مسألة من مسائل الشرع وأحكامه، وقد كان ذلك يحدث حتى في زمن الأنمة أنفسهم إذا كان الناس

بعيدين عن الإمام، وفي مصر غير مصره، فالسائل المعاصر لأوائل غيبة الإمام الثانية
وهو على اتصال ببنواهه الأربع، ويراسل الإمام ويستفتنه، لم يكن يسأل عن
المرجع في الفتوى، لأنَّه كان يعرف ذلك جيداً، إنما كان يسأل عن المرجع في
ال المشكلات الاجتماعية المعاصرة، وفيما يجد من تطورات في حياة الناس، وفي
القضايا السياسية المفصلية المرتبطة بشؤون الأمة.

ولفظ (حجَّة الله) يعني أنَّ الإمام مرجع للناس في جميع الأمور، والله قد
عيَّنه، وأناط به كل تصرف وتدبير من شأنه أن ينفع الناس ويسعدُهم. كذلك
الفقهاء، فهم مراجع الأمة وقادتها. حجَّة الله هو الذي عينه الله للقيام بأمرِ
ال المسلمين، ف تكون أفعاله وأقواله حجَّة على المسلمين، يجب إيفادها، ولا يسمح
بالتلخُّل عنها ^(١١) ..

٦ - عن الإمام جعفر بن محمد الصادق الثانية : (من كان منكم قد روى حديثنا
ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنني قد جعلته
عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله علينا
رد، والراد علينا كالراد على الله وهو على حد الشرك بالله) ^(١٢).

والفقيه في الاصطلاح المعاصر هو نفسه الشخص الذي عبرت عنه الروايات
بتعبير (عارف بالحلال والحرام) وأمثالها.

فلسفة القيادة :

نقرأ للإمام الرضا الثانية كلاماً في فلسفة الإمامة يمكن أن يبيَّن لنا فلسفة
القيادة والرجوعية التي تعتبر الامتداد الطبيعي للإمامية :
(فإن قال : فَلِمَ جعل أولي الأمر بطاعتهم؟ قيل : لعلِّ كثيرة، منها : أنَّ الخلق لـ

وقفوا على حد محدود وأمرروا أن لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أميناً ينبعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذاته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيمةً ينبعهم من الفساد، ويقيم فيهم المحدود والأحكام.

ومنها : أنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيمة ورئيس، ولما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لابد له منه، ولا قوام لهم إلا به، فيقاتلون به عدوهم ويقسمون به فيهم ويقيم لهم جمعهم وجماعتهم، وينع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها : أنه لو لم يجعل لهم إماماً قيمةً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة وذهب الدين وغيرت السنن والأحكام ولزاد فيه المبتدعون ونقص منه المحدثون وشبهوا ذلك على المسلمين).^(١٣)

القيادة والعقل :

إن ما يدركه ويقرره ويرشد له العقل السليم، المنبع من حاكميته على كل المخلوقات وسيادته لكل الصفات وبقتضى حكمته لأنه كما عرّفه العقلاه هو الحكيم الذي يضع الشيء في مواضعه.

بالإضافة إلى أن النظم والتنظيم أمران راجحان في نظره ومقابلهما مرجوح بلا شك عنده، ومن ناحية أخرى يقر العقل والعقلاه بأن تقديم الأعلم المختص في مساحة اختصاصه هو عين الصواب.

ولما للعقل من هيمنة على سلوك الإنسان فإن الاطمئنان بواقعية المهدى وصحة المسير وسلامة الجادة من هوا جسه ومهماته؛ لذلك كان لزاماً أن يكون

هدف الإنسانية جلياً واضحاً لديه - بحكم حججته الباطنية - حتى يضع العقلُ الإنسانَ في موضعه الصحيح، ولا شيء غير الحق والخير اللذان يمثلان الطريق والمنهج لتحقيق الهدف الأساسي للإنسانية عن طريق العقل وبدهاه، الذي يتمثل في معرفة الدين الحقّ (أولاً) ثم تحقيق أهدافه (ثانياً).. وتعتبر هذه الثمرة الأبرز للعقل، والقيادة هي التي تحدد الواجبات والمسؤوليات على المكلف وليس الله سبحانه هو الذي يتواصل ويرتبط مباشرة مع كل البشر، وإنما عن طريق المرشدين الإلهيين، فتأمل..

القيادة الدينية والقيادة السياسية :

توجد أسئلة ينبغي لكل مسلم يعيش في وسطِ ما، وله حقّ الممارسة السياسية أن يطرحها على نفسه ومنها : هل يجوز لي - كمسلم أخضع لمقررات إسلامية - أن أفضل بين القضايا السياسية المصيرية وبين الدين أو التكليف الشرعي؟ أو هل يجوز التبعية فقط في الأمور السياسية للعلماني أو الإمبريالي؟ أو هل يجوز الانقياد للشخصية الإسلامية أيّاً كانت في شأن من هذه الشؤون؟

يتقرر ويتبين للمتابع المتشريع، وما مرّ من شمولية الدين الإسلامي وإحکام تشريعاته وضوابطه، وأنّ الدين لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وله رأي فيها، أنه لا يعقل أن يترك الدين قضايا الأمة المصيرية لكل عقل أن يشخصها ويتخذ قراره فيها على حده أو لأي أحد ثبت فيها، ولا توجد مسوغية في الشرع أن يتبع المتشريع في مثل هذه المسائل غير من أمر هو باتباعه والذي لا يتمثل في العلماني ولا في أضرابه ولا في المثقف الإسلامي بالمستوى العادي وحتى المتوسط، وإنما في الفقيه أو المحتهد العالم فحسب..

القيادة الحركية والقيادة الشرعية :

انتشر في الآونة الأخيرة على لسان البعض ظاهراً أو باطناً، أنَّ القيادة على نوعين قيادة حركية في الأمة، وقيادة شرعية متمثلة في المرجعية الدينية، وهذه مغالطة واتهام للقيادة الشرعية وتعريض لها.

إذ لو كانت القيادة الشرعية غير متحركة وكانت قيادة غير صالحة، ولا قيمة لها ولا شرعية لها ولا ولایة لها لسكنونها وخنوعها.

لأننا إذا قلنا بأنَّ قيادة المرجعية قيادة غير متحركة فإنَّ هذا معناه أنَّنا لا نؤمن بقيادة المرجعية.

وعليه فإنَّ إعطاء مفهومين للقيادة، والفصل بينهما، لتكون إحداهما شرعية والأخرى حركية، تمثل الأولى المرجعية الدينية، وتمثل الأخرى الجمعية أو الحزب الإسلامي، وهذا فهم - كما يصفه آية الله العظمى السيد الحائري (حفظه الله) - خطأ لا يقول به إلا جاهل، أو معرض^(١٤). وإنَّ فالمفروض أن يقال بصرامة بأنَّ التكتل والجمعية ليست قيادة للأمة، وإنَّما هي حركة في الأمة يجب أن تكون تحت قيادة المرجعية والتي تمثل قيادة دينية وحركية في نفس الوقت.

القيادة التنظيرية والقيادة التنفيذية :

لكي يتضح التفريق بين نوعين من القيادة في الواقع؛ فإنَّ القيادات في المجتمعات لا تخلو من مستويين قياديين، فال الأول - ما يسمى بالقيادة التنظيرية - وهي القيادة التي بيدها تحديد الوظيفة العملية تجاه الثوابت والتغيرات بشكل عام، أما الثاني - فهو ما يسمى بالقيادة التنفيذية - فهي القيادة التي تستند في تحركها وتحريكها للقاعدة على الأسس والأحكام والخطوط العامة التي وضعتها

القيادة التنظيرية والتي تتمثل في فكرنا في الفقيه والجتهد، ويمكن أن نمثل لها بمثال واضح في الساحة السياسية والحكومات فنستطيع أن نشبّه الأولى بالسلطة التشريعية والثانية بالسلطة التنفيذية وهذا النوعان قد يجتمعان وقد يفترقان وذلك خاضع لمعايير مهمة كالأخقية والأفضلية ووو..، ولكن القيادة إذا كانت هي تنظيرية وتنفيذية - في وقت واحد- في الواقع كان ذلك أفضل وأكمل وأقرب للصواب..

القيادة العلمائية وغيرها :

تتميماً على تفيد رؤية القيادة التي تفصل بين الشرعية والحركة؛ نبين هنا أن القوة الظاهرية ليست كل شيء والحماس غير المدروس وغير المنطلق من منطلق شرعي صحيح ومبرئ للذمة لا يعد امثلاً للتوكيل الشرعي بل قد يهدى خالفة شرعية، وإنما التوازن بين العلم - وهو الركيزة الأساسية - وبين القوة في المشروعية السياسية هو عين الحكمة والصواب، ونذكر هنا الحالات المتصورة في العمل السياسي ونتائجها، وتدخلات العلم والقوة في المشروعية السياسية من خلال النظرة القرآنية، وهي على أربعة أنحاء :

- النحو الأول : قوة بلا علم :

ونتيجته الوقوع في الاستبداد السياسي، ونستنتج هذا من موقف فرعون عندما واجهه نبي الله موسى عليه السلام، ثم استنصر بالسحر ليفلبوه موسى، ولكن الفوز كان حليف موسى حتى آمن السحرة، كما في قوله تعالى ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لكن استبداد فرعون الناشئ من جهله جعله يتغطرس وبهدهم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ... * لَا قُطْعَنَّ أَيْدِيْكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَا صَلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١٥).

- النحو الثاني : علم بلا قوة :

ونتيجته الاستضعف وفقدان الفاعلية، كما يتضح من قصة نبي الله هارون عليه السلام مع بني إسرائيل عندما ذهب موسى لمقاتلة ربها فانحرف القوم باتخاذهم العجل إله، فإنهم بهذا الفعل خذلوا واستضعفوا هارون رغم نبوته وعلمه كما في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضِبُانَ أَسِفًا قَالَ يَئُسَّمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجِلْتُمْ أُمَرَّ رَبِّكُمْ وَأَلَقَى الْأَلْوَاحَ وَأَحَدَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمًّا إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفْتُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتُ بِيَ الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١٦)

- النحو الثالث : لا علم ولا قوة :

ونتيجته الختامية هي الوقوع في الفوضى والهرج والمرج، وتدل على هذا المعنى آيات عديدة منها ما أشار إلى وضعية (بني النظير) وهم اليهود الجهلة الذين عاهدوا الرسول فنقضوا عهدهم بمحاولة الغدر بالنبي ثم أمرهم أن يخرجوا من المدينة أو يأذنوا بالقتال، لكنهم أبوا وأرادوا القتال رغم ضعفهم أمام المسلمين آنذاك، فأمهلهم النبي ﷺ أكثر من مرة مع تسهيلات الخروج لكنهم وبجهلهم قادوا فضاقوا التسهيلات شيئاً فشيئاً، حتى وصل بهم أن يخرج أحدهم ولا يحمل معه شيئاً إلا فيقتل، ولكنهم علاوة على ذلك ولغبائهم أخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم كما في الآية الثانية من سورة الحشر..

- النحو الرابع : العلم والقوة :

وبطبيعة الحال، ومن خلال الموضوعية الواقعية، أن نتيجته الواضحة هي الاستقرار والثبات السياسي والاجتماعي، وقيام الحق والعدل، وهذا ما تصرح به كثير من الآيات في شأن كثير من الأنبياء والأوصياء والأولياء بقوله تعالى في شأن

طالوت ﴿.. إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ﴾^(١٧)، وقال سبحانه مخاطباً نبيه يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاكُمْ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١٨)...

المرجعية المؤسساتية والمرجعية الفردية :

هذه أطروحة حاول البعض تقديمها كطرح حديث في بعض الأوساط الإسلامية، وهي فكرة اجتماع مجموعة من العقول والأدمغة لإخراج صيغ جديدة من فتاوى وأحكام وتوجيهات، أو عبر عنها آخرون بنحو آخر : بأنها تشكيل لجنة نخبوية من متخصصي وكبار شخصيات المجتمع يكون من اختصاصاتها اختيار القيادة أي المرجعية الدينية وهذه الفكرة تشبه فكرة تعيين الخليفة التي يتبنّاها بعض فرق المسلمين من قبل أهل الحل والعقد؛ والتي نشأت استسلاماً للأمر الواقع آنذاك وقد فرضوها بالقوة وبغطاء شرعي - حسب زعمهم - وهو (أهل الحل والعقد)، حتى آل الأمر بالنتيجة إلى اضمحلالها حين استغنت القوة عن الخلافة، فألغتها واكتفت بالسلطة.

أما القيادة والمرجعية عندنا فحيث أنها دينية مختصة؛ فمن أجل الخروج من عهدة التكليف الشرعي، وبراءة الذمة أمام الله تعالى، وتقديم العذر بين يديه يوم يعرضون عليه، ويناقشهم يوم الحساب، فلا بد من ابتنائهما على الأدلة الشرعية الكافية التي تصلح أن تكون حجة وعذراً بين يدي الله تعالى..

أما المرجعية المؤسساتية التي ينادي بها البعض وحيث أنهم يفترضون انحصر الشرعية بين تختاره المؤسسة (النحو الثاني)، وهذا ما لا يمكن القبول به دينياً إلا بإقامة الدليل الشرعي - الكافي في العذر - عليها وعلى جميع أركانها ومقوماتها،

مثل : من له حق تشكيل اللجنة، وتحديد صلاحيتها من حيثية تنصيب القيادة والمرجعية فقط، أو الرقابة عليه أيضاً، أو حتى عزله إذا فقد الأهلية.. وتحديد عدد أعضائها، ومرتباتهم العلمية والتقوائية، وكيفية معرفة ذلك فيهم، وما هو الموقف عند اختلافهم، إلى غير ذلك من الإشكالات والأسئلة الواردة عليها... .

ثم إذا كان الغرض من المرجعية المذكورة (النحو الأول) رفع الاختلافات فلابد من كون الأدلة قطعية إجماعية غير قابلة للتشكيك والخلاف. ولا أظن أن يتوهم أحد بإمكان عدم الاختلاف بتاتاً بعد هذا البون الشاسع من بداية عصر الغيبة للإمام أي بعد أن مضى على عصر بيان التشريع أكثر من ألف عام.

وهل من المعقول أن يغيب الإمام عليه السلام عن شيعته غيبة يعلم أن طول أمدها واسع جداً، دون أن تتضح لهم معالم مرجعيتهم في أحکامهم الشرعية التي يتلون بها كل يوم تقريباً، بانتظار مرجعية تقترح بعد أكثر من ألف عام لا يعلم من يقترحها؟ ولا كيف يقترحها؟

والمرجعية والقيادة الفردية قد أثبتت جدارتها هذه المدة الطويلة في قيادة التشيع بأسره، وتكامل كيانه، ورفع شأنه، ووضوح حجته، والحفظ على واقعيته، وعدم مساومته على مبادئه، واستقلاله في دعوته واتخاذ قراره ورأيه، من دون أن يسير في ركب القوى العالمية أو يسايرها، أو يخضع لها، أو يتجمّد أمامها، أو يسكت عن فضحها.

هذا لا يعني أننا ثبّت العصمة لفقهائنا لا بل ثبّتها لأنّمتنا العصومين عليهم السلام فقط، ولكننا نقول أنّهم فقهاء عالمون قابلون للخطأ والاشتباه، ولكننا في النهاية

مكّلّفون بطاعتهم والتسليم لهم لأنّهم حجّ الإمام علينا وهو حجة الله على العالمين..

صفات القائد :

إنَّ للمواصفات التي يتتصف أو ينبغي للقيادة والمرجعية الاتصاف بها والتي تمثل في حقيقتها ومضمونها امتداداً لصفات الرُّسُل والأئمَّة المعصومين عَلَيْهِمُ الْأَكْثَر أثراً بالغاً على النجاحات الباهرة والإنجازات الكبيرة التي حققتها وقدّمتها المرجعية للأمة..

-**العدالة** : وقد عرّفها الفقهاء : بـالملائكة والصفة النفسية الروحية الثابتة في نفس الإنسان من خلال الممارسة المستمرة والتربية الطويلة، بحيث تمنع صاحبها من الوقوع في المحرمات أو ترك الواجبات. وبعضهم عرّفها : بالالتزام بجادة الصواب والاستقامة فيها، والتمسّك بالواجبات وترك المحرمات، وقد يعبر عنها في بعض الروايات والأخبار بـخصصاتها وـهما التقوى والورع.

وعلى أي حال لابد أن نسب العدالة للقائد بـدرجة عالية تتناسب مع هذا الموقف المهم، لأنّها تمثل بـمستواها امتداداً وانعكاساً لـشرط العصمة الذي نعتقد في الأئمَّة الأطهار عَلَيْهِمُ الْأَكْثَر، حيث أننا كما نشترطها فيهم - عقلاً وشرعاً - فلا بد أن تكون العدالة في المرجع بـمستوى يتناسب مع موقع النيابة والتمثيل عن المعصوم..

-**العقل** : وهو عبارة عن القوة التي أودعها الله تعالى في الإنسان ليدرك بها الأشياء ويعيّز بينها.. ولكن هل يشترط في المرجع هذا المستوى العام من العقل الذي يكون شرطاً في التكليف في سنّ البلوغ، ونكتفي في المرجع - بعد عدالته - بأن يكون قادرًا على تمييز الأشياء بصورة عامة؟

يبدو من خلال النصوص الواردة ضرورة وجود مستوى أعلى من العقل ويشترط أن تتوفر فيه مجموعة من المواقف التي بها يتحقق هذا الشرط لمن يتحمل هذه المسؤولية العظيمة، والمواقف هي :

١- الخبرة وحسن التدبير والإدارة في القضايا المختلفة للناس فقد ورد في تعريف العقل عندما سُئل الإمام الرضا ع : (ما العقل؟ قال : التجرع للغصة، ومداهنة الأعداء، ومداراة الأصدقاء) ^(١٩) أي أن يكون هذا الإنسان لديه حسن التدبير وإدارة أمور الناس، بحيث يكون قادراً على أن يسيطر على عواطفه ومشاعره، فـيتحمل الضغوط والألام والمحن.

٢- أن يكون لدى الإنسان الفهم الصحيح للواقع السياسي، والاجتماعي الذي تعيش فيه الأمة بحيث يعرف الواقع والعوامل المؤثرة فيه، ويكون لديه التحليل السياسي والاجتماعي الصحيح للأوضاع السياسية والاجتماعية.

٣- أن يكون من يمتلك منهجاً قوياً حكيمًا حازماً كيساً في التعامل مع القضايا والأحداث، ومن مفردات هذا النهج ما يعبر عنه بـ(العقيدة السياسية).

- العلم : سنطرق في هذه الصفة لما يخدمنا وعلى مستوى هذا الموضوع، لأنّ ما يتعلّق بهذا البُعد قد ذكره الفقهاء في رسائلهم العملية من جهة، وهي أن يكون المرجع مجتهداً في الفقه، وذكر بعضهم أنّ المهمتين التي اتسم بها المرجع بشكل بارز في ما مضى، أحدهما : الإفتاء، والأخرى : القضاء.

ولكن كان إلى جانب ذلك دور ثالث يarser المرجع، وهو دور الولاية في إدارة بعض شؤون المسلمين من قبيل الولاية على الأوقاف التي لا ولية لها، وولاية الشؤون العامة كولاية التبليغ إلى الله، وولاية الجهاد والمقاومة للطغاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا الدور الأخير لا يكفي فيه مجرد الاجتهاد في الفقه بمعنى القدرة على ممارسة عملية استبطاط الحكم الشرعي من خلال الأدلة التفصيلية، وإنما يحتاج أن تكون لدى المرجع الخبرة الكافية بالواقع الموضوعي الخارجي القائم بين المسلمين.

وظائف ومهام المرجعية :

يمكن أن نوجز أبرز المهام المنطة بالمرجعية والقيادة الدينية في جانبه السياسي بالدرجة الأولى بالإضافة إلى المسؤوليات الأخرى في التالي :

- تشخيص الواقع الاجتماعي والسياسي القائم؛ بجمع المعلومات والأخبار بدقة وتحليلها في إطار التصور الإسلامي في فهم حركة التاريخ وتفسير الأحداث.
- تشخيص المصالح والمفاسد السياسية وعلى كل الأصعدة، وتشخيص أولويات هذه المصالح والمفاسد السياسية، كتقدير الأهم على المهم في ضوء التصور الإسلامي.
- إعطاء الموقف السياسي للأمة في حركتها السياسية المستمرة، واتخاذ المواقف على ضوء المصالح والمفاسد، وفي ضوء تشخيص القدرة والإمكانات التي تمتلكها الأمة والنتائج المرجوة والأهداف التي تسعى لها.
- صون الأمة روحياً وأخلاقياً وتربوياً، إلى جانب التعبئة الروحية وبيث الوعي السياسي في الأمة لكي تبقى أمة حية تتحمل مسؤولياتها.
- صون الواقع الاجتماعي في جميع مكوناته الفكرية والنفسية والعلمية، وحماية قيمه وأعرافه الإيجانية، والحفاظ على وحدته وتلاحمه وتوافقه وتماسكه.
- رفد وتموين الأمة بالرؤى والأفكار والمفاهيم الإسلامية المستمدة من المنابع الأصيلة، وهكذا تمارس المرجعية والعلماء الدور في تحسين الأمة فكرياً وثقافياً، وفي الحفاظ على هويتها وأصالتها وانت茂تها.

أهداف القيادة والمرجعية :

بالإضافة إلى الأهداف الكبرى للمرجعية نجمل الأهداف التي أوردها الشهيد السيد محمد باقر الصدر فَلَتَسْأَلُ للمرجعية الصالحة في مشروعه وذلك انطلاقاً من المهام والوظائف المنطة بها، ولنلخّصها في النقاط التالية :

- نشر أحكام الإسلام على أوسع وأكبر مدى ومساحة ممكنة بين المسلمين.
- العمل على تربية المجتمع بكل أفراده تربية دينية تضمن التزامه بالأحكام.
- إيجاد تيار فكري واسع في الأمة يشتمل ويتوفر على المفاهيم الإسلامية الوعية من قبيل المفهوم السياسي الذي يؤكد أن الإسلام نظام شامل لشتى جوانب الحياة.
- اتخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز تلك المفاهيم وترسيخها وتجسيدها.
- القيمة على العمل الإسلامي.
- إعطاء الدور العلمائي حركته الفاعلة في واقع الأمة.

تعدد القيادات والمرجعيات :

لا ريب أن تعدد المراجع الدينيين في زمن واحد حالة طبيعية، بعد أن كانت أهلية المرجع تعتمد على معرفة أحكام الموضوعات من خلال استنباطها من المدارك الشرعية المقررة فقط أكثر من الاعتماد في تشخيص الموضوعات ومعرفة الواقع الخارجي فإنها قابلة حينئذ للتعدد والاختلاف، وتحتمل فرضان فيما يتعلق بالفقهاء المتعارضين وهما :

الفرض الأول : أن يكون فقيه أفضل من الآخرين في الموصفات المقررة للقيادة، وأتقى وأعلم وأفضل إدارة سياسية، ويفوق الآخرين في رؤيته السياسية والاجتماعية، فعلى ضوء هذا الفرض واستناداً للضوابط الإسلامية والصفات المقررة يكون هو المنصب على نحو التعيين لمنصب القيادة تنصيباً عاماً لا خاصاً.

الفرض الثاني : هو أن لا يكون أحد فقهاء العصر أعلم وأفقه وأعدل من الآخرين ويكون الجميع على مستوى واحد سواء في المسائل المتعلقة بالقيادة أو الفقه أو التقوى.

توضيّح مهمّ :

ولكننا ينبغي أن نؤكّد بأن المرجعية الدينية الفقهية ليست هي بالضرورة القيادة والمرجعية في القضايا الاجتماعية والسياسية المتغيرة بتغيير المكان والزمان، ويحصل هذا فيما إذا كان الفقيه المقلّد في الفتوى في بلد آخر يصعب عليه التشخيص فإن الرجوع فيها للقيادة والرجوعية التي من حقها ذلك في القضايا المفصلية في نفس البلد والتي تمثلها فيه.

والخلاصة : أن ليس ثمة محدود بتنوع المراجع، أمّا ما يخص إدارة وقيادة البلد أثناء الحرب والسلم وما شابه ذلك فلا بد من وحدة القيادة، لأن يمزّق البلد بتنوع القيادات التي تقاده.

الانقياد حق أم تكليف؟

اتَّضحَ ما سبق عموماً ومن جواب السؤال الذي يقضي بأن القيادة موضوع من صميم مواضيع الدين خصوصاً؛ أن لا حق لمستخلفٍ ومستأمنٍ أن يتمرّد على أمر مستخلفه ومستأمنه في الحدود المعينة والمحدة، وهذا ما يلزِمُ المُتدينَ المتشريع الذي يعرف خالقه وهدف خلقته وإلى ماذا يصبو وإلى أيِّن مصيره بالالتزام بما تعليه المرجعية على أنه تكليف وليس تشريفاً، وقد بدا هذا واضحاً عند أصحاب الإمام الحسين عليه السلام عندما اجتمع القوم حول سيد الشهداء عليه السلام.

فأرخص لأصحابه (وقد أذنت فانطلقوا جميعاً من حلٍّ ليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشياكم فانخذلوه جملاً) (٢٠) فرغم أنَّ الإمام الشَّافِعِي أحلَّ لهم ورفع عنهم تكليفهم لكنهم تفانوا دونه وحققوا الانقياد الحقيقى وفي أتم صوره حتى أجابوا الحسين الشَّافِعِي بقولهم (لو علمنا أنا نقتل ثم نحيا ثم نحرق ثم نحي ثم نحرق ثم نذرْ يفعل بنا ذلك سبعين مرة ما فارقناك حتى نلقى حمامنا من دونك وكيف لا نفعل ذلك وهي قتلة واحدة ثم هي الكراهة التي لا انقضاء لها أبداً؛ فإنَّ الانقياد في المساحة المختصة بالشأن الربوبي ليس للمكلف الحق فيها بل هو تكليف يثاب على فعله ويعاقب على تركه أو مخالفته، يمكننا هنا أن ننطرب لـ(حقوق المرجعية) والتي تكون إلى جانب الوظائف المنطة بها كما يذكر بعضها الشهيد السيد محمد باقر الحكيم في كتابه (المرجعية الدينية) ومنها:

- الالتزام بإرشاداتها وهديها في مهمة التعليم والتشحيف والتزكية.
- الالتزام بالمواقف والطاعة للقرارات الإلزامية التي تتخذها في شؤون الحركة السياسية التي يمكن أن نسميها (المتابعة السياسية للقيادة)، وهي توافي التقليد للمرجعية في الأحكام الشرعية.
- المحافظة على استقلالها ومؤسساتها الدينية عن التأثير عليها من خارج إطارها، وإنسادها في ذلك.
- مساعدتها على أداء واجباتها برفدها بالأموال والحقوق الشرعية، وتوفير الموارد الاقتصادية لها، ولو على شكل مؤسسات اقتصادية.
- إدامة الارتباط والعلاقة بها عن طريق الاتصال المباشر بالمرجعية أو عن طريق غير مباشر.

الخاتمة :

نختم هذا الموضوع ببيان الوضع العام في الساحة البحرينية، وما نلحظه من انتشار واسع في القاعدة العامة والخاصة للشعب من عدم الإحاطة بموضوع القيادة وقلةوعي الشارع بها وعدم الانقياد الحقيقى لها والتسليم والاعتراف بالمرجعية الخلية التي تمثل الامتداد لولایة الأمر المتمثلة في الفقيه الحاذق والسياسي الحنك الذي مارس السياسة وخاض غمارها ما يقارب نيفاً وثلاثين عاماً وهو الفقيه الحاذق والسياسي الحنك سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم - دام ظله الوارف - وهو غني عن التعريف والمدح والإطراء والمزايدات من أحد، فقد أثبت جدارته من خلال المواقف المشرفة والقرارات الحاسمة في حلّ القضايا الشائكة ومستعصيات المعارضة والحكومة كل ذلك تحت مظلة الحكم الشرعي والرؤى الإسلامية الأصيلة.

القيادة والمرجعية في كلام (القيادة) سماحة آية الله العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله تعالى..) :

Ubthiya al-Ummah bi-la Qiyada :

إنَّ حركة الأمة عابثة ما لم ترتبط بقيادة، وكل ارتباط بالقيادة خاسر، ما لم تكن هذه القيادة مصنوعة على ضوء القرآن والسُّنة المطهرة، وتخشى الله، ولا تعبد سواه، وفيه يدخل تمنع القيادة بالخبرة الموضوعية والتقدير الدقيق والحرص على المصلحة العامة، وكل ما يشترط في القيادة الناجحة.

في معرض جوابٍ لسماحته في جريدة "عشوراء البحرين" العدد الثاني محرم ١٤٢٦ هـ

دروس من كربلاء في القيادة والانقياد :

أمن الأمة من أمن قيادتها، وأمن القيادة من أمن الأمة؛ درسٌ تلقاه من كلمة أبي الفضل العباس بن علي عليه السلام، يخاطب الشمر الذي عرض عليه الأمان دون ابن رسول الله عليه السلام - الشمر الذي عرض الأمان على أبي الفضل يوم كربلاء والنفوس عند التراقي والقلوب عند الخناجر - في تلك اللحظة يعرض الشمر على أبي الفضل الأمان، يأتي الجواب يحمل وعي الإيمان، ويحمل وعي الإنسان الرسالي، ويحمل روحية الإنسان المؤمن بربه، الواثق بدربه، الطامع في جنة الله ورضوانه : لعنك الله ولعن أمانك، أخاف ابن رسول الله وأنا في أمان؟ واحد من القاعدة يحمل هذا الوعي الذي يجب أن نحمله نحن دائماً. إن استهداف القيادة؛ استهداف للأمة كلها، وإن الحملات الشعواء ضد القيادة؛ هي حملات شعواء ضد الأمة، وفي المقابل يعرض الإمام الحسين عليه السلام على أصحابه بأن يتخدوا من الليل جملأً، ليتحمل المسؤولية وحده إذا لم يبق معه أحد.

والحسين عليه السلام يقدم أهله، والحسين عليه السلام يحمل معه الفاطميات إلى أرض المعركة - ثقل رسول الله، بيت الرسالة، بكل من فيه من طفل وامرأة ومن رجل أعطى صوته لابن رسول الله عليه السلام - هذه اللغة تقول : إن أمان القيادة من أمان الأمة، والقيادة التي تقود أمتها والتي تفصل بين أمتها وأمن أمتها، وأمن قواعدها، القيادة التي تنسى في لحظات الشدة محبة أمتها لتذكر ذاتها، لتنطلق في موقفها من الحرص على البقاء؛ هي قيادة أخطأت الأمة في اختيارها، وعلى الأمة أن تتعلم كيف لا تخطئ اختيار القيادة، بأن لا تختار إلا قيادة محببة، وقيادة ملائكتها التقوى وملائكتها الإيمان وكانت على النصيب الأوفر من الوعي ومن الشدة والحرارة ومن التربية الفاضلة ومن التجارب الجهادية الثرة الغنية.

مهرجان "صرخة الحسين في القدس"
مركزعارض الدولي

كرباء ودرس التنظيم..الانضباط.. وطاعة القيادة:

في كربلاء تنظيم ونحن نحتاج إلى تنظيم، في كربلاء انضباط ونحن نحتاج إلى انضباط، في كربلاء طاعة، لا يخرج أحدهم للمقابلة والبارزة إلا بعد أن يستأذن الإمام عليه السلام والكيانات الاجتماعية لا يمكن أن تقوى أن تنهض أن تستمر أن تتقدم من غير انضباط ومن غير طاعة للقيادة وليس كل قيادة، قيادة المعصوم عليه السلام وما يكون شعاعاً لتلك القيادة. فكريأً تقول الكلمة عن الحسين عليه السلام: (ومقالة جلـكمـ وهو يخاطب أهل الكوفةـ أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى) ليس المطلوب أي إمام، ليس المطلوب أي قيادة، حتى القيادة التي تحقق لنا مكاسب مادية آنية وهي تريد لنا أن نسلك طريقاً آخر غير خط الحق ليست قيادتنا، (لعل الله أن يجمعنا بك على الحق) فنحن دائماً نتطلع إلى القيادة ونبحث عن القيادة ونلتئم بالقيادة ولكن أي قيادة؟ التي تتوقع فيها أن تجتمعنا على درجة من المدى والحق، إن لم تجتمعنا على المدى والحق على الإطلاق، فلا أقل أن تجتمعنا على المدى والحق بأكبر ما يمكن، وفي عصر الغيبة القيادة التي تجمع الناس على الحق والمدى بأكبر ما يمكن هي قيادة الفقهاء العدول الورعين وليس قيادة الجاهل ولا قيادة الفاسق، وفي زمن حضور المعصوم عليه السلام هناك قيادة تجمع على المدى والحق على الإطلاق بشكل مطلق فتتعين.

مقاييس الإمام عليه السلام للقيادة:

ويقول في الكلمة الأخرى عليه السلام : (فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب) هذه مقاييس الإمام ومقاييس القيادة، فمرة أحصل على من يعمل بالكتاب بشكل

دقيق كامل، وهذا في زمن حضور الإمام المعصوم عليه السلام ومرة يكون من يعمل بالكتاب بقدر علمه وهو أعلم من يعلم في الحاضرين بالكتاب فيكون هو إمامي (فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذلك الله تبارك وتعالى).

في مأتم بن سلوم بتاريخ ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٥ م

المعارضة والمرجعية:

أولاً : معارضة بلا مرجعية فوضى. بيتُ بلا مرجعية فوضى، قبيلة بلا مرجعية فوضى، مؤسسة بلا مرجعية فوضى، فئة اجتماعية بلا مرجعية فوضى، بلد بلا مرجعية فوضى. المرجعية مرجعيتان: مرجعية تشريع، ومرجعية على مستوى مركز القرار. والتشريع تشريعان: تشريع وضعی (بشعري)، وتشريع إلهی. فأی مؤسسة وأی دولة لابد أن ترکن إلى إحدى المرجعيتين؛ مرجعية التشريع الإلهی أو مرجعية التشريع الوضعي. فمؤسساتنا ليست بداعاً في هذا الأمر، فلا بد لها من مرجعية تشريعية فإما أن تأخذ بالمسار الفقهي والتشريع الإلهی، أو تأخذ بمسار التشريع الوضعي ولو من عند نفسها. وعن مرجعية مركز القرار مهما قيل عن الديموقراطية فإنها ثبتت المرجعية، فالديموقراطية لا تعني الفوضى، ولا تعني أن الشارع يتخذ القرار، ولا تعني النزاعات التي لا تنهيها كلمة فصل، وإنما رأي الأغلبية على مستوى الديموقراطية هو منتهى القرار. صوت زائد على الطرف الآخر، وبغض النظر عن قيمة هذا الصوت وقد يكون أضعف عقلًا في المجموعة، وأقصر رؤية، وأقل نزاهة، إلا أنه مادام عضواً في المؤسسة أو في الحكومة أو في الحزب فإن زيادة رأيه مرجح، هذه مرجعية. والمرجعية المتّسقة مع خط أهل البيت عليهم السلام مرجعية صاحب رأي فقهي وعدالة.

وفي الساحة علمانيون وإسلاميون، والعلمانيون صريجون ومنسجمون مع خيارهم. فإنهم لا يأبهون بالدين، ولا يقيمون له أي وزن - كما يصرحون بذلك. ولو في المسألة السياسية على الأقل. فما بال الإسلاميين؟ عليهم أن يحددوا موقفهم، إما أن تكون لهم مرجعية من التشريع الإسلامي أولاً تكون والفقه اختصاصٌ عميق، ولا ينكر أنه من الاختصاصات الكبيرة المتبعة، فإذا قلنا بأن مرجعية أي مؤسسة إسلامية هي التشريع الإلهي فيلزم من ذلك أن يكون الراجعون إلى التشريع قادرين على فهم التشريع، على فهم الفقه أو يرجعون إلى من يفهم الفقه، ولا يسيرون أمرهم ب مجرد قرار الأغلبية، فإن الأغلبية مرة توافق مقتضى الفقه ومرة تخالفه.

ولستنا نريد أن نختار للساحة ولكن الله عزّ وجل قد اختار للمؤمنين، وأن عليهم أن تكون مرجعيتهم دائماً من مرجعية خط أهل البيت عليهما السلام. وهذه المرجعية معروفة، لا يمكن أن يتقدم فيها صاحب الاختصاصات الأخرى على أصحاب الاختصاص الديني، والمرجعية لا تفرض نفسها إنما تختار. وأقول عن نفسي أني مستعد كل الاستعداد أن أسع وأدعم أي مرجعية يختارها المؤمنون في هذا البلد من إخوتي العلماء. وسأكون خادماً أميناً - إن شاء الله - صغيراً لأي مرجعية تختار في الداخل على هذا الخط.

وأقول: علينا من حيث إننا إسلاميون أن لا نرتكب خطأ المغالطة والاستغفال لقواعدنا المؤمنة، علينا أن نكون صريجين إما أنه يسعنا الظرف أن نكون إسلاميين فنقول بأننا إسلاميون ونلتزم بخط الإسلام تماماً، أو أن نقول أننا ديموقراطيون على الطريقة الغربية فنريح أنفسنا.

وعلى الأقل إذا لم تكن لنا مرجعية نراجع عنها مذهبنا، وقد اتنا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، على الأقل علينا أن نأخذ بما لا يزقنا وإن لم يكن في ذلك مرضاة الله تبارك وتعالى كما ينبغي، إلا أن التمزق ربما كان أبغض إلى الله عز وجل، ولا أريد أن أرتكب مسؤولية الترجيح، ولكن أقول: إذا لم نر أن نراجع أهل البيت عليهما السلام في مثل هذه الأمور فعلى الأقل فليلتزم الأخوة العاملون بمسألة مرجعية الأغلبية، ويرتكنوا إليها ويخرجوا من خلافاتهم على أساسها بعدما يذهب بهم الرأي إلى الأخذ بها.

ثانياً : العلماء بين الصمت والنطق:

أسأل هذا المجتمع الكريم: المجتمع يطالع العلماء؟

١ - بالنطق أو الصمت؟ صمتوا فأعتبرتم، ونطقوا فغضبتكم، ماذا تريدون؟ تريدون التدخل في السياسة أو الاعتزال؟ الحكومات تقول اعتزلوا، الغرب يقول عليكم الاعتزال، الخطط الأجنبية والخالية في كثير من البلدان قائمة على قدم وساق من أجل إقصاء المسجد وتعطيل دوره في الحياة السياسية بالكامل، هل تشاركون في طرح الاعتزال للعلماء؟ قولوا لنا اعتزلوا.أتريدون التدخل أو الاعتزال؟ التدخل له ضريبته على العالم وعلى المجتمع.

٢ - أتريدون النطق المشروط أو الحر؟ قد يقول المجتمع للعلماء: انطقوا، قولوا كلمة الحق، تدخلوا ولكن بشرط أن توافق كلمتكم و موقفكم توجه الرأي العام أو النخبة المثقفة.أعرضوا هذا الشرط على الله، على رسوله ﷺ ، على الكتاب، على السنة، أمير المؤمنين عليه السلام لم يوافق على البيعة بشرط التقيد بمسيرة الشيوخين. يا عالم انطق، وتدخل، ولكن لا تخالف رأينا، أشرط معقول؟ يرضاه عاقل؟ يرضاه دين؟ لا تخالف شرع الله، هذا شرط صحيح.

اقتراحُ النطق المشروط مرفوض من قبل العلماء، ولسنا مع خيار الحكومات، وعلى العلماء أن ينظروا إلى الحكم الشرعي وما يقتضيه؛ اقتضى السكتون عليهم أن يسكتوا، اقتضى النطق فعلتهم أن ينطقوا. هكذا إذا استطعنا الانسجام مع ديننا. الحكم الشرعي هو المنظور، وهو الحاكم، ومع تقديري لصفوف المؤمنين وجماهير الأمة إلا أنها لا يكون لنا وزن ولا شأن عند الله حتى نذعن لتشريعه.

خطبة الجمعة (٢١٢) ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠٠٥ / ٦ / ١١

لمن حق الفتوى للأغلبية أم غيرها ؟

هناك نوعان من القضايا؛ نوع خاص يرتبط بالفرد، ونوع عام يرتبط بالمجتمع. والناس مسلمون وغير مسلمين، والذين في إطار الإسلام مسلمون وإسلاميون – إذا صح التفريق –؛ مسلمون عقيدةً ولكن لا يتقيدون بالإسلام، وإسلاميون مسلمون على كل الأصعدة ويررون أن حياتهم لا بد أن تتقيّد في صغيرها وكبیرها بالإسلام.

والإسلاميُّ أيها الأخوة لا يُفتي نفسه في شؤونه وقضاياها الخاصة ما لم يكن مجتهدا فضلاً عن أن يفتني غيره وفي مسائل الشأن العام، أليس كذلك؟

ولكني أقرأ وأسع وتصلني بعض الرسائل التي لا تشرح الموضوع الخارجي فحسب، ولا تكتفي بإعطاء وجهة نظر في الموضوع الخارجي وإنما تثبت الحكم مع ذلك وتفتي لي ولغيري من شاب كريم أحترم فيه إيمانه ووعيه وغيرته لكن لا أعطيه الحق في أن يفتني في حقي وفي حق غيري، وهو بإسلامه لا يعطي لنفسه الحق في ذلك.

الإسلاميون الأعزاء المخلصون والغيارى قد يقعون في خطأ وهم يُفتون فتاوى جماهيرية وإن لم تكن باسم الفتوى. أنت حين تُشخص الموضوع المرتبط بالشأن العام وتُصدر الرأي المناسب مع تشخيصك، وتوجه الجماهير إلى هذا الرأى، وتدفع بهم دفعاً للأخذ به، فماذا تفعل؟ أنت هنا تفتى وتعمل على تنفيذ فتواك، سَيِّتها فتوى أو لم تسمها.

للكلّ أن يُنظر، أن يُعطي وجهة نظره في الموضوعات الخارجية، ولكن بحيث لا يرقى بالأمر إلى حدّ أن يدفع بالناس دفعاً حيثاً في اتجاه ما يراه.

هناك مسائل يكفي فيها أن تعرف الحكم الكلّي وفتوى الفقيه وأن يتشخص عندهك الموضوع فتعمل بالفتوى، وهناك أمور لا تكفي فيها الفتوى بل تحتاج إلى حكم ولائي والممارسات القائمة تتجاوز حدّ الفتوى إلى ما يرقى إلى حدّ الحكم الولائي. هل هناك فرق بين القرار السياسي والخطاب السياسي؟

في قناعتي لا يصحّ للخطاب السياسي أن يُشرّق، وللقرار السياسي أن يُغرب، ولا أن يصعد أحدهما إلى السماء، وأن يغوص الآخر إلى عمق التراب.

ولكن مع ذلك لا يُطلب للقرار السياسي أن يتسبّب بكل خصوصيات الخطاب السياسي، ولا يلزم أن يبلغ طموحه، وإنما لكان الإسلام كاملاً على الأرض لأول يوم من دولة رسول الله ﷺ التي كانت خطاباتها خطابات عالية، وكانت الدولة في بداياتها مستوى الثورة في نهاياتها من حيث الطموح وبعد الطرح. ولست تجد على الأرض دولة تكون من أول يوم في مستوى طموح الثورة والخطاب. وللخطاب وظائفه الخاصة، ومعالجاته والتفاتاته ومسؤولياته، وللقرار مسؤولية أخرى، وخصوصية أخرى. فلا بدّ من فرق.

هل يقال كل شيء بحجة أن الكلمة كلمة حق؟

أقول: الكلمة الحق من أجل خدمة الحق، وكلمة الحق عند سلطان جائز من أفضل الجهاد لما تصلحه من أمر الحق. ولا يكفي لأن أقول الكلمة بأن أعرف أنها الكلمة حق ما لم أعرف أنها كم ستتفق الحق أو تضرّ الحق. إذا كان في الكلمة الحق إجهازٌ على الحق حرمته.

هل السكوت على كل المطروح إقرار وعجز؟

نسمع الكثير ونقرأ الكثير ويصلنا الكثير، ولكنني شخصياً قد أسكطت، وخطأً أن يُفسّر السكوت بأنه إقرار لكل ما يطرح أو أنه عجز عن الرد على ما يطرح، ولني حكمة في السكوت تتصل بمصلحة هذا المجتمع ولقتضيات الإيمان والإسلام. سيُطالب العلماء الناسَ بأن يُتبعوا إذا طالبهم الناس بأن يتحرّكوا، على أن تحرّك العلماء واجب طالبهم الناس بذلك أم لم يطالبوهم، ولكن التحرّك الذي يدفع إليه الناس يكتب على الناس أن يعطوا وعداً صادقاً بالاتّباع، ولا تُطالبني بأن أتحرّك وأنت تقول لي حين مختلف رأيي مع رأيك اذهب وحدك وأني أقف ضدك.

إذا كان القرار - أقولها صراحة - بالأغلبية فمن يُطالب بالمواقف هم الأغلبية، ومن يتحمل المسؤولية هم الأغلبية سواء كانوا أغلبية جمعية أو أغلبية مجتمع وما إلى ذلك. إذا كان رأي العلماء سبقى محاكمـاً بأغلبية جمعية أو أي أغلبية أخرى فالعلماء لا يتحملون المسؤولية، وإنما الذي يتحمل المسؤولية ويُلام بعد ذلك هم الأغلبية، وإشعار الناس العلماء بأنهم معهم مع التخلف في الموقف العملي تغريير وخيانة ومضررة للدين والمجتمع.

ورأي الأغلبية في ساحة الفتوى وفي ساحة الحكم الولائي تحتاجة إلى مراعاة الفتوى وإلى مراعاة الحكم الولائي ولا يقوم رأي الأغلبية مقام الفتوى ولا مقام

الحكم الولائي. ولو كان خطأ في قرار الأغلبية فلن يتحمله ابن التاسعة عشر عند بروز العاقبة وإنما سيتحمله العالم المتابع، وأنا لست مستعداً أن أتحمل تبعه قرار الأغلبية لخروج الأغلبية بسلامة ويتحمل أمثالى المسؤولية بكمالها أمام الناس وأمام الله الذي هو المنظور الأول إن شاء الله.

وأذكر للأخوة العاملين (حفظهم الله وباركهم وأيدهم وأعزهم) بأن الواقعية بلا مثالية ولا رسالية كفر، وبأن المثالية بلا واقعية على الإطلاق خيال، والصحيح هو الواقعية المحكومة للرسالية ومن أجل المثالية.

والإسلام وسيرة أهل الهدى والعصمة عليهما ثران بالدروس في هذا الموضوع، فلقد كان رسول الله ﷺ يجمع في منهجه بين المثالية والواقعية وكل معصوم من المعصومين عليهما يجمع في منهجه وفي سيرته بين المثالية والواقعية.

خطبة الجمعة (٢١١) ٤ شعبان ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠٠٥ / ٩ / ٩ م

مقام المرجعية ومقوماتها :

١ - مقام المرجعية :

نتحدث عن مقام المرجعية الحقيقة، ومقام المرجعية الحقيقة التي تتوفّر على مقوماتها بصورة جيدة، هو أنها تقع في المرتبة الثالثة في سلم المراتب المعنوية الكبرى على المستوى البشري، فالنبوة والرسالة، ثم الإمامة، ثم المرجعية.

٢ - مقوماتها :

أما مقومات هذه المرجعية فمنها ما يأتي بصورة عابرة :

١- الاجتهد المطلق من الوزن العلمي الثقيل، وليس كل من أجاد استنباط بعض الأحكام كان مجتهداً مطلقاً.

بــ فقه الدين بعقيدته، ومقاصده، وأخلاقيته، وأبعاد شريعته، وتربيته، واتجاه سياساته وحمل أبعاده.

جــ عقليةٌ ونفسيةٌ صالحة، من صناعة الدين، وإيمان عميق متركز بالإسلام.

دــ روح تضحيٍّ وفداءٍ صادق لدين الله، وإخلاص لوجهه الكريم.

هــ واستغناء بالله عن ما في أيدي الناس، وتقوى ثابتة، وترفع عن الدنيا.

وــ أخلاقية العطاء الواسع والاحتضان الحار الصادق للأمة وضعفائها وانصهار في مصالحها وأمالها وألامها.

زــ خبرة عملية، ونظر موضوعي ثاقب، وتجربة ميدانية محنكة.

حــ إشعاعٌ روحيٌّ واسعٌ الدائرة.

هذه بعض مقوماتٍ لا بد منها في المرجع الحقيقي وهو يقوم مقام الإمام

المعصوم في غيبته.

٣ـ علاقة المرجع بالأمة:

رمز عزها وكرامتها وهويتها وأصالتها وانتماها، وضميرها من ضميره،

وعيها من وعيه، وإرادتها من إرادته ما دام يستمد ذلك كلـه من كتاب الله وسنة

رسوله ﷺ والمعصومين علـيهما السلام .

فأذاهُ أذاها، وإهانته إهانتها، والتعدى عليه تعدىٌ علىٌ عليها. فمن اعتدى علىٌ

مرجع لئات الألوف فقد تعدى علىٌ مئات الألوف، ومن تعدى علىٌ مرجع

الملايين فقد تعدى علىٌ الملايين، علىٌ أن المراجع الحقيقيين هم مراجع للأمة

بكمـلـها وإن كان تقليـدهـم دون ذلك.

الرسم التمثيلي (الكارикاتير) الذي طالعت به (الأيام) قُرَاءِها يوم الاثنين السابق قد تعمد الإساءة إلى مقام المرجعية الدينية العالية، بصورة مستنكرة، وهذا ما فهمه القراء حالاً وبادروا إلى استنكاره، وهذه العفوية في الفهم دليل في المقام لا يمكن رده أو مناقشته.

وهذا العمل الساخر فيه استفزازٌ كبير لضمير المؤمنين، ونيل من كرامة الدين، وتطاولٌ سافرٌ على مقام المرجعية الذي يهدد التطاول عليه بالتطاول على مقام الإمامة والرسالة، فليس بعد أن يهون مقام المرجعية العليا إلا أن يهون مقام الإمامة ثم الرسالة.

تتجه السياسية والتربية الرعية وقسمٌ من الصحافة في كثير من البلدان الإسلامية في هذه الآونة من التاريخ، إلى تسلط عوامل التعرية والنحت والخلخلة للحس الديني في النفوس بصورة منتظمة ومتکاملة ومستمرة، تخلل هذه العملية الثابتة امتحانات متدرجة في الصعوبة وقوة التحدي للشعور المؤمن لقياس مدى النجاح الذي حققه العملية المستمرة المعادية للدين والأثار السلبية التي تسببت فيها عوامل النحت والتعرية والتخريب، والتأكلات التي أصابت الغيرة الإسلامية والحس الإيماني في نفوس أبناء الأمة.

ما طالب به المؤمنون جريدة الأيام وزير الإعلام من الاعتذار عن الإساءة البالغة للمرجعية الدينية العامة والأمة المؤمنة، سيكون التخلف عنه لوناً من التعامل مع هذه القضية باستخفاف مؤلم جداً.

ويُنتظر من المؤمنين الالتزام التام الدقيق بما ارتآه المجلس الإسلامي العلمائي من مقاطعة الصحيفة المذكورة في المدة المقررة وهي ثلاثة أشهر منذ إعلان المجلس، إثباتاً لجديّة الرفض لهذه التعدّيات الشائنة على مقدسات الأمة والتحديات الاستفزازية لضميرها.

خطبة الجمعة (٢٠٦) ٢٤ جمادى الأول ١٤٢٦ هـ - ١ يوليو ٢٠٠٥ م

المواهش:

- (١) كتاب حوارات حول ولایة الفقیہ مع الشیخ مصباح الیزدی ص ١١ (بتصریف).
- (٢) سورة یونس ﷺ، الآیة ١٤
- (٣) سورة الأحزاب، الآیة ٧٣
- (٤) کمال الدین و إتمام النعمة، ج ٢ ص ٤٨٤ باب التوقيعات.
- (٥) سورة الإنسان، الآیة ٣.
- (٦) سورة النساء، الآیة ٥٩.
- (٧) سورة الحشر، الآیة ٧.
- (٨) وسائل الشیعہ، کتاب القضاياء
- (٩) أصول الكافی ج ١
- (١٠) کمال الدین و إتمام النعمة، ج ٢ ص ٤٨٤ باب التوقيعات.
- (١١) کتاب الحكومة الإسلامية للإمام الخمینی قده ص ١٠٤.
- (١٢) أصول الكافی ج ١ ص ٦٧.
- (١٣) کتاب القيادة في الإسلام ص ٤٤.

(١٤) كتاب المرجعية والقيادة للسيد الحائري، ص ١٣٩.

(١٥) سورة الأعراف، الآيات ١٢٠ - ١٢٤.

(١٦) سورة الأعراف، الآية ١٥٠.

(١٧) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(١٨) سورة مريم، الآية ١٢.

(١٩) ميزان الحكمة، للريشهري، ج ٧، ص ٢٦٩٩.

(٢٠) روضة الوعاظين، الفتال النيسابوري، ص ١٨٣.

إِنْ حَرَكَةُ الْأَمَّةِ عَابِثَةٌ مَا لَمْ
تَرْتَبِطْ بِقِيَادَةٍ، وَكُلُّ ارْتِبَاطٍ
بِالْقِيَادَةِ خَاسِرٌ، مَا لَمْ تَكُنْ هَذِهِ
الْقِيَادَةُ مُصْنَوِّعةٌ عَلَى ضُوءِ الْقُرْآنِ
وَالسُّنْنَةِ الْمُطَهَّرَةِ.

الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

الحقيقة

السيد مرتضى السندي

القارئ للعنوان للوهلة الأولى يتصور أن هذا الموضوع بعيد عن الواقع الذي نعيشه، بينما لو دقق قليلاً وتأمل ولو للحظات لتبين له خلاف ما يتصور، لأننا نعيش الحقيقة في كثير من جوانب حياتنا، في الجانب العقدي، والفقهي، والسياسي، والاجتماعي.. الخ من جوانب الحياة.

ومع العلم بأن هذا المصطلح - الحقيقة - هو مصطلح قرآنی أشارت إليه بعض الآيات من القرآن الكريم، وتجد الروايات الواردة عن أهل البيت عليهما السلام غنية بهذا المصطلح القرآنی، تفسر معناه وتبيّن ضرورته، وذلك بسبب ظروف الدهر التي عاشها أهل البيت عليهما السلام وأتباعهم، لذلك اختارت هذا العنوان، وهذا الموضوع لتتضح لنا بعض معالمه.

الحقيقة لغة:

(الوقاية، حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، ويقال وقت الشيء أفيته وقاية ووقاء..).^(١)

الحقيقة في الاصطلاح:

هي التلفظ أو العمل بما لا تؤمن به للحفاظ على النفس، أو على الخط، أو على المذهب الذي تنتهي إليه.

وقد عرف الشيخ المفيد الحقيقة بقوله: (الحقيقة: كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكافحة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين أو الدنيا،

وفرض ذلك إذا علم بالضرورة، أو قوي في الظن، فمتهى لم يعلم ضرراً بإظهار الحق ولا قوي في الظن ذلك، لم يجب فرض التقية^(٢).

أولاً: مشروعية التقية بالدليل القرآني:

تحدث القرآن الكريم عن التقية بقوله: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَقَوَّلُهُمْ تَقْيَةً وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدِراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤)، قوله مادحاً لوقف مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(٥).

لقد نصت هذه الآيات على التقية وبيّنت معناها، وذلك لأن الإيمان ثلاثة

أركان:

١ - اعتقاد بالقلب

٢ - تلفظ باللسان

٣ - عمل بالجوارح^(٦)

وحيث أن الشريعة الإسلامية هي شريعة متكاملة فهي تحدد الموقف للمكلف في حالته الطبيعية، وتحدد له أيضاً الموقف في الحالات الاستثنائية.

فتكلمت الآية عن الموقف في الوضع الطبيعي، وهو عدم اتخاذ الكافرين أولياء من قبل المؤمنين، وتكلمت عن الموقف في حالة الاستثناء، وهو أن هناك رخصة من قبل الشارع للمؤمن في الركين الثاني والثالث بالنسبة للإيمان، ألا وهو التلفظ باللسان، والعمل بالجوارح، ولم تتنازل الشريعة عن الركن الأساس

وهو الاعتقاد القلبي، وهذا الركن بطبعه خفي لا يظهر للأخر الكافر، أو الآخر الظالم الذي يمارس البطش والقتل والتكميل تجاه الإنسان المؤمن وقد توقفت الرخصة على الحرج الشديد أو الموت، وقد وسعها بعض العلماء ومنهم الإمام الخميني فقيه حيث أجازوها مداراً بشرط أن لا يهدم الدين ولا يضعف.

وقد تكلمت الآية الثانية عن حادثة حصلت في زمن النبي ﷺ عندما تعرض عمار بن ياسر وبعض الصحابة إلى التعذيب والأذى اضطر إلى الاستجابة لأعداء الله والنطق بما أرادوا من الثناء على آهتهم، وذكر الرسو صلوات الله عليه بالسوء، فجاء وذكر ما حدث له للرسول ﷺ فأقره الرسول ﷺ على فعله وقال له: فإن عادوا فعد.

ثانياً : مشروعية التقية بـالدليل الروائي:

لقد تحدث الرسول الأكرم ﷺ عن التقية، وأقرها للمرارة والمضرر بشكل واضح وصريح كما في حادثة عمار بن ياسر، وكما في حديث الرفع المشهور بين المسلمين جميعاً، فقد روي عن الرسول ﷺ قوله: (رفع عن أمتي تسعة: الخطأ، والتسیان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون وما لا يطیقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطیرة، والتفسیر في الوسوسۃ في الخلق ما لم ينطق بشفته) ^(٧).

وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: (التقية في كل ضرورة، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به) ^(٨).

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: (المؤمن مجاهد، لأنه يجاهد أعداء الله عز وجل في دولة الباطل بالتقية، وفي دولة الحق بالسيف) ^(٩).

ما هي أقسام التقية؟

تنقسم التقية إلى قسمين:

التقية على أساس الخوف:

وينقسم هذا القسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - خوف الضرر على النفس، أو الجاه والمال.

٢ - خوف الضرر على المؤمنين.

٣ - خوف الضرر على كيان الإسلام.

التقية على أساس المداراة (١٠):

يتضح من هذا التصنيف أن الهدف من التقية ليس دائمًا حفظ النفس والمال والجاه، والأمن من الضرر والخطر، بل يمكن اعتبار الهدف الأهم منها هو حفظ الذهب والخليولة دون انهياره، وهذا ما تناوله الإمام الخميني قده بقوله: (يظهر في كثير من الروايات أن التقية التي بالغ الأئمة عليهم السلام في شأنها هي هذه التقية، فنفس إخفاء الحق في دولة الباطل واجب، وتكون المصلحة فيه جهات سياسية دينية، ولو لا التقية لآل الذهب إلى الزوال والانقراض).^(١١)

وقد يكون الهدف من التقية أحياناً حفظ وحدة المسلمين وتأليف قلوبهم، وقطع جذور الحقد والبغض والعداء. بالطبع إنما يحصل هذا الهدف حين لا يكون التعبير عن الفكر والعقيدة والدفاع عنه أكثر أهمية.

ما هو حكم التقية؟

يتغير الحكم ويختلف باختلاف الظروف، حيث أن هناك ثلاثة أحکام للتقية،

وكل حكم مختلف باختلاف الظرف. فمثلاً على ذلك:

الرخصة:

قضية عمار بن ياسر التي سبق وذكرناها حيث قال الله تعالى في كتابه عن هذه الحادثة: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ﴾ (١٢).

روي أن (مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من المسلمين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله ﷺ، فقال: فما تقول في؟ قال: أنت أيضًا، فخلاء، وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله ﷺ، فقال: فما تقول في؟ فقال: أنا أصم، فأعاد عليه ثلاثا، فأعاد جوابه الأول فقتله، بلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صد ع بالحق فهنيئًا له) (١٣).

سئل الإمام الصادق ع (عن رجلين من أهل الكوفة أخذدا، فقيل لهما: ابرءا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فبراً واحد وأبى الآخر فخلي سبيل الذي برع وقتل الآخر. قال ع: أما الذي برع فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يبراً فرجل تعجل إلى الجنة).

التكاليف:

تكون التقية تكليفاً، أي واجباً إذا كان في عدم الأخذ بها ضرر على المذهب؛ أي إذا كان موقف التحدي يؤدي إلى إبادة الخط والفكر والمنهج الذي تنتهي إليه بحيث ينعكس الموقف الشخصي على الجماعة والخط بأكمله، فهنا يجب على المكلف أن يأخذ بالتقية للأخذ بالمصلحة الإسلامية العليا، كما حدث ذلك في العصر العباسي الذي كان يعمل على اضطهاد أهل البيت ع وأتباعهم بالشكل بحيث أنهم إذا عرفوا انتقام أحد الأشخاص إلى مذهب أهل البيت ع قتلوا كل من له صلة به، فكان موقف أئمة أهل البيت ع لحفظ التشيع

يوصون بالتجنّي، ويؤكدون عليها لدرجة أن الإمام الباقر عليه السلام قال: (التجنّي من ديني ودين أبيائي)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إن التجنّي ترس المؤمن، ولا إيمان لمن لا تجنّي له) ^(١٤).

وذلك لحفظ الخط الإسلامي الأصيل المتمثل في خط أهل البيت عليهم السلام.

وقد يكون حكم التجنّي عدم الجواز أو الحرمة، وذلك حين يكون في اتخاذ موقف التجنّي إضرار بالدين أو المذهب، أو أدى ذلك إلى سفك الدم كما يظهر ذلك في قول الإمام الصادق عليه السلام: (إنما جعلت التجنّي ليحقن بها الدم، فإذا بلغت الدم فلا تجنّي) ^(١٥).

وكما قال الإمام الخميني قدس سره:

(منها بعض المحرمات والواجبات التي في نظر الشارع والشرعية في غاية الأهمية مثل هدم الكعبة والشاهد المشرفة...، ومثل الرد على الإسلام والقرآن...، ومن هذا الباب ما إذا كان المتقي من له شأن وأهمية في نظر الخلق بحيث يكون ارتكابه لبعض المحرمات تجني، أو تركه لبعض الواجبات من يعد موهنا للمذهب وهاتكا لحرمته...، وأولى من ذلك كله في عدم جواز التجنّي فيه ما لو كان أصل من أصول الإسلام أو المذهب أو ضروري من ضروريات الدين في معرض الزوال أو الهدم والتغيير، كما لو أراد المنحرفون الطاغة تغيير أحكام الإرث والطلاق...) ^(١٦).

لذلك لابد من الدقة في دراسة الظروف المحيطة بالوقف الذي يتخدنه الفرد لكي لا يترك واجباً، ولا يفعل محظياً ظناً منه أنه يخدم الدين أو المذهب.

بعض الشبهات على التقية:

- هل التقية إسقاط للموقف واستسلام للطرف المقابل؟

الجواب هو: لا، حيث أن التقية هي الاحتفاظ بال موقف في نفس الإنسان، ولكن لا يظهره إلى العدو الذي قد يقضي عليك في مرحلة الضعف التي تعيشها حتى تخين الفرصة لإظهار الموقف الحقيقي.

أما الاستسلام فهو انصراف في الآخر وإذعان للطرف المقابل، وتنازل عن المبادئ المعتقد بها.

- التقية ليست نفاقاً:

التقية ليست نفاقاً كما يتهمنا البعض، حيث أن التقية كتمان للإيمان وإظهار ما يخالفه، والنفاق إظهار للإيمان وكتم للكفر.

وحتى أن القرآن امتدح مؤمن آل فرعون في القرآن: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(١٧)، ولو كان كتمانه للإيمان صفة سيئة أو كانت نفاقاً لما وصفه القرآن بأنه مؤمن.

- إن التقية إنما شرعت في مقابل الكافرين بينما الشيعة يستخدمونها تجاه المسلمين أيضاً، ولذلك فلا شرعية للتقية عند الشيعة.

إن الدليل على جواز التقية هو القرآن الكريم حيث صرخ في الآية ٢٨ من سورة آل عمران بقوله:

﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْةً وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، وآية: ١٠٦ من سورة النحل بقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ﴾.

هاتان الآيتان هما الدليل على جواز التقية فإن الآيتين وردتا في التقية من المشرك، إلا أن المقرر لدى علماء الأصول أن خصوص المورد لا ينحصر الوارد، والمقرر لدى علماء التفسير أيضاً أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فيينبغي أن يتضح أن القرآن في هاتين الآيتين هل يراعي حال المسلم أم أنه يراعي حال المشرك؟ فإن كانت التقية ناظرة إلى المشرك فإنه لا يجوز التقية إلا منه دون المسلم، وإن كان القرآن يراعي حال المسلم، وجاءت الآية بداعي الحفاظ عليه، ثبت لدينا جواز التقية من كل ظالم وإن كان مسلماً.

والمعنى الثاني هو الظاهر من القرآن الكريم، فإن التقية ناظرة إلى حال المسلم لحمايته وصيانته من الخطر، والحفظ عليه من الأعداء، وهذا السبب موجود في التقية من المسلم كوجوده في التقية من المشرك.

الஹامش:

- (١) روضة الوعاظين، الفتال النيسابوري، ص ١٨٣.
- (٢) الشيخ المفيد/ شرح عقائد الصدوق: ٢٤١.
- (٣) سورة آل عمران، الآية ٢٨.
- (٤) سورة النحل، الآية ١٠٦.
- (٥) سورة غافر، الآية ٢٨.
- (٦) عن الرسول الأكرم ﷺ : (الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان) ميزان الحكمة: ١: ٢٥١، وعن الإمام الرضا ع: (الإيمان عقد بالقلب، ولفظ باللسان، وعمل بالجوارح) ميزان الحكمة: ١: ٢٥٢.
- (٧) للشيخ الصدوق - كتاب الحصول: ٤٥٥ (رفع عن أمتي تسعة أشياء).
- (٨) ميزان الحكمة: ١١: ٤٨٥٢.

- (٩) المصدر نفسه: ٤٨٥١.
- (١٠) دراسات في الفكر السياسي عند الإمام الخميني قده - مجموعة من الباحثين: ٢٣٣، ٢٣٤.
- (١١) الرسائل / الإمام الخميني قده - قاعدة التقية: ١٥٨.
- (١٢) سورة النحل، الآية ١٠٦
- (١٣) ميزان الحكمة: ١١: ٤٨٥٣.
- (١٤) المصدر نفسه: ٤٨٥٠.
- (١٥) المصدر نفسه: ٤٨٥٤.
- (١٦) الإمام الخميني قده، الرسائل: ١٧٨ - ١٧٧.
- (١٧) سورة غافر، الآية ٢٨.

المؤمن مجاهد، لأنه يجاهد
أعداء الله عز وجل في دولة
الباطل بالتقية، وفي دولة الحق
بالسيف.

(الإمام الصادق علیه السلام)

الإمامية مقامات وأئمّة وآر

(القسم الأول)

علي أحمد الكريباudi

بسمه تعالى، هذا هو القسم الأول من الموضوع، والذي نتعرض فيه إلى بعض التنبیهات المهمة في التعاطي مع المعصوم اللَّهُمَّ دراسته، وسيدور الكلام بعد ذلك حول الحور الأول من الموضوع وهو مقام الإمام المعصوم اللَّهُمَّ.

فما هو المقصود من لفظة الإمام؟!

كلمة إمام في حد ذاتها لا تحمل معنى مقدساً، فالإمام هو المؤمن به أي المقتدي والمتابع، وهو الشخص الذي يتقدم على جماعة تبعه سواء كان عادلاً أم ضالاً. وقد ورد كل من هذين المعنين في آيات القرآن الكريم، فمن الأول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١)، ومن الثاني: ﴿أَئِمَّةً يُدْعَوْنَ إِلَى النَّارِ﴾^(٢).

وفي الحديث عبر عن الإمام بهذا المعنى بلفظ الأمير: (لا بد للناس من أمير بر أو فاجر)^(٣).

ولكن ما هي الإمامة عندنا؟ وما هي حدودها؟ وهل يتفق معنا الغير في هذا المعنى أم لا؟

السنة يتفقون معنا في شيء من الإمامة وهو السياسة وقيادة المجتمع، ولكن شؤون الإمامة أكبر من ذلك، ولذلك نوضح ما ثبت للالمعصوم اللَّهُمَّ ضمن محورين:

المحور الأول: مقامات الإمام العلية.

والمحور الثاني: أدوار الإمام العلية.

و قبل التعرض إلى مقامات الأئمة عليهما السلام وأدوارهم نشير إلى بعض التنبiehات:

التبنيه الأول:

أهمية التمييز بين المقام والوظيفة: أو الدور الذي يضطلع به هذا الإمام المعصوم العلية، فعدم التمييز هذا يولد مشاكل من قبيل الانتقاص من مقام المعصوم العلية، أو رفض بعض الوظائف التي يقوم بها المعصوم العلية، ومثال ذلك الدور السياسي الذي يقوم به الإمام العلية، فلعل هناك من ينزعه المعصوم عن السياسة بتصور أن ذلك حصر لمقام الإمامة في العمل السياسي، وكأن انطباعا سيئا صار لديه عن السياسة المعاشرة وعن شخصياتها في كثير من الأحيان، هذا الانطباع سبب لديه ردة فعل ضد السياسة ومن يتهنها، فتنزيها منه للمعصوم العلية عن هذه الصورة المنقدحة في ذهنه تراه يقول بأن السياسة تحديد لمقام الإمام العلية. وتارة أخرى يحصل خلاف ذلك فيتصور البعض أن السياسة هي مقام من مقامات الإمام العلية وأن سر عظمته العلية نابع من كونه رجلاً سياسياً.

التبنيه الثاني:

ضرورة التعرف على أهل البيت عليهما السلام من خلال كلماتهم ومن خلال النصوص الدينية بشكل عام، وعدم الانطلاق في تقييمهم من خلال ردة فعل أو ردة فعل معاكسة، فإذا ما حصل انتقاص من قبل البعض فإن ذلك لا يبرر القول بدون علم أو دليل، وكل مقام ينسب لأهل بيت العصمة عليهما السلام لا بد وأن لا يكون وليد ردة فعل مفتقرة إلى الدليل، فهم عليهما السلام أكرم وأجل من أن يتصدق

عليهم هذا أو ذاك بمقام لا يسنه الدليل، فضلاً عن أن ذلك قد يُعدُّ انتقاصاً لما هم عليه من عظيم شأن وخطير منزلة عند الله جل وعلا. وكذلك أيضاً إذا ما قام بعض الجهلاء بما يخالف ذوق الإمامة، كما عند بعض من قال: لا إله إلا فاطمة، أو أن الحسين هو الله، أو ما ماثل هذه التعبيرات، ففي مثل هذا الوضع لا يصح - وبداعي ردة الفعل المعاكسة - رمي كل من قال بمقام للأئمة المعصومين عليهم السلام بالغلو. فما دام الدليل قائماً وغير معارض بضرورة عقلية أو شرعية فنحن أبناء الدليل، أيهما مال غيل. فلا بد إذن أن يحاكم الواقع الذي عليه الناس من خلال الدليل، ومن خلال الروايات المنسوبة لـأهل البيت عليهم السلام فيها ما يلزم هذا الواقع الخارجي الذي يكون غلواً تارة، ويكون انتقاصاً لمقامهم عليهم السلام واستكثاراً عليهم عليهم السلام أن ينالوا مقاماً من المقامات المohoبة من قبل الله جل وعلا تارة أخرى.

فمن الروايات التي تناولت قضية الغلو والغلاة:

- ١ - عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله! والله إن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا).
- ٢ - عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (عن الله عبد الله بن سبأ إنه أدعى الربوبية في أمير المؤمنين، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وإن قوماً يقولون فيما لا نقوله في أنفسنا، نبراً إلى الله منهم، نبراً إلى الله منهم).
- ٣ - عن الشمالي قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: (عن الله من كذب علينا إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد أدعى أمراً عظيماً! ما

له لعنه الله. كان علي عليه السلام والله عبد الله صاحباً، أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكرامة من الله إلا بطاعته لله عز وجل)(٤).

ولهذا لا يشك شخص عنده أدنى إنصاف واطلاع على كتب الشيعة أنهم اتخذوا موقفاً صارماً من الغلاة فحكموا بکفرهم، فمثلاً قال الشيخ الأنصاري: ((و) أما (الغلاة) فلا إشكال في کفرهم؛ بناءً على تفسيرهم بمن يعتقد ربوبية أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة عليه السلام)(٥).

ومن الروايات التي تناولت قضية استكثار بعض المقامات على أهل البيت عليهما السلام:

(عن سفيان بن السبط، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إن الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر فيضيق بذلك صدورنا حتى نكذبه، قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : أليس عني يحدثكم؟ قال : قلت : بلـ. قال: فيقول للليل : إنه نهار، وللنـهار : إنه لـيل؟ قال : فقلـت له : لاـ. قال : فقال : رـدـ إلينـا فإنـكـ إنـ كـذـبـتـ فإـنـاـ تـكـذـبـنـاـ)(٦).

التنبيه الثالث:

أهمية التعرف على الظروف التي دعت بعض العلماء في بـرهـات زـمنـيـةـ مختلفـةـ للتـشـدـيدـ عـلـىـ مقـامـاتـ الإمامـ المعـصـومـ عليهـ السـلامـ أوـ عـلـىـ وـظـيـفـةـ معـيـنةـ منـ وـظـائـفـهـ عليهـ السـلامـ، فإنـ التـشـدـيدـ عـلـىـ أمرـ معـيـنـ لاـ يـعـنـيـ رـفـضـ ماـ عـدـاهـ، أوـ أـنـهـ هوـ الشـيءـ الـوحـيدـ الذيـ يـكـنـ القـوـلـ بـهـ لـإـلـامـ السـلامـ، فـهـذاـ التـأـكـيدـ إـنـاـ كـانـ بـسـبـبـ الـظـرـوفـ الـحـيـطةـ، وـالـحـالـاتـ الـفـكـرـيـةـ الـمـتـفـشـيـةـ فـيـ تـلـكـ الـفـتـرـةـ، وـهـذـاـ مـنـ قـبـيلـ تـأـكـيدـ إـلـامـ الـخـمـيـنـيـ فـقـطـ وـالـسـيـدـ الـقـائـدـ حـفـظـهـ اللـهـ عـلـىـ السـيـاسـةـ فـيـ حـيـاةـ الـمـعـصـومـ عليهـ السـلامـ، فـإـنـ الـمـتأـمـلـ فـيـ

كلماتهم يجد الدواعي قائمة على هذا التأكيد، من قبيل ما ذكره السيد القائد في كتابه (قيادة الإمام الصادق) بأن هناك نظريتين تقول إحداهما بأن الإمام الصادق عليه السلام كان يتمثل إلى حكام بني العباس، وبهادنهم، ويمدحهم حفاظاً على ما لديه من حرية التدريس والتوعية وما شاكل ذلك فكان لا يتدخل في السياسة أو مقارعة الظلم. وأما النظرة الثانية فتقوم على انتقاد المعصوم عليه السلام والقول بعدم أهليته للتدخل السياسي، بل أنه كان منعزلاً، وهذا يشبه ما يتكلم به المستشرقون عن الإسلام^(٧). وهذا المعنى كان موجوداً أيضاً في كلمات الإمام الراحل فاطم فهناك من كان يرفض تدخل الدين في السياسة، سواء كان في الأوساط الإسلامية، أو في الأوساط الإلحادية، فلذلك كان الإمام فاطم يحيب الشريحة الأولى بأن إشكالهم يرد إذن حتى على رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، فلماذا عادى أبا سفيان وتسبب في قتل عمه وغيره من الشخصيات الإسلامية؟ ويرد أيضاً على أمير المؤمنين فقد قالوا له: دع معاوية على حكومة الشام فلم يسمعهم وتسبب في قتل عمار والألاف غيره. ويرد أيضاً على أبي الضيم وأبي الأحرار سيد الشهداء الحسين عليه السلام حيث غادر المدينة وهي آمنة وانطلق لخاربة يزيد بن معاوية.

فالخلاصة أنه كانت هناك ظروف تقتضي تصدي الإمام الخميني والسيد القائد وغيرهم للتأكيد على الجنبة السياسية في حياة المعصومين عليهم السلام ومثل ذلك ما حصل في فترات أخرى من تاريخ الإسلام من عوامل دعت العلماء للتأكيد على جنبة مقامات المعصوم عليه السلام، وكل هذه المسبيات لا بد من ملاحظتها بعين الاعتبار، فلا يصح أن نقطع أقوال العلماء عن ظروفها ونتصور بأن ما قالوه وحده هو الإمام المعصوم عليه السلام بل لا بد من الرجوع كما تقدم إلى الأدلة وما تبنته من مقامات وأدوار للمعصوم عليه السلام.

التنبيه الرابع:

أن معرفة الإمام المعصوم عليه السلام لا تقتضي التبرى أو الترفع عن من لا يعرفه، فهذه البراءة واللعن لكل جاهل بمقامهم لعن لشيعتهم ولعن شيعتهم غير جائز، فلا يصح القول بلعن كل جاهل لمقامات الأئمة عليهم السلام ، نعم بالنسبة إلى الشاك وكما في المقوله المتداولة: (لعن الله الشاك) فإن الشك في أصل الإمامة؛ أي عدم عقد القلب على القول بالإمامه يخرج الإنسان من المذهب، وكيف لا وهو لا يقر بأكثر أموره أهمية؟! فهذا أمر يعتبر من الضروريات هو والنبوة والإيمان بالله سبحانه وتعالى، فمن لم يقطع بنبوة النبي صلوات الله عليه وسلم فلا يمكن القول بإسلامه، وكذلك من شك (لم يحصل لديه القطع) في وجود الله لا يمكن تسميته مسلماً حتى ولو كان محتملاً لوجوده جل وعلا. ولكن الجهل بمقام الإمام المعصوم عليه السلام هو غير ذلك، ولعنُ كل جاهل بمقاماتهم عليهم أفضل الصلاة والسلام هو لعن لكل شيعتهم وهو أمر غير جائز، وفي هذا يقول الإمام الخميني: (ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم عليهم الصلوات إلا أنفسهم)^(٨) ، فكل شيعتهم جاهلون لمقامهم عليهم السلام ، لأنه: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، ولا عرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا)^(٩).

فإذا وجد ما يقول بلعن الجاهل فلا بد من حمله على أمر آخر غير عدم العلم بمقامهم عليهم السلام وذلك كالتجاوز عليهم والإساءة إليهم، أو الانتقاد من مقامهم عليهم السلام أو ما شاكل ذلك، ولذلك ترى الأحاديث الشريفة تقول في أمثال أبي ذر: (لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله)^(١٠) ، هذا على ما لأبي ذر من مقام عند أهل بيت العصمة عليهم السلام ، فقد روى الفضيل بن يسار، عن وهب بن عبد الله بن أبي دبي الهنائي، قال: (حدثني أبو حرب بن أبي الأسود الدؤلي،

عن أبيه أبي الأسود، قال: قدمت الربذة فدخلت على أبي ذر جندي بن جنادة فحدثني أبو ذر، قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده فلم أر في المسجد أحداً من الناس إلا رسول الله ﷺ وعليه السلام إلى جانبه جالس، فاغتنمت خلوة المسجد، فقلت: يا رسول الله، يا أبي أنت وأمي أوصني بوصية ينفعني الله بها. فقال: نعم وأكرم بك يا أبو ذر، إنك من أهل البيت وإنني موصيك بوصية..(١١).

ولهذا جاء في ما رواه عبد العزيز القراطيسي: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (يا عبد العزيز إن الإيمان على عشر درجات منزلة السلم يصعد منه مرقة بعد مرقة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره)(١٢).

وعن عماد بن أبي الأحوص قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (إن عندنا قوماً يتولون بأمير المؤمنين عليه السلام ويفضلونه على الناس كلهم، وليس يصفون ما نصف من فضلكم، أنتوا لهم؟ فقال لي : نعم في الجملة، أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله عليه السلام، ولرسول الله عليه السلام ما ليس لنا، وعندنا ما ليس عندكم، وعندكم ما ليس عند غيركم إن الله وضع الإسلام على سبعة أسهم : على الصبر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثم قسم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل محتمل، ثم قسم لبعض الناس الأسهم، ولبعضهم السهمين، ولبعض الثلاثة الأسهم ولبعض الأربعة الأسهم، ولبعض الخمسة الأسهم، ولبعض الستة الأسهم، ولبعض السبعة

الأسهم، فلا تحملوا على صاحب السهم سهرين، ولا على صاحب السهرين ثلاثة أسهم، ولا على صاحب الثلاثة أربعة أسهم، ولا على صاحب الأربعة خمسة أسهم ولا على صاحب الخمسة ستة أسهم، ولا على صاحب الستة سبعة أسهم فتقلوهم وتنفروهم، ولكن ترقوها بهم وسهلوها لهم المدخل، وسأضرب لك مثلاً تعتبر به إنه كان رجل مسلم، وكان له جار كافر، وكان الكافر يرافق المؤمن، فلم يزل يزين له الإسلام حتى أسلم، فغدا عليه المؤمن فاستخرجه من منزله فذهب به إلى المسجد ليصلِّي معه الفجر جماعة، فلما صلَّى قال له: لو قعدنا نذكر الله حتى تطلع الشمس، فقدع معه، فقال له: لو تعلمت القرآن إلى أن تزول الشمس وصمت اليوم كان أفضل، فقدع معه وصام حتى صلَّى الظهر والعصر، فقال له: لو صبرت حتى تصلي المغرب والعشاء الآخرة كان أفضل، فقدع معه حتى صلَّى المغرب والعشاء الآخرة ثم نهض، وقد بلغ مجاهده، وحمل عليه ما لا يطيق، فلما كان من الغد غدا عليه وهو يريد مثل ما صنع بالأمس، فدق عليه بابه، ثم قال له: اخرج حتى نذهب إلى المسجد، فأجابه أن انصرف عني فإن هذا دين شديد لا أطيقه، فلا تخربوا بهم، أما علمت أن إماراة بنى أمية كانت بالسيف والعنف والجحود، وأن إمامتنا بالرفق والتآلف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبو الناس في دينكم وفي ما أنتم فيه)١٣).

مقامات الإمام:

١ - مقام النورانية:

وهو كون الأئمة عليهم السلام أنواراً، ووردت فيه روايات منها ما روی عن الباقر: (يا جابر إن الله أول ما خلق خلقاً عليه السلام، وعترته المهدية المهتدية، فكانوا أشباح نور بين يدي الله)١٤.

وقال علي عليه السلام في بعض خطبه: (إنا آل محمد كنا أنواراً حول العرش، فأمرنا الله بالتسبيح فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ثم أهبطنا إلى الأرض فأمرنا الله بالتسبيح فسبحنا فسبحت أهل الأرض بتسبيحنا، فإننا لنحن الصافون، وإننا لنحن المسبحون).^(١٥)

وعن المفضل قال: (قلت لمولانا الصادق عليه السلام: ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرض: قال: كنا أنواراً نسبح الله ونقدسه...).^(١٦)

٢ - مقام تكون البدن:

وفيه روایات تدل على خصوصية في نفس أبدان الأئمة عليهم السلام فعن الرسول عليه السلام: (نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية)^(١٧)، وعنده عليه السلام: (خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح)^(١٨).

وفي مجمع البيان جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾: وقيل: معناه وتقلبك في أصلاب الموحدين من بي إلى بي حتى أخرجكنبيا.^(١٩)

وعن الإمام الباقر عليه السلام (في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾): يراك حين تقوم بأمره، وتقلبك في أصلاب الأنبياءنبي بعدنبي)^(٢٠).

وجاء في زيارة وارث: (أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدهمات ثيابها). بل إن التأمل في تكون نطفة أم الأئمة عليه السلام يرى ما لبدن المعصوم من قدسيّة وخصوصية، فقد اعتزل الرسول الأكرم عليه السلام زوجته خديجة عليهما السلام أربعين يوماً يصوم نهارها ويقوم ليلاً ثم أتي له بطبق من الجنة فأكل منه وتكونت من ذلك الطعام نطفة الزهراء عليهما السلام، وورد أنه عليه السلام في ليلة المعراج أكل من ثمرة شجرة

طوبى، فتكومنت نطفة الزهراء عليه السلام من تلك الثمرة، وكانت هذه الشجرة قد غرسـت في بيت أكرم الخلق أجمعين، وسقيـت من ثلـاث عيون هي السلسـبيل والتسـنـيم والمعـين، وبهـذا تـأهل بـدن الزـهرـاء عليه السلام لـتحمل تلك الروح الفـريـدة من نوعـها.

وفيـما يـرتبط بـبدـن المـعـصـوم عليه السلام بعد وفـاته قال الشـيـخ المـفـيد: (وأـمـا أحـواـهم بـعـد الـوفـاة فإـنـهـم يـنـقـلـون مـنـ تـحـت التـرـاب فـيـسـكـنـون بـأـجـسـامـهـم وأـرـوـاحـهـم جـنـة الله تعـالـى، فـيـكـونـون فـيـها أـحـيـاء يـتـنـعـمـون إـلـى يـوـمـ الـمـاتـ)..(٢١).

٣- مقام العـصـمة:

وتـدلـُّ عـلـيـهـ الآـيـاتـ والـرـوـاـيـاتـ وـالـأـدـلـةـ الـعـقـلـيةـ.

أـمـاـ الآـيـاتـ فـنـورـدـ مـنـهـاـ:

﴿وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٢٢).

﴿مَنْ يُطِيعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ﴾ (٢٣).

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسِّلُمُوا تَسْلِيماً﴾ (٢٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢٥).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٢٦).

وـأـمـاـ ماـ وـرـدـ فـيـ الرـوـاـيـاتـ فـمـنـ قـبـيلـهـ:

(عليـ معـ الحـقـ والـحـقـ معـ عليـ يـدورـ معـهـ حـيـثـماـ دـارـ) (٢٧).

(إـنـ اللهـ يـغـضـبـ لـغـضـبـ فـاطـمـةـ وـيرـضـيـ لـرـضـاـهـاـ) (٢٨).

وـأـمـاـ الـزـيـارـةـ الـجـامـعـةـ فـقـدـ جـاءـ فـيـهـاـ:

(أـنـتـمـ الـصـراـطـ الـأـقـومـ) (٢٩).

(من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم) (٣٠).

(بكم يُسلِّك إلى الرضوان) (٣١).

وَمَا الدليل العقلاني:

فإن الله سبحانه وتعالى قد بعث الأنبياء والرسل ومن بعدهم أئمة أهل البيت عليهما السلام بأمره ونص نبيه عليهم إماماً من بعد إمام، بعثهم هداية الناس فلا يمكن أن نفترض الخطأ في هذا الهادي لأنه إن أخطأ لم يكن هناك ركن وثيق تتحقق به الهدایة، فلا بد من حبل الله يعتصم به المعتصمون عن الخطأ حتى تتحقق الهدایة على وجه الأرض، ولما لم يرسل الله جل وعلا غير هؤلاء للهدایة لزم القول والجزم بعصمتهم عليهما السلام، لأن عدم ذلك يسلِّم القول بأحد اللوازم الباطلة على الله سبحانه وتعالى.

فاللازم الأول هو القول بأن الله سبحانه وتعالى جاهل بسبيل تحقيق الهدایة فيكون إرساله لهم وجعله إياهم في هذا المقام بداعي الهدایة ولكن الطريق خطأ لا يحقق الهدایة. **واللازم الآخر** هو القول بأن الله سبحانه وتعالى عاجز عن تحقيق الهدایة، **واللازم الثالث** هو القول بعبيشة الله سبحانه وتعالى وأنه يرسلهم ولكن لا هدف عنده وهو تحقيق الهدایة، بل يرسلهم عبثاً، وكل هذه اللوازم باطلة فلا بد من القول بأن الله سبحانه وتعالى أرسلهم وجعلهم في هذا المنصب بغرض تحقيق الهدایة فلا يكون إرساله لهم عبثياً، وأنه سبحانه وتعالى قادر على تحقيق الهدایة بذلك، وأنه أحسن اختيار الطريق وليس بجاهل لما اختارهم عليهما السلام لتحقيق الهدایة، فالنتيجة أنهم عليهما السلام يكونون محققين للهدایة التي أرادها الله سبحانه وتعالى لا محالة، وحينها لا بد من القول بعدم خطئهم، لأنه لو جاز عليهم الخطأ لانتفى القطع بتحقيقهم للهدایة.

العصمة عن السهو والنسayan:

ما تقدم كان في ما يتعلق بعصمتهم عليهم السلام في تبليغ الدين، وقد يدعى أنهم عليهم السلام معصومون في خصوص هذه الحدود؛ أي في حدود تبليغ الدين، ويقال بأن بالإمكان أن يخطئوا في أمرهم الشخصية التي لا تمس الدين والتبلیغ وإيصال المداية، أو أنهم يسهون في غير ما يتعلق بتبلیغ الدين. ولكن يجاب على ذلك بإجابات مختلفة منها ما ذكر في كتاب الإلهيات: (والحق أن الدليل العقلي الدال على لزوم عصمة النبي في مجال تبليغ الرسالة دال - بعينه - على عصمته عن الخطأ في تطبيق الشريعة وأموره الفردية، فإن التفكيك بين صيانة النبي في مجال الوحي، وصيانته فيسائر المجالات وإن كان أمراً ممكناً عقلاً، لكنه كذلك بالنسبة إلى عقول الناضجين في الأبحاث الكلامية، وأماماً عامة الناس فإنه غير قادرين على التفكيك بين تينك المرحلتين، بل يجعلون السهو في إدراهما دليلاً على إمكان تسرب السهو إلى الأخرى. فلا بد لسد هذا الباب الذي ينافي الغاية المطلوبة من إرسال الرسل، من أن يكون النبي مصوناً عن الخطأ في عمدة المراحل) ^(٣٢) والغاية التي ذكرها هي أن تتحقق الثقة من قبل الناس بهذا الرسول وهذا الإمام ليتحقق بذلك الاتباع ولتحقيق المداية. ومنها ما جاء في كتاب العقيدة الإسلامية: (إن الأنبياء - مضافاً إلى كونهم معصومين من الذنب - معصومون كذلك في الأمور

التالية:

أ: في القضاء في النازعات والفصل في الخصومات.

والنبي صلوات الله عليه وإن كان مأمورةً بالقضاء على وفق البينة واليمين، لكنه في صورة خطأ البينة أو كذب الحالف واقف على الحق المر، وإن لم يكن مأمورةً بالقضاء على طقه.

ب: في تشخيص موضوعات الأحكام الشرعية (مثل أن المائع الفلاني هل هو حمر أم لا؟)

ج: في القضايا اليومية العادلة.

إن لزوم وصف النبي بالعصمة في الموارد المذكورة نابع من أن الخطأ في مثل هذه الحالات ملازم للخطأ في مجال الأحكام الدينية، وبالتالي فإن الخطأ في هذه الأمور والحالات يضر بشقة الناس بشخص النبي ويوجب في المآل تعرض الغرض المنشود للخطر، وإن كان لزوم العصمة في الصورتين الأوليين أوضح من العصمة في الصورة الأخيرة^(٣٣). وقد استدل بعضهم أيضاً على عصمتهم عليهما في أمورهم الشخصية ببيان مفاده: (ما دام في معرض السهو والخطأ والغفلة فهو ليس حجة في كل أفعاله، في حجة الوداع كان النبي يقول: خذوا عني مناسكم. فلا يكون حجة في كل أفعاله إلا إذا كان معصوماً عصمة مطلقة في قوله، في فعله، في تركه، في تمام شؤونه، فلا بد أن لا يخطئ ولا يسهو ولا يغفل. وذلك في كل أفعاله سواء في مقام التشريع أو في مقام الفعل الشخصي.

والتفصيل بالقول بعصمتها في مقام التشريع وعدمها فيما يتعلق بالأمور الشخصية غير صحيح لأنه متى ما احتملنا أنه يسهو في حركته الشخصية احتملنا أنه يسهو في حركته الأخرى، لأنه ما الذي يضمن لنا أنه الآن مشرع أو غير مشرع؟

افترض أن النبي زار جاره اليهودي، عاده في مرضه، لا نdry هل أن هذه الزيارة تشريع فنأخذ بها أو ممارسة شخصية فلا نأخذ بها، من الذي يميز لنا أن هذا تشريع أو أن هذه ممارسة شخصية؟^(٣٤).

٤ - مقام الإنسان الكامل:

وبهذا المقام تثبت للمعصوم الغالي كل الكمالات، والتي منها الحجية؛ أي كونه حجة عصره، والولاية، وانكشاف الحقائق، وبواسطة هذا المقام يكون للإمام عدة مواصفات أمثل (سلطه على الضمائر؛ أي القلوب انتلاقاً من كونه روحًا كليلة) وأن الإمام في ممامته له القدرة على السمع ورد التحية، فنحن نقول في الزيارة (وهي جزء من أصول التشيع: أشهد أنك تشهد مقامي وتسمع كلامي وترد سلامي) (٣٥).

قال الشاعر :

يُدَعِّي أَنَّهُ الصِّرَاطُ السَّوِيُّ
وَحْيٌ لِأَمْرِهِ وَعَلَى
فَكِيفَ أَشْقَى بَحْرُ آلِ النَّبِيِّ
كُثُرُ الشَّكُّ وَالْخِتْلَافُ وَكُلُّ
فَتَمْسَكٌ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
فَازَ كَلْبُ بَحْرِ أَصْحَابِ كَهْفٍ

وذكر المدائني في كتاب الخوارج قال: (لما خرج علي النبي إلى أهل النهر أقبل
رجل من أصحابه من كان على مقدمته يركض، حتى انتهى إلى علي النبي فقال:
البشري يا أمير المؤمنين، قال: ما بشرأك؟ قال إن القوم عبروا النهر لمبلغهم
وصولك، فأبشر، فقد منحك الله أكتافهم، فقال له: الله أنت رأيتم قد عبروا!
قال نعم، فأحلفه ثلاث مرات، في كلها يقول: نعم، فقال علي النبي: والله ما
عبروه ولن يعبروه، وإن مصارعهم لدون النطفة، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة،
لن يبلغوا إلا ثلاث، ولا قصر بوازن، حتى يقتلهم الله، وقد خاب من افترى قال:
ثم أقبل فارس آخر يركض، فقال كقول الأول، فلم يكترث علي النبي بقوله،
وجاءت الفرسان تركض كلها تقول مثل ذلك، فقام علي النبي فجال في متن فرسه
قال: فيقول شاب من الناس: والله لأكون قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر

لأجعلنَّ سنان هذا الرمح في عينه، أيدعى علم الغيب! فلما انتهى عليه السلام إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيفهم، وعرقوا خيلهم، وجثوا على ركبهم، وحكموا تحكيم واحدة بصوت عظيم له زجل. فنزل ذلك الشاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إني كنت شكت فيك آنفًا، وإنني تائبٌ إلى الله وإليك، فاغفر لي، فقال على الله: إن الله هو الذي يغفر الذنب فاستغفره) ^(٣٦).

ومن ذلك عرض أعمال العباد على الأئمة عليهم السلام ويستشهد على ذلك بآيات وروایات من قبيل: «وَقُلِّ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» ^(٣٧)، وعن الإمام الصادق عليه السلام لما سُئل عن قوله تعالى: «وَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتُكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» ^(٣٨): (نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه) ^(٣٩). وعن أبيه أيضًا عليه السلام: (إن أعمال العباد تعرض على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل صباح أبرارها وفجارها، فاحذروا فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح) ^(٤٠). ومن ذلك خروج الإمام الحجة عليه السلام في الفرات الحرجية لقضاء حوائج الشيعة، كما نقل في قصص كثيرة، وقال أمير المؤمنين عليه السلام لما بايعه الملعون عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله، قال له: (تالله إنك غير وفي ببعيتي، ولتخضبن هذه من هذا - وأشار بيده إلى كريته وكريمه - فلما أهل شهر رمضان جعل يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين عليهم السلام، فلما كان بعض الليالي قال: كم مضى من رمضان؟ قال له: كذا وكذا، فقال لهم عليه السلام: في العشر الأخير تفقدان أبيكما، فكان كما قال عليه السلام) ^(٤١)

نكتفي بهذا القدر من الكلام حول مقاماتهم عليهم أفضل الصلاة وأزكي السلام، ونتكلم في العدد القادم بإذن الله حول أدوارهم ووظائفهم عليهم السلام والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) سورة السجدة، الآية ٢٤.
- (٢) الإمام مطهري قُلْتَكُنْ: ٣٨.
- (٣) بحار الأنوار، الشيخ الجلسي قُلْتَكُنْ، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ج ٧٢، ص ٣٥٨.
- (٤) ليالي بيشاور: ١١٧، نقلًا عن بحار الأنوار.
- (٥) كتاب الطهارة للشيخ الأعظم الأنباري قُلْتَكُنْ، ص ١٤٩.
- (٦) بحار الأنوار، العلامة الجلسي قُلْتَكُنْ ج ٢، ص ١٨٧.
- (٧) راجع قيادة الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ: ٢٠ - ١٣.
- (٨) الأربعون حديثاً: ٥٦٧، الإمام الخميني قُلْتَكُنْ.
- (٩) مدينة المعاجز ج ٢، ص ٤٣٩، السيد هاشم البحرياني قُلْتَكُنْ.
- (١٠) الكافي ج ١، ص ٤٠١، الكليني قُلْتَكُنْ.
- (١١) الأمالي، ص ٥٢٥، الشيخ الطوسي قُلْتَكُنْ.
- (١٢) الكافي ج ٢، ص ٤٥، الكليني قُلْتَكُنْ.
- (١٣) وسائل الشيعة (آل البيت عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ) ج ٦١ ص ١٦٤ - ١٦٥ الحر العاملي قُلْتَكُنْ.
- (١٤) الكافي: ١: ٤٤٢ رقم: ١٠.
- (١٥) البحار: ٢٤: ٨. رقم: ٣.
- (١٦) البحار: ٢٦: ٣٥٠. رقم: ٢٤.
- (١٧) ميزان الحكمة: ٣٠١٩.
- (١٨) نفس المصدر.
- (١٩) نفس المصدر.
- (٢٠) نفس المصدر.
- (٢١) أوائل المقالات في المذاهب والمخاترات، ص ٢٤، الشيخ المفید قُلْتَكُنْ.
- (٢٢) سورة الحشر، الآية ٧.

- (٢٣) سورة النساء، الآية ٨٠.

(٢٤) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢٥) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢٦) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢٧) بخار الأنوار: ٣٠، ص ٣٥٢، المجلسي فَلَتَّهُ.

(٢٨) بخار الأنوار: ٢١، ص ٢٧٩، المجلسي فَلَتَّهُ.

(٢٩) الزيارة الجامعية.

(٣٠) نفس المصدر.

(٣١) نفس المصدر.

(٣٢) محاضرات في الإلهيات: ٤١٦، الشيخ السبحاني، تلخيص الشيخ الرباني الكلبائكياني.

(٣٣) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت: ١٣٤ - ١٣٥، الشيخ السبحاني، ترجمة الشيخ جعفر المادي.

(٣٤) من محاضرة في الليلة الثالثة من محرم الحرام ١٤٢٦ هـ للسيد منير الخباز.

(٣٥) الإمامية: مطهري فَلَتَّهُ: ٥١ - ٥٢.

(٣٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣٧) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

(٣٨) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣٩) ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢١٣٥، الريشهري

(٤٠) نفس المصدر ص ٢١٣٤.

(٤١) بخار الأنوار ج ٤١، ص ٣٣٩، المجلسي فَلَتَّهُ

دراسة أدوار أئمة أهل البيت عليهم السلام

السيد حسن السيد أحمد الغريفي

مقدمة:

تمثل دراسة أدوار أئمة أهل البيت عليهم السلام منطلقاً هاماً في رسم حركة واقعنا الإسلامي والشيعي - على وجه الخصوص - ومعرفة الأسس التي انطلق منها أئمة أهل البيت عليهم السلام في حياتهم الاجتماعية والسياسية، إضافة لذلك ما يحتم عليه انتمائنا إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام مدرسة الإسلام الحقيقى والمتجسد..

دراسة حياة أهل البيت عليهم السلام - كما نعلم - أخذت أشكالاً متعددة وصيغاً مختلفة.. منها الدراسة التجزئية والتي تدرس حياة كل إمام على حدة، ومنها الدراسة الكلية (الموضوعية) والتي يقصد بها (دراسة حياة الأئمة عليهم السلام) ككل بمجموعهم بما يمثلون من وحدة مترابطة الأجزاء يواصل كل جزء من تلك الأجزاء دور الجزء الآخر)، وهنا لا نقاش في أهمية كلا الدراستين، ولكن إذا أردنا أن نفسر مواقف وأدوار الأئمة عليهم السلام المتباعدة والمختلفة، قد نرى بأن الدراسة التجزئية لا تفسر هذا المعنى بشكل واضح بخلاف الدراسة الكلية التي ترى بأن الإمامة في الجميع واحدة مسؤوليتها وشروطها، لذا فيجب أن تتعكس انعكاساً واحداً في سلوك الأئمة وأدوارهم مهما اختلفت أشكالها الظاهرية بسبب الظروف والملابسات، لذا هذه الدراسة (الكلية) يمكن أن تفسر أدوار الأئمة عليهم السلام المختلفة بشكل جلي وواضح.

الإطار العام لفهم أدوار الأئمة عليهما السلام :

المهاداة الإلهية للبشرية مرت من خلال عنصرين ومرحلتين هامتين - كما نعلم - :

المرحلة الأولى : (النبوة)

وهي مرحلة (التنزيل والتأسيس) تنزيل الرسالة السماوية وتأسيس الأمة والمجتمع الذي يؤمن بها، وهذه المسؤولية قام على عاتقها الأنبياء والرسل، والمهدى الذي خلقوا من أجله إنما هو تأسيس أصل الرسالة وتتنزيلها من السماء وإيصالها إلى الناس، هذه المرحلة الأولى.

المرحلة الثانية : (الإمامية)

وهي التي تأتي بعد التأسيس للرسالة السماوية، جاءت مرحلة (الصيانة) صيانة الرسالة وتحصين الأمة التي أوجدتها الرسالة، وبعد أن تأسست الرسالة ونزلت وشرعت واكتملت وصنعت أمة على أساسها وإن كان مجتمعاً بشرياً صغيراً قام بهذه الرسالة المشرعة، تحتاج الرسالة إلى مرحلة أخطر وأكثر صعوبة من المرحلة الأولى، وهي المرحلة الثانية (صيانة الرسالة) والتي هي صيانة للشريعة وللأمة المحسدة لها، ولا تكتمل المرحلة الأولى إلا بالمرحلة الثانية، والتي قام بها الأئمة الأطهار عليهما السلام وأوصياء الرسالة.

من خلال هذه الرؤية ينكشف الإطار العام ل موقفهم وأدوار الأئمة عليهما السلام المشترك لجميع مواقفهم وأعمالهم وهو (صيانة الرسالة وتحصين الأمة) التي آمنوا بها، والتي عاشوا من أجلها واستشهدوا من أجلها.

الأدوار المشتركة للأئمة عليهما السلام :

بعد البحث النظري، نحاول استعراض البحث التاريخي عن (الأدوار المشتركة) في حياتهم عليهما السلام :

بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ وقع تعدى كبير والخراف خطير على الرسالة، فلم يكن إقصاء لإمامية علي عليه السلام فحسب، بل إقصاء للرسالة الكاملة التي بها محمد ﷺ، فموقع الإمامة والعصمة الذي خلفه رسول الله ﷺ والذي يصون الرسالة من التحرير والانحراف ويحصن الأمة التي تجسد الرسالة من الانهيار، لم يترك لأنّة أهل البيت عـلـيـهـمـالـكـلـلـاـتـهـ لـأـنـ يـأـخـذـواـ مـوـقـعـهـمـ الإـلهـيـ وـالـطـبـيـعـيـ وهو (دور الإمامة)، وتسلّم هذا المنصب الإلهي من يحملون رواسب الجاهلية في عقولهم والروح القبلية التي عاشوها، إذ لم يستوعبوا حتى أبسط الأحكام الشرعية من رسول الله ﷺ بل فتحوا باب البدع والتضليل على الرسالة والأمة، حتى صار خليفة المسلمين شارب الخمر قاتل النفس المختومة معلنًا بالفسق؟!..

أمام هذا الانحراف الخطير والكبير، كيف مارس الأئمة عـلـيـهـمـالـكـلـلـاـتـهـ دورهم القيادي أمام التغيير الطارئ على الرسالة؟؟ والذى يؤدى بالضرورة إلى تحريف الرسالة وانهيار الأمة التي قامت عليها..

هنا عمل الأئمة عـلـيـهـمـالـكـلـلـاـتـهـ طوال مسيرة حياتهم على خطين وأصلين متلازمين :

الخط الأول : استعادة دورهم القيادي (الإمامية)

وهو السعي المتواصل لمحاولة مسك زمام الأمور والحكم وقيادة الأمة، و إرجاع موقع الإمامة والولاية إلى موضعه الشرعي ومساره الطبيعي.

الخط الثاني : صيانة الرسالة وتحصين الأمة

حيث بعد انحراف موقع العصمة والقيادة، أدى الانحراف إلى أن يتغلغل إلى تفاصيل الرسالة وعقول الأمة التي لم تدرك حجم هذا الانحراف الكبير إلا القلة

منها، لذا عمل أئمة أهل البيت عليهما السلام - إضافةً للدور الأول بعد أن واجهت الرسالة عدّة تحريرات - على أن يصونوا الرسالة ويعطوا النموذج الصحيح لتعاليم الرسالة ويحفظون وجود الأئمة من الانهيار لأنها الأئمة الشاهدة.

إذن كيف نفسر المواقف والأدوار المختلفة والمتباعدة بين الأئمة؟

حياة الأئمة عليهم السلام وأدوارهم كما ذكرنا كانت من أجل تحقيق (مبدأ الصيانة) نتج عن هذا المبدأ مواقف وأدوار خاصة، حيث رأينا إماماً يصالح وإماماً يثور وإماماً يدعو وإماماً يدرس.. هذه (الاختلافات) وإن كانت ظاهرية في السطح والشكل، إلا أنها في الواقع لا يوجد فرق بينها وبين غيرها من حيث (المبدأ) .. وذلك لأن (طبيعة الصيانة) تختلف من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر ومن طاغوت إلى آخر ومن نوعية الخطر المحدث بالرسالة والأئمة إلى نوعية أخرى...

هذا (الخطر) لم يكن ذات صيغة ثابتة واحدة، بل تعددت أشكاله وتغيرت ظروفه وأوضاعه الاجتماعية والسياسية واحتللت صيغ المواجهة العقائدية والفكريّة وتعددت الطواغيت وأساليب المواجهة والتحدي والتحريف، والتي كانوا يهدفون إلى تحريف الرسالة برمتها ويقفوا حجرة عثرة أمام حركة واستمرار الرسالة..

اختلاف هذه الخصوصيات كانت تستوجب (موقفاً خاصاً) لكل إمام وكانت هي الأساس في اختلاف نوع الموقف والعمل والمواجهة والذي اتخذه كل إمام لكن (الجوهر واحد) والمحنوي في كل المواقف رغم اختلاف الشكل والمظهر واحد.. وهو صيانة الرسالة كشريعة وكأمة تجسد تعاليمها..

كيف كان موقف الأمة أمام الأدوار القيادية المختلفة للأئمة عليهما السلام؟

يذكر ساحة الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في خطبة له (بأن قسماً تابع أهل البيت عليهما السلام في موقف (السلم) وليس معهم في موقف الحرب، وهذا الموقف قد يكون وراءه صفة الجبن أو أي صفة أخرى، وقد يكون الطمع أو الجشع من باب الرعاية لخاطر قوم آخرين.. إلى آخر ما هنالك.

وقسم تابع أهل البيت عليهما السلام في موقف (الحرب) وهو معهم لأن تركيتهم النفسية أقرب إلى اختيار الحرب والمواجهة...

وقسم ثالث كان يتشيّع لأهل البيت عليهما السلام ويتبعهم (متابعة مطلقة) ومنهم من ليس له هوى غير هوى أهل البيت عليهما السلام لقرب نفسيته من نفسيتهم ورؤيته من رؤيتهم وتقواه من تقواهم وتشخيصه السياسي من تشخيصهم، ومن أولئك الذي تابعوا أهل البيت عليهما السلام على الحرب والسلم من كان له (هوى ونظر) غير رأي أهل البيت عليهما السلام في الموقف ولكن له من الإيمان ما كان يجعله يتبعه برأي أهل البيت عليهما السلام رغم كونه على خلاف تشخيصهم وما كان يتمناه من مجده على غير ما جاء عليه..

أما الفئة الأخرى (المنافقون) كانوا يظهرون المودة ويبطئون العداوة، وقد يكونون مع السلم دون الحرب وقد يكونون مع الحرب دون السلم، ولكن الدافع دائماً هو الإضرار، يأتون للإمام عليهما السلام يحفزونه على الحرب، أو يبطئونه عن الحرب وهم في كل المواقف ليسوا مع الإمام عليهما السلام وإنما عليه.. من هم الشيعة حقاً؟ إنهم هم (الفئة الثالثة)..)

كيف مارس الأئمة عليهما السلام دورهم القيادي في صيانة الرسالة وتحصين الأمة؟

يقسم الشهيد الصدر قلنسوي تاریخ الأئمة عليهما السلام من حيث ممارسة دورهم القيادي إلى ثلاث مراحل بعد وفاة الرسول الأكرم عليهما السلام:

المرحلة الأولى : وهي التي عاش فيها أئمة أهل البيت عليهما السلام (مراة الانحراف وأثاره وفجائعه) والتي كان من الممكن أن تتمد فتتضي على الإسلام بكماله وعلى الأمة، حيث عمل الأئمة عليهما السلام ما بوسعهم من أجل الحفاظ على معالم الرسالة وعلى الأمة ومحضنها ضد الانحراف القائم، حتى خرج (التشيع) يمثل الصورة الحية للإسلام الحقيقي والحمدي، وصار (الشيعة) الأمة الحية التي تجسد الرسالة بمعالمها الكاملة، هذه المرحلة هي المرحلة التي تبدأ من بعد وفاة الرسول الأكرم عليهما السلام (الإمام علي - الإمام الحسن - الإمام الحسين - الإمام زين العابدين عليهما السلام).

المرحلة الثانية : اتجهت جهود الأئمة عليهما السلام إلى إبراز و(تحديد الإطار التفصيلي) الخاص بالتشيع بعد أن تم في المرحلة السابقة تثبيت أصل وجوده وموقعه من الرسالة بوصفه الخط الحقيقي والممثل للإسلام محمد عليهما السلام، لأن الانحراف الكبير أسس مدارس فقهية وعقائدية منحرفة، أخذ الأئمة عليهما السلام (الإمام الباقر - الإمام الصادق - الإمام الكاظم عليهما السلام) يبنون معالم مدرسة أهل البيت عليهما السلام (التشيع) بحيث استكمل كل جوانبه النظرية وبناءه العقائدي، وبلغت درجة من الاتساع الفكري بحيث شكلت خطراً حقيقياً للزعامات المنحرفة في المجتمع الإسلامي.

المرحلة الثالثة : أخذت قيادة أئمة أهل البيت عليهم السلام تتسع وتنمو بحيث أصبح لها (حضور شعبي واسع) يهدد موقع الزعامة المنحرفة، وأخذ التشيع يقرب من تسلم زمام الأمور والحكم ومارسة الدور السياسي والمرجعي للمسلمين والشيعة - على وجه الخصوص - بحيث أخذت الزعامة المنحرفة التقرب من قيادة أهل البيت عليهم السلام لسلبها الشرعية من الناس وتقليل نفوذها الواسع بحيث جعلت تراقب تحركاتها، هنا الأئمة عليهم السلام (الإمام الرضا - الإمام الجواد - الإمام الهادي - الإمام العسكري - الإمام الحجة عليهم السلام) أخذوا يحصنون شيعتهم ويوسعوا دائرة التشيع الممثل الحقيقي للإسلام، بحيث وصل إلى مستوى قادر على الاستمرار والديمومة وملا الفراغ القيادي بعد الأئمة المعصومين عليهم السلام.

لا شك أن لهذا الموضوع أهمية في إعطائنا التصور والموقف الإسلامي اتجاه أهدافنا وقضاياها، إذ من الخطأ أن نحمد أئم أمم أسلوب أو دور معين لأئم (مصلحة الإسلام وحفظ الأمة)، هذا الأصل والقياس جعله أئمتنا عليهم السلام نصب أعينهم أما الأساليب والأدوار الزمانية والمكانية فيحدد مقتضياتها وزمانها الفقهاء العدول والموالون بحق لهذا الخط.

المصادر المساعدة

- أئمة أهل البيت.. الشهيد السيد محمد باقر الصدر قده.
- الدروس العظيمة من حياة الأئمة..، السيد القائد الخامنئي.
- بحث حول آية المودة، السيد محمود الهاشمي.
- خطبة (٢٢٨)، للشيخ عيسى أحمد قاسم.

وانجل النور

جعفر عبد المهدى الشهابى

هذه قصّة قصيرة كنت قد كتبتها منذ عدّة سنوات أقدمها بين يدي القراء
الأعزاء مع تغيير وزيادة في بعض فقراتها.

ارتمت في أحضانِ أمّها وكأنّها تبحث عن مأوى، أخذت تقبّلها، فرائصُها
ترتعُّدُ والدموع تنحدر من خديها الذين بدّيا شاحبين من الفزع لف्रط ما نالها
من الارتباك والخوف. إنها للتو قد استيقظت من نومها مذعورةً، فقد كانت
تعيش في ذلك العالم أحلاًّماً أقضّت مضجعها.

حضرتها أمّها إلى صدرها وأخذت تفكك الدّموع من عينيها بيديها
الذابلتين. نادتها مخاطبة: ما بكِ، ما الذي دهاكِ يا زينب؟ تنهدت طويلاً وأخذت
تحاول أن تلملم الحروف من هُنا وهُناك علّها تستطيع أن تعبر عما يختلج في
داخلها. بعد أن هدأت من روعتها أخذت تسرك لأمّها ما انتابها في حال نومها.

لقد رأيتُ نفسي وكأنني لا أقوى على الحراك وكأن شيئاً يجذبني عن أن أخطو
 ولو خطوة واحدة إلى الأمام. نعم أحسست أن رجلي لا تطاوني، أخذت أصرخ
والعرق يتصلبُ من جبيني، وفجأةً رأيتُ نفسي مستيقظة وإذا أنت أمامي،
فأخذت أبكي بلا شعور.

أخذت الأم العطوفة تربت على رأس ابنتها بحنان الأمومة وهي تخاطبها لا
عليك يا بنّي إنّما هي أضغاثُ أحلامٍ، قومي وتوضّئي وأبعدي عنكِ هذه
الأفكار. لملمت زينبُ نفسها وأخذت تخطو إلى دورة المياه وأسبغت الوضوء

وجلست إلى جنب كتاب كانت الليلة الماضية تتصفحه، وتذكرت بعض أحداث ما مر في ذلك الكتاب فقد كان الكتاب يتحدث عما كان يعانيه المسلمون في أرض البوسنة والهرسك من التنكيل والتشريد والتقطيل على أيدي الصرب وكيف أن الصرب لم يتركوا صغيراً ولا كبيراً من كلا الجنسين إلا وألحقوا به الأذى فكم قتلوا من أطفال ورضع وأمهات وآباء وشيوخ وشبان وكم هدموا من مساجد، كل ذلك لكي لا يظهر صوت الإسلام أو يرتفع صيته، وتتكرر العادلة اليوم أيضاً فيها هي أرض العراق أرض المقدسات أرض التضحيات تُسبح فيها المحرمات وتُهدم فيها صوامع يذكر فيها اسم الله، يُسبح فيها الدم الحرام، دم المسلم، والعالم بسمعٍ وبنظرٍ أمام كل ذلكِ فمنهم من يتفرج على الموقف مضمراً التأييد ويخفي ما يختلج في نفسه من ارتياح وذلك هو الغرب الكافر الذي لطالما وقف وقفة التحدي للإسلام وكذلك من يدعى انتسابه للإسلام وهو لا يمت للإسلام بصلة وهم التكفيريون، هذه فئة، وفئة أخرى تقف موقف المتفرج وقد تضمر عدم الرضا ولكنها خاوية الإرادة من الناحية العملية وذلك لتبعيتها للغرب المتغطرس وعدم استقلالية قرارها. وبين ذين وذين تضيع المعايير الصحيحة، ويبقى الشعب العراقي بكل طوائفه وانتماءاته يُكابدُ الأمرين.

سرحت بعد هذا زينب في أفكار قادتها إلى ملحمة كربلاء الحسين العليّة، وتذكرت ما أصاب الحسين العليّة وأهل بيته من القتل والتنكيل والسيء والتشريد، كل ذلك لكي يبقى الإسلام عزيزاً وتبقى راية الإسلام رفافة. كان بإمكان الإمام الحسين العليّة أن يبايع يزيد - لعنه الله - ومن ثم يعيش حياة الرفاهية والنعيم، بل ويحصل على ولاية أو ما شابه، وبذلك يحفظ نفسه، كان بإمكان الإمام الحسين العليّة أن يقول كلمة (نعم) فقط ومنها يحصل على الحياة المُرفهة، ولكنه آثر

حياة الروح على حياة الجسد، حياة المبادئ والقيم على حياة الدونيات والزوائل، ولقد قالها صريحة وممضى عليها: كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكرباءٍ^(١)... لماذا يا أبا عبد الله، لماذا يا ابن رسول الله؟!

ألا ترون إلى المعروف لا يؤمرُ به، وإلى المنكر لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمنُ في لقاء الله....^(٢).

هذا السؤال الذي لا بدّ وأن يطرح نفسه في كل زمان وفي كُلّ مكان عندما يُهجر الأمر بالمعروف ويعيش الناس حياة المنكر. نعم هذه هي الطريقة والاستراتيجية التي لا بدّ أن يعيشها المؤمن في كل زمان وفي كل مكان. أن يعيش أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر بكل ما وسعه ولا تتوقف هذه الفريضة يوماً ما وإنما مجال حياة المؤمن في وسط يؤدي به إلى خسران الآخرة وضياع الدين ولكن كيف السبيل إلى ذلك يا أبا عبد الله وكيف الخلاص يا ابن بنت رسول الله؟!

(رضا الله رضاناً أهل البيت..)^(٣). فسر رضا الله سبحانه لا بد له من أن يعبر من خلال سفينة لها ربّان ماهر لأن الطريق شائك والأمواج متلاطمة والرضا الإلهي جوهرة نفيسة ليست بمتناول أيّ يدٍ إلّا يداً ظهرت في جميع الجنبات وكملت في أعلى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في الكمال، هذه اليد الأمينة هي متمثّلة في من قال عنهم الجليل جلّ وعلا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرُّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٤).

فلذا كان الدين والرضا الإلهي يمثل عند أهل البيت وعند مولانا أبي عبد الله عليه السلام الشيء الكثير، وكانت النفس والسمعة وغيرها من الأمور الزائلة لا

تُمثِّل له العليّة شيئاً عندما تتعارض مع الهدف المقدّس فلم تكن الدنيا بطريق يطوق
الحسين العليّة من أن يصل إلى الرضا الأوحد، بل لقد احنت الدنيا خجلـى أمام
الحسين العليّة فضلاً من أن ترْمَش للحسين العليّة بأن يميل بنظرة عابرة لها لأن
الحسين العليّة لم يعطها الفرصة ولا للحظة بأن تفكـر في الدخول إلى معينه الصافـي.
نعم، الحسين العليّة مجهول القدر، لا نعرفه حقيقةً، وكيف يحيط الناقص بالإنسان
الكامل، ولو عرفناه لتحررنا من كلّ القيود وعلى كل المستويات، الحسين العليّة
نفحةٌ من نور الله، نفحة أطلت على هذه الدنيا وقد كانت تُريد أن لا يبدو في
هذه الحياة إلا النور، كانت تريد أن تطرد الظلم بل الضبابية من كل الوجود،
ولكن الإنسان وبتماديـه وتلطفـه بالدونيات لم يعرف للحسين العليّة قدرـاً،
وبالتالي يحجب النور عن نفسه، فـها هو سلام الله عليه يقول (إنـي لم أخرج أشـراً
ولا بـطـراً ولا مفسـداً ولا ظـلـماً وإنـما خـرجـت لـطلب الإـصلاحـ فيـ أـمـةـ جـدـيـ صلـلـ اللهـ عـلـيـهـ
أـرـيدـ أنـ آـمـرـ بـالـعـرـوـفـ وـأـنـهـىـ عـنـ الـمـنـكـرـ...)(٥)

وهل هناك نورٌ أعظم من هذا النور، وهو أن يعم الصلاح في أرجاء المعمورة،
فهذه الأهداف الإلهية كان الحسين العليّة يسعى لتحقيقها، والأمة اليوم مطالبة بأن
تسير على هذا النهج حتى تصل إلى ما كان يرجوه أبي الضيم أبو عبد الله
الحسين العليّة.

لقد كانت زينب سارحة في هذه الأفكار، وإذا بها تسمع صوت أذان الفجر،
الله أكبر، الله أكبر، فرددـتـ معـهـ: نـعـمـ: اللهـ أـكـبـرـ، وهذا دليل انتصار دـمـ الإمام
الحسين العليّة على سـيـوفـ بـنـيـ أـمـيـةـ.

ذهبت إلى مصالاًها وأدّت فرضها، ثم فتحت القرآن وإذا بالآية الشريفة:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ﴾ (٢) فأخذت تدعو: اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة وليناً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعييناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً. وأخذت تتساءل: يا ترى! هل نحن خط نظر الإمام عليه السلام أم لا، هل نحن محل رضاه أم لا، ما الفائدة من حياة ليس فيها ارتباط بإمام العصر عليه السلام من خلال الانقياد لتعاليم الرسالة الحمدية والأخلاق الإسلامية وكل من يدعى الارتباط به سلام الله عليه ولكنها هو عليه السلام لا يقبل إلا أصحاباً لهم مواصفات خاصةً فيا مولانا أفض علينا بنظرة منك يكون فيها خلاصنا من غوايائل وموبيقات هذه الدنيا، سيدي متى ترانا ونراك، وقد حملت لواء النصر ترى أترانا نحْنُ بك، وأنت تؤمُّ الملا. أنهت زينب التعقيبات ثم انسلَّت على استحياء طرف أمها قبلتها في وجنتيها وجلست بجانبها وأخذتا تتجادبان أطراف الحديث ثم تهياً بعد ذلك وذهبت المدرسة، أما ما كان من أمر الحاج حسن والد زينب فقد عاد من مزرعته في وقت الغروب بعد أن أمضى نهاراً ملؤه العناء لأجل أن يحفظ ماء وجهه عن الآخرين. يا ترى كم هي لحظات سعيدة بالنسبة للحاج حسن فهو وإن كانت أعضاؤه متعبة من أثر العمل المتواصل طوال اليوم ولكنه يحس بارتياح شديد في داخله لأنَّه يرى نفسه أنه يؤدي دوراً في هذه الحياة فـ(الكافُّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله) (٧).

بينما هو سارح في أفكاره إذا بالباب يطرق، تدخل أم باقر تتقدم جهته حتى إذا وصلت لجانبه حيث قائلة: السلام عليك يا أبا باقر. ساعدك الله، فرد السلام عليها بأحسن منه، أردفت سلامه بالعبارات المسكينة لتعبه: يا ترى كم أنت

تتعب وتشقى يا زوجي العزيز، فيجيئها أبو باقر بنظرات الأمل (زرعوا فأكلنا ونزرع ليأكلون) لا طعم للحياة يا زوجتي العزيزة بدون المعاناة. فالمعاناة بداية النجاح في هذا الطريق، ولكن ليست كل مُعاناة، ولكن المُعاناة التي تطلق من وحي رضا الرب وفي سبيله وتستمر على ذلك الدرب إلى النهاية. بالنسبة أين ابني باقر؟ لم أره منذ مجئي. ابنك باقر خرج مع صديقه علي متوجهان إلى المسجد.

نعم... نعم تذكرت. هذه الليلة سيقام احتفال بمناسبة ميلاد منفذ البشرية الإمام المنتظر عليه السلام ولقد أخبرني بذلك منذ الصباح. أنا سوف ألهمهم أيضاً لاستلهem من فيوضات هذا الإمام العظيم .

على بركة الله

أما بالنسبة لزينب فقد كانت مشغولة مع صديقاتها في إقامة المناسبة في الإطار النسوـي ولقد كانت مُكلفة بإلقاء كلمة في ذلك الحفل ولقد جاء في كلمتها ما يلي:

إننا إذ نعيشُ هذه الذكرى العظيمة لا بدّ أن نعي حقيقتها لكي تكون بمستوى تحمل المسؤولية، لا بدّ أن لا تمر علينا هذه الذكرى مرور الكرام مرور كمن لم يسمع ولم ير، إننا جميعاً مسؤولون عن تأخير خروج إمام العصر عليه السلام فإمام العصر يريد أنصاراً، يريد مهدين، يريد من يتحمل المسؤولية، فإذا كنّا لا نتحمّل الآن أقل مسؤولياتنا وتكليفنا فكيف نأمل في أن يُعجل في ظهوره الشريف، لنعلم جميعاً أننا إذا لم نتحمّل المسؤولية اليوم فسيأتي من يتحمّلها عنا لأن دين الله باقٍ إلى قيام الساعة. فهناك من يحملونه ولو كلفهم ذلك حياتهم، فإذا لم نكن نحن أولئك فسيكونون غيرنا، أن ظهور الإمام عليه السلام لا يكون بالأمنيات بل يكون

بتحمل المسؤوليات والتكاليف، بالتضحيات، التضحية بالوقت، بالمال، بالنفس، بالأهل، بكل شيء في الوجود، لأن ظهوره يمثل انتصار الإسلام والدين على الكفر والشرك والظلم والظالمين، فلا مجال في هذه الدنيا للمتقاعسين والمتلذّعين.

أنت أيتها الأخوات العزيزات تستطعن أن تبنين أجايلاً يحملون راية الإسلام بعزم وإرادة حديدتين، وفي نفس الوقت تستطعن أن تخرجن أجايلاً لا يحملون من الإسلام حتى اسمه، نعم والتاريخ مليء بهذه المعاني لذلك (إذا صلحت المرأة صلح المجتمع) أنظرن إلى التاريخ وتأملن أليست سمية زوجة ياسر أول شهيدة في الإسلام؟، فإذا كانت النساء أمثال هذه الشهيدة فكيف لا يصلح المجتمع وكيف لا ترتقي الأمة، نعم إذا تحملن النساء مسؤولياتهن وأدین واجبهن وعشقن درب الحق تبارك وتعالى فإنهن لا محالة سيخرجن أبناء صالحين وبنات صالحات، وماذا عساهن أن يخرجن لو فعلن عكس ذلك غير أن يخرجن أبناء مثل أبناء الغرب الذين لا يعرفون معنى للحياة الحقيقية ولذا نراهم قد استبدلواها بالدعارة والعهر والمجون والمخدّرات والسينما. ولقد أجاد الشاعر عند ما قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيباً الأعراق.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أسأل الله بحق صاحب هذه الذكرى إمام العصر أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى وأن يجعلنا من أنصار الإمام المهدى المنتظر عليه السلام ومن المهدين لظهوره المبارك والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

من جهة أخرى كان احتفال الرجال مليئاً بالعطاء والحيوية أيضاً فقد كانت الزينة تملأ آفاق المسجد وكانت فقرات الاحتفال متنوعة فقد أقيمت بعض الكلمات وأنشودتان وقصيدتان. جاء في إحدى الأنشودتين:

يا طيور السماء غرّدي
جاءنا القائد المنذ
غرّدي وافرحي وانشدي
قد أتانا الغدُ المشرق

ثم كانت فقرة الختام في البرنامج توزيع بعض المهدايا للأطفال الذين وصلوا سن البلوغ والتكليف وقبل تسليمهم المهدايا سلّم المنصة أحد العلماء وألقى كلمة بالمناسبة كان من ضمن ما أتى فيها: كم هي نعمة كبرى نعمة التكليف، وكم هو تفضيل كبيرٌ من الخالق أن يشرف هذا العبد بالتكليف، إن لحظة التكليف لحظة ينتقل فيها الإنسان من عالم إلى عالم آخر مختلف، عالم يتشرف فيه البالغ بتشريف خاص وعلاقة خاصة مع ربه. نسأل الله أن نوفق لأداء تكاليفنا على أحسن وجه، والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) في رحاب عاشوراء، الشيخ الآصفي: ٣٧٠، عن بحار الأنوار: ٤٤: ٣٦٦ - ٣٦٧، اللهوف: ٥٢ - ٥٣، نفس المهموم: ١٦٣، الوثائق الرسمية لثورة الحسين عَلَيْهِ الْمُصَلَّى: ٧٨ - ٧٩.
- (٢) تاريخ الطبرى: ٧: ٣٠٠، مقتل الخوارزمي.
- (٣) في رحاب عاشوراء، الشيخ الآصفي: ٣٧٠، عن بحار الأنوار: ٤٤: ٣٦٦ - ٣٦٧، اللهوف: ٥٢ - ٥٣، نفس المهموم: ١٦٣، الوثائق الرسمية لثورة الحسين عَلَيْهِ الْمُصَلَّى: ٧٨ - ٧٩.
- (٤) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
- (٥) بحار الأنوار: ٤٤: ٣٣٩، مقتل الخوارزمي: ١: ١٨٨.
- (٦) سورة القصص، الآية ٥.
- (٧) ميزان الحكم: ٤: ١١٩، ح: ٧٢٠٣.

تنافر الأَرْوَاف

حسين فؤاد المرزوق

(توضيح لما أفاده التفتازاني في كتابه المختصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من أهم مقومات بلاغة الكلام والمتكلم كون المفردات التي يستخدمها المتكلم فصيحة، والفصاحة في اللغة لها استعمالات كثيرة، يجمعها معنىً واحداً، هو الظهور والإبانة^(١). قال تعالى ﴿وَأَخِيٌّ هَارُونٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾^(٢) أي : أبین^(٣).

وفي الاصطلاح يتصنف بها ثلاثة أمور : المفرد والكلام والمتكلم.

والكلام إن شاء الله يقع في فصاحة المفرد. وبالتحديد في تنافر حروفه، حيث أن الفصاحة في المفرد تتحقق بسلامته من التنافر والغرابة ومخالفة القياس^(٤).

والتنافر : وصف من الأوصاف التي تتصنف بها الكلمة ويوجب هذا الوصف ثقلاً في النطق بالكلمة. مثل كلمة : (هعخ)^(٥) فهي كلمة ثقيلة على اللسان.

فإذا ثقلت الكلمة على اللسان يقال أنها متناففة الحروف.

ومُثُل على الكلمة المتناففة بكلمة (مستشزرات) من قول امرئ القيس^(٦):

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاوص في مثنى ومرسل

المعنى : الشاعر هنا يصف غزارة شعر شخص، فيقول : إنه لكثرة شعره بعضه مرفوع، وبعضه مثنى، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل^(٧).

وموقع الشاهد على التنافر هنا هو لفظة (مستشررات) بمعنى (مرتفعات) فهي لفظة مستكرهة لتقلها على اللسان وعسر النطق بها، فتنافر الحروف فيها أدى إلى ثقلها وصعوبة التلفظ بها.

ولكن ما هي الضابطة لمعرفة الثقل والصعوبة في اللفظ لكي نميز الكلمة المتنافرة عن غيرها؟ أو بالأحرى ما هو منشأ التنافر؟

ذكر لذلك ضوابط ثلاث :

الضابطة الأولى : ما عليه ابن الأثير^(٨) في كتابه اللغوي المثل السائر. وتبعه على ذلك التفتازاني^(٩). فقال : الضابطة هي الذوق السليم المكتسب بطول النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم، وهو قوة يدرك بها لطائف الكلام ووجوه تحسينه، فكل ما عده الذوق ثقلياً متعرضاً للنطق به كان ثقلياً متنافراً الحروف.

الضابطة الثانية : ما اختاره الخلخالي^(١٠): فذهب إلى أن الضابطة في كون الكلمة متنافرة أو غير متنافرة. يرجع إلى أوصاف الحروف، فإذا اتصف الحرف بوصفين، بوصف خالف ما قبله وبوصف آخر خالف ما بعده، تكون الكلمة المتضمنة لهذا الشيء متنافرة.

فللحواف عدة أوصاف ولها تقسيمات متعددة باعتبار أوصافها.

تنقسم الحروف باعتبار الجهر والهمس إلى قسمين :

١ - **الحروف المهموسة :** جمعت في (فتحه شخص سكت) وسميت حروف مهموسة لأن النفس معها يختفي فأصبح الكلام والنطق بها كالهمس^(١١).

٢ - **الحروف المجهورة :** مأخوذة من الجهر وإعلاء الصوت، وسميت مجھورة، لأن الجهر في اللغة الإظهار، وهذه الحروف في الكلام يقوى الاعتماد عليها، وهي غير الحروف المهموسة. فلا تحتاج إلى جمعها في جملة لأن الأشياء تعرف بأضدادها.

وهناك تقسيم آخر للحروف باعتبار الشدة والرخاوة، فقسمت الحروف إلى

ثلاثة أقسام :

١ - **الحروف الشديدة** : وسميت بذلك لشدة وثقل مخرجها، وهي ثمانية جمعت في قوله (أجد قط بكت)

٢ - **الحروف المتوسطة بين الشدة والرخوة** : وجمعت في قوله (لن عمر)

٣ - **الحروف الرخوة** : وسميت بذلك لأنها تلين عند النطق بها، وهي ثلاثة عشر حرفًا، وهي غير حروف (أجد قط بكت) وغير حروف (لن عمر)

يقول الخلخالي : إذا طبّقنا أوصاف الحروف على الكلمة مستشيرات، نجد أنه يوجد قبل حرف الشين حرف التاء وبعد حرف الشين حرف الزاي.

الشين : في القسمة الأولى من الحروف المهموسة، وفي القسمة الثانية هي من الرخوة.

التاء : في القسمة الأولى من الحروف المهموسة، وفي الثانية هي من الشديدة.

أما الزاي : ففي القسمة الأولى من الحروف المجهورة، وفي الثانية من الرخوة.

فنلاحظ أن الشين التي توسطت بين التاء والزاي وافتقت التاء في الممس وخالفتها في الشدة، وقد وافتقت الزاي في الرخوة وخالفتها الجهر.

ومن الخلاف صارت الكلمة ثقيلة، فسبّب ثقل مستشيرات، أن الشين اتصفت بوصفين من أوصاف الحروف بأحد الوصفين خالفت ما قبلها وبالوصف الآخر خالفت ما بعدها فلذا صارت ثقيلةً.

لذا يقول الخلخالي أنه لو غيرنا هذه الكلمة وقلنا (مستشرف) لزال التناحر، لأن الشين لم تتوسط بين التاء والزاي بل توسيطت بين التاء والراء.

رد التفتازاني على هذه الضابطة :

يقول التفتازاني أن هذه النظرية غير صحيحة، والسبب في ذلك أن نفس الخلخالي يعترف بأن مستشرز متنافرة أما مستشرف فهي غير متنافرة. مع أن الضابطة التي ذكرها الخلخالي تنطبق على مستشرف أيضًا. ولابد في الضابطة أن

تكون مطردةً، فينطبق في كل الأمثلة المتنافرة ولا ينطبق على الأمثلة غير المتنافرة. ولكن نجد أن ما ذكره من قاعدة يصدق على مستشرف، فالراء في مستشرف من الحروف المجهورة فاختللت مع الشين في الهمس مما زال الخلاف موجوداً فينبغي أن تكون مستشرف متنافرة، مع أن الخلخالي بنفسه يعترف أن مستشرف غير متنافرة وغير ثقيلة على اللسان^(١٢).

الضابطة الثالثة : ما اختاره الزوزني^(١٣)، قال أن الضابطة هي قرب المخارج، فإذا كانت مخارج الحروف متقاربة تكون الكلمة ثقيلة وإذا لم تكن المخارج متقاربة بل متباينة تكون الكلمة سلسة فلا تكون متنافرة.

ثم إن الزوزني أشكل على نفسه : قال : لقائل أن يقول أنه يلزم بهذه الضابطة الإخلال بفصاحة القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم فيه كلمة **﴿أَعْهَدُ﴾**^(١٤) فكلمة أuebloت مخارج حروفها متقاربة، فيلزم أن تكون أuebloت غير فصيحة فيكون القرآن قد اشتمل على كلمة غير فصيحة وبالتالي يكون القرآن غير فصيح مع أن معجزة القرآن هي في فصاحتها واللازم^(١٥) باطل فالملزم^(١٦) مثله في البطلان.

ثم دفع الزوزني هذا الإشكال الذي قد يوجه إليه فقال : نسلم أن الكلمة أuebloت غير فصيحة (متنافرة) ولكن لا يترب على ذلك اللازم وبالتالي الفاسد وهو عدم فصاحة القرآن، لأن الكلمة واحدة في ضمن الكلام طويل لا يمنع من اتصف الكلام الطويل بالفصاحة، وعليه فإن الكلمة واحدة غير فصيحة في القرآن الكريم لا يلزم منه أن يكون القرآن الكريم غير فصيح. وهناك نظير لذلك، فالقرآن الكريم عربي بنص الآية قال تعالى **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾**^(١٧)، مع أن القرآن الكريم يشتمل على كلمات غير عربية^(١٨). فكما أن وجود الكلمات غير العربية في القرآن لم تمنع من اتصف القرآن الكريم بالعربية، كذلك وجود الكلمة أو كلمات غير فصيحة في القرآن لا تمنع من اتصف القرآن بالفصاحة.

رد الشارح التفتازاني على هذه الضابطة :

التفتازاني لا يرتضى أيضاً هذه النظرية ويقول أنه يلزم منها الإخلال بفصاحة القرآن الكريم يقول :

أولاً : لا نسلم أن القرآن الكريم يشتمل على كلمات غير عربية، فمجرد التوافق في اللغات لا يجعل هذه الكلمة من لغة أخرى، ففي كثير من الأحيان اللغات تشتراك في لفظة من الألفاظ، فمجرد كون هذه اللفظة موجودة في لغة غير اللغة العربية، لا يجعل اللفظة غير عربية.

ثانياً : قياس فصاحة القرآن على عربيته قياس مع الفارق، لأن عربية القرآن بلحاظ هيئته^(١٩) لا بلحاظ ألفاظه، أما فصاحة القرآن بلحاظ فصاحة الكلام، والكلام لا يكون فصيحاً إلا إذا كانت كلماته فصيحة بلا فرق بين القليل والكثير، فبمجرد اشتمال الكلام على كلمة واحدة غير فصيحة تخرج عن كونه فصيحاً.^(٢٠)

ثالثاً : أنه لو التزمنا نحن بهذه النظرية لكان الأمر سهلاً، لكن إذا التزمت أنت أيها الزوزني بهذه النظرية فالأمر عليك صعب، لأنك قد أدخلت المركب الناقص في الكلام، بينما نحن أدخلناه في المفرد، فإذا أدخلت المركب الناقص في الكلام فعليك أن تحيب عن قسمين، عن المركب التام وعن المركب الناقص إذا كانت واحدة من كلماتها غير فصيحة، لأن فصاحة الكلمات شرط في فصاحة الكلام اتفاقاً بينما نحن علينا أن نحيب عن المركب التام فقط إذا كانت واحدة من كلماته غير فصيحة بينما المركب الناقص نحن أدخلناه في المفرد. فإذا كانت إحدى كلماته غير فصيحة صح أن يقال أنه فصيح لأننا أدخلناه في المفرد لا في الكلام ولم نشترط فصاحة الكلمات في المفرد.

رابعاً : قلت أيها الزوزني أن وجود كلمة غير فصيحة في القرآن لا تضر بفصاحة القرآن، فنحن نسأل ه هنا : الله يعلم أن هذه الكلمة غير فصيحة أو لا يعلم؟

إن قلت لا يعلم فيلزم منه نسبة الجهل لله سبحانه وتعالى.
 وإن قلت يعلم، نسأل : هل هو قادر على تبديلها بكلمة فصيحة أو غير قادر؟
 إن قلت غير قادر فيلزم نسبة العجز إليه تعالى.
 وإن قلت قادر، نسأل : هل يعلم أن الفصيح أولى من غير الفصيح أو لا يعلم؟
 إن قلت لا يعلم فيلزم منه نسبة الجهل لله سبحانه وتعالى.
 وإن قلت يعلم، نسأل : لم يبدل الكلمة غير الفصيح بالفصيحة؟
 فيلزم منه اللغو والعبث، والعبث قبيح، وهو لا يصدر عن الحكيم سبحانه وتعالى.
 إذن وجود كلمة غير فصيحة في القرآن الكريم يلزم منه والعياذ بالله، إما أن يكون الله جاهلاً أو عاجزاً أو غير حكيم، وكلها منافية في حقه سبحانه وتعالى، فلما كان اللازم باطل فالملزم مثله في البطلان. فتبطل نظرية الزوزني لأن لازم نظرية الزوزني أن تكون كلمة أعهد غير فصيحة.
 فيبقى أن منشأ التناقض هو الذوق السليم الناشئ من ممارسة كلام العرب كما اختاره ابن الأثير وتبعه على ذلك التفتازاني.
 وأخر دعواانا أن الحمد لله رب العالمين وصل يا رب على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين.

المواهش:

- (١) دروس في البلاغة، لسمامة الشيخ الأستاذ معين دقيق العاملبي، ص ١٩
- (٢) سورة القصص، الآية ٣٤.
- (٣) دروس في البلاغة ص ١٩.
- (٤) ختصر السعد، لسعد الدين التفتازاني ص ١٩.
- (٥) في قول أعرابي سئل عن ناقته (تركتها ترعى المخنخ) أي نبتاً أسوداً. حاشية الدسوقي ج ١ ص ٢٥٤، ولا مانع من أن تكون الكلمة متنافرة وغريبة في نفس الوقت، فالمخنخ

من الكلمات التي تتصف بالغرابة أيضاً فإنها كلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسه الاستعمال.

(٦) هو امرؤ القيس بن حجر بن حارث الكندي، من بني آكل المرار، من أشهر شعراء العرب، مات نحو ٨٠ قبل المigration.

(٧) من كتاب في البلاغة العربية (علم المعاني) للدكتور عبد العزيز عتيق ص ١٨.

(٨) ضياء الدين أبو الفتح نصر الله، المعروف بضياء الدين ابن الأثير، الكاتب الأديب، أتقن صنعة الكتابة، واشتهر بها بجودة أسلوبه وجمال بيانيه، التحق بخدمة صلاح الدين وأبنائه في حلب ودمشق، وترك مصنفات أدبية قيمة، أشهر (مثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وهو من أهم الكتب التي تعالج فن الكتابة وطرق التعبير، وتوفي سنة ١٢٣٩ هـ = ١٢٣٩ م.

(٩) هو مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، العالم بالعلوم العربية والكلام والأصول والمنطق، وكان في لسانه حبسة، توفي سنة ٧٩٢ للهجرة. حاشية الدسوقي ج ١ ص ٥.

(١٠) محمد بن مظفر الخطبي الخلخالي - شمس الدين - عالم بالأدب من مصنفاته (شرح المصابيح) و(شرح المختصر) و(شرح المفتاح) و(شرح تلخيص المفتاح) توفي نحو سنة ٧٤٥ للهجرة. حاشية الدسوقي ج ١ ص ٢٦٩.

(١١) المخمس لغة الخفاء.

(١٢) وي يكن ذكر مثال آخر وهو (علم وملع) فإن الأولى خفيفة على اللسان بخلاف الثانية، مع اتحاد حروفهما فلو كانت القاعدة التي ذكرها الخلخالي مطردة لكانت كل من الكلمتين غير فصيح.

(١٣) قال السيوطي بترجمته في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحو ١ | ٥٣١ : «الحسين بن أحمد الزوزني القاضي، أبو عبد الله، قال عبد العافر : إمام عصره في النحو واللغة والعربية. مات سنة ٤٨٦ هـ.

(١٤) في قوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ سورة يس ﷺ، الآية ٦٠.

(١٥) وهو الإخلال بفصاحة القرآن.

(١٦) وهو كون هذه الضابطة صحيحة.

(١٧) سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، الآية ٢.

(١٨) مثل الكلمة قسطاس في قوله ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ سورة الإسراء، الآية ٣٥. فإن الكلمة قسطاس رومية، ومثل الكلمة السجل في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْرُى السَّمَاءَ كَطْيَ السَّجْلَ لِلْكُتُبِ﴾ سورة الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ، الآية ١٠٤. فإن الكلمة السجل فارسية، ومثل الكلمة المشكاة في قوله تعالى ﴿الَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُّ نُورٍ كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾ سورة النور، الآية ٣٥. فإن الكلمة مشكاة هندية. حاشية الدسوقي ج ١ ص ٢٥٥.

(١٩) فاللغة العربية لها هيئة خاصة، مختصة بها دون باقي اللغات، كتقديم الموصوف على الصفة وتقديم المضاف على المضاف إليه أما في اللغة الإنجليزية العكس مثلاً.

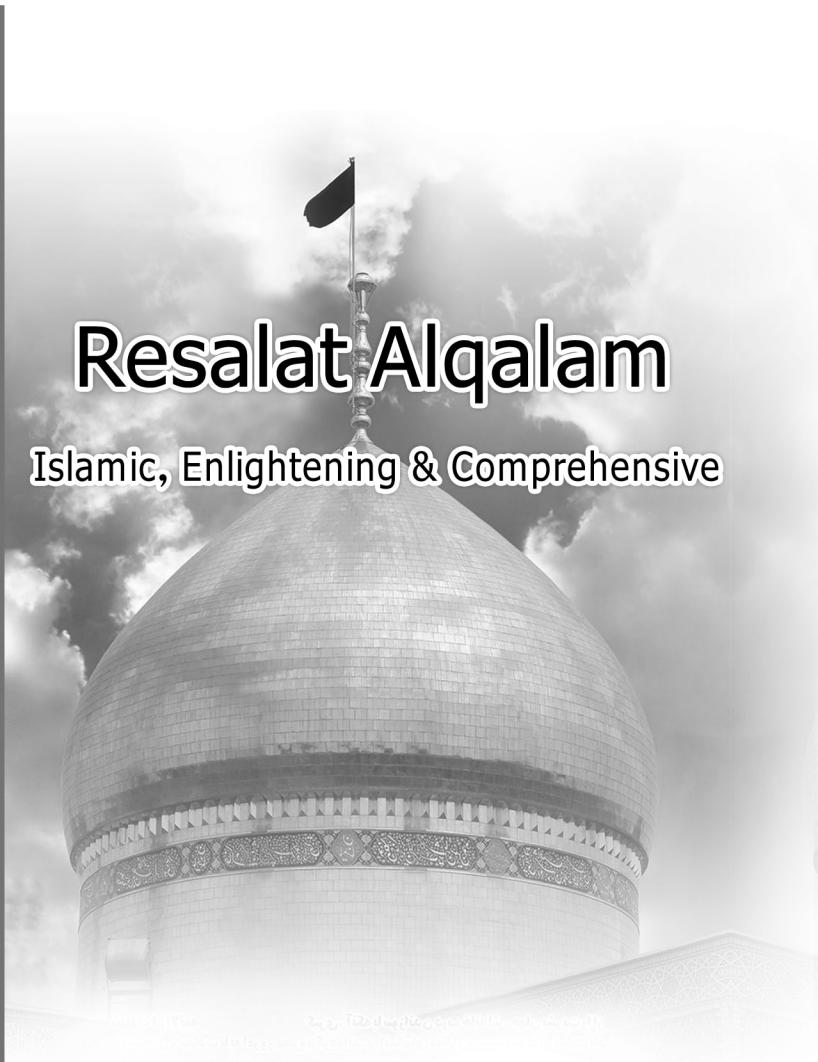
(٢٠) لأن فصاحة الكلام (خلوه من ضعف التأليف وتناقض الكلمات والتعقيد مع فصاحتها)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الْمُكَبَّلُ



- General Supervisor & Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:
Ali Ahmad Aljofairi
- Publishing Committee:
Fadhel Abdujaleel Al Zaki
Jaffer Abdulmahdi Shehab
Saeed Hassan Al Madeh



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom